وزارة التعليم
جامعة جازان
عمادة الدراسات العليا
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

صورة الممدوح في شعـرالفرزدق

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في الدراسات الأدبية والنقدية (أدب قديم)

إعداد الباحث
محمد بن علي بن علي صميلي
الرقم الجامعي(201513200)
إشراف
أستاذ الأدب والنقد المشارك الدكتور: محمد صبحي الجمّال

(صورة الممدوح في شعر الفرزدق)

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى دراسة قصائد المدح عند الفرزدق، بقصد إبراز صورة الممدوح في تلك القصائد,وذلك من خلال الكشف عن أنماط تلك الصورة, والتعرف على المعاني الجديدة التي جاء بها الفرزدق, كما تهدف إلى الكشف عن جماليات تلك الصور من حيث الألفاظ والتراكيب, والإيقاع والموسيقى, والصور البلاغية كالمجاز والاستعارة والكناية. وقد استعنت بالله أولافي تحقيق هذا الهدف, ثم بمجموعة من المصادر والمراجع, وكان منهج الوصف والتحليل دليلي في تتبع قصائد المديح والكشف عن قيمها ومضامينها. وقد تنوعت صورة الممدوح عند الفرزدق وتعددت، وذلك لتعدد الممدوحين وتنوعهم ، وقد تناول البحث هذه الظاهرة، بكل ملابساتها الثقافية والاجتماعية والجمالية، بالدراسة والمناقشة, مسهمين بذلك في قراءة الشعر القديم.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى: تمهيد تحدثت فيه عن شاعرية الفرزدق, وإلى مقدمة,وفصلين تشتمل على عدة مباحث؛ فالفصل الأول خصصته للحديث عن مدح الفرزدق للخلفاء, والأمراء, والولاة, والقواد, وتناولت فيه أيضا المعاني المتداولة والمعاني الجديدة التي طرقها الفرزدق, أما الفصل الثاني فخصصته للحديث عن جماليات صورة الممدوح في شعر الفرزدق وقد اشتمل على دراسة الألفاظ والتراكيب, وعلى الصور البلاغية كالمجاز, والاستعارة, والكناية, وعلى الإيقاع والموسيقى الداخلية والخارجية. أما الخاتمة فعددت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة.

Praised Person image in AlFrazdaq poetry

Abstract

This study aims to study praise poems of AlFrazdaq with the intention of highlighting the image of the praised person in this poems, by revealing the patterns of that image, and recognize the new meanings that Farzdaq has brought. It also aims to reveal the aesthetics of those images in terms of words, compositions, rhythm, music and rhetorical images such as metaphor and metonymy. I was helped by God first then by Dr. Mohamed Sobhy AlGamal in achieving this goal. The descriptive and analytical approach was my guideline in the study of praise poems and discloses their values and implications. The images of the praised person varies in the poems of Farzdaq as there are many praised persons, so this research deals with this issue in all its cultural, aesthetic and social aspects by studying and discussing, contributing to the reading of ancient poetry, according to what some modern curricula seek from effective reading achieving some literary and intellectual results.

This study was divided into: preface which I have talked about AlFrazdaq poetry, introduction and two chapters that included many topics. The first chapter is about AlFarzdaq praise poems of caliphs, prince, governors and leaders. I have also discussed the current meanings and new meanings addressed by Al Farazdaq. The second chapter is aboutthe aesthetics of those images in terms of words, compositions, rhythm, and rhetorical images such as metaphor and metonymy, Internal and external music. Finally, the conclusion which I have mentioned the most important results in this study.

المقدمـة

الحمدلله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا لايأتيه الباطل من بين ولا من خلفه, تنزيل من حكيم حميد, والصلاة والسلام على من أرسله الله رحمة للعالمين,وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

يعد غرض المديح من أهم وأشهرأغراض الشعرالعربي على مرالعصور وقد رافق الشعر منذ نشأته, لما فيه من تمجيد للفضائل والمكرمات التي يتغنى بها الشعراء, فالشاعرينظر إلى ممدوحه نظرة إجلال وتقديرسواء أكان ملكا, أو واليا, أو قائدا, أوأي شخص تتوفر فيه الخصال الحميدة, ومن أبرز العصور التي ازدهرفيها شعر المديح العصر الأموي, ومن أبرز الشعراء الذين أبدعوا في شعر المديح: الفرزدق, فقد وفّرله من عناصر الإبداع ما جعله يحظى بنصيب وافر في ديوانه وقد توزعت قصائد المديح على الخلفاء والأمراء والولاة والقواد, ومن هنا كان سبب اختياري لهذا الموضوع, إضافة إلى توجيهات مشرفي الأول: الأستاذالدكتور محمدالأمين المؤدب, وكان منهج الوصف والتحليل دليلي في دراسة قصائد المديح, وقد استعنت بعد الله سبحانه وتعالى بعدد من المصادر والمراجع من أهمها: طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي, والشعروالشعراء لابن قتيبة, والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني, وديوان الفرزدق تحقيق علي فاعور, ومن الدراسات السابقة التي تناولت الفرزدق وشعره: الفرزدق لشاكر الفحام, فقد تناولت هذه الدراسة بيئة الفرزدق التي عاش فيها وكيف أثرت في شعره, والأغراض الشعرية التي جاءت في ديوانه بوجه عام, وكذلك الألفاظ والتراكيب والموسيقى, ومن الدراسات المهمة أيضا: المديح في شعرالفرزدق لنادية سيد البري, وقد تناولت في هذه الدراسة حياة الفرزدق,ومديحه للخلفاء والولاة, ثم تناولت الصورة الفنية والمصادر التي استقى منها الفرزدق شعره, والألفاظ والتراكيب, والموسيقى, ثم تناولت المديح عند كل من الفرزدق وجرير والأخطل, وهذه الدراسة على أهميتها تنحو منحى تقليديا في تناول معاني المديح دون إبراز الصورة المثلى للمدوحين, أما دراستي هذه فقد قمت بدراسة قصائد المديح عند كل خليفة, أو, وال, أوقائد, وعملت على قراءتها وتحليلها واستنباط مافيها من خيال وجمال, ومن الدراسات أيضا: الفرزدق لممدوح حقي تناول فيها حياة الفرزدق وأغراض شعره, ومن الدراسات أيضا أثرالإسلام في شعر الفرزدق لمصطفى عبدالواحد, وقد تناول فيها الأخلاق الإسلامية والعبادة والعقيدة في شعر الفرزدق, وتأثرالفرزدق بالقصص القرآني, ومن الدراسات أيضا: شعر الفرزدق بين أصداء الجاهلية وصوت الإسلام لمحمد كريم أحمد. وقد قسمت بحثي هذا إلى: مقدمة, وتمهيد, وفصلين, وخاتمة.

أما المقدمة فقد تناولت فيها أسباب اختيار الموضوع, والدراسات السابقة والمنهج المتبع. أما التمهيد فقد تناولت فيه مؤهلات الفرزدق الشعرية, وموهبته, وثقافته, والفرزدق ناقدا, وعناية النقاد بشعر الفرزدق.

أما الفصل الأول فقد تناولت فيه (أنماط صورة الممدوحين في شعرالفرزدق) وقداشتمل على مبحثين : -المبحث الأول: صورة الخليفة, وصورة الوالي, وصورة الأمير, وصورة القائد.

المبحث الثاني: (معاني المديح) وقد اشتمل على:

تشكيل المعاني, ومعان متداولة, ومعان جديـدة

أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه (جماليات صورة الممدوح) وقد اشتمل على :

الألفاظ والتراكيب, والمجاز والكناية والاستعارة, والموسيقى الداخلية والخارجية

أما الخاتمـة فقد فتحدثت فيها عن أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث. ومن الصعوبات التي واجهتني في هذا البحث صعوبة الحصول على بعض المراجع, وبفضل الله ثم بتوجيهات المشرف استطعت التغلب على بعض تلك الصعوبات, وفي ختام هذه المقدمه أتوجه بالشكرالجزيل لله أولا ثم للمشرف على الرسالة فضيلة الأستاذ الدكتور:محمد صبحي الجمّال الذي مد لي العون في كل ما أحتاجه من نصائح وتوجيهات كانت بمثابة النبراس الذي أضاء لي دروب هذه الرسالة فجزاه الله خيرالجزاء, ولا يفوتني أن أشكر أستاذي والمشرف الأول على الرسالة الأستاذ الدكتور: محمد الأمين المؤدب الذي ساعدني في اختيار موضوع الرسالة, وفي وضع الخطة المناسبة لها, فجزاه الله خيرا الجزاء. هذا وأسأل الله - سبحانه وتعالى- أن كون قد وفقت فيما طرحت, وأن يكون خالصا لوجهه الكريم, وأن ينفع به, وصلى على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التمهيد

شاعرية الفرزدق

الفرزدق الشاعر التميمي ذو الوجه الذي يشبه الرغيف المحترق، والذي اكتسب لقبه المفزع لشعراء زمانه المحبب إلى النقاد من كل فن من هيأة وجهه على الراجح ؛ الشاعر الذي كتب اسمه في سجلات الخالدين من أرباب الكلمة بأحرف من نور، والشاعر الذي جهدت به ناقته في مسيرها الدؤوب في الفيافي والقفار يطلب الخلفاء والأمراء والولاة والقادة يمدحهم تارات ويهجوهم تارة ،يستل لقمة عيشه من بين دم المعاناة وفرث التملق في زمان بدأ يتشكل في الأرض في طورها الجديد الذي اتصلت فيه بالسماء عبر أعظم رسالة انداحت بين الناس يحملها كتاب كريم وتترجمها جوارح طاهرة، رسالة صهرت العجم بحكمتها وتؤدتها ونظرها في الأمور والعرب بعزها وفخرها وأنسابها وشدة بأسها وأنفتها عن الضيم في بوتقة واحدة كان مسرحها مدن الإسلام في الحجاز والعراق, لم يكن الفرزدق بمنأى عن حركة الحياة,فهو البدوي المغرق في جلافته انحدر إلى الكوفة ليلتقى بأساطين العلم والحكمة والدهاء والشعر والنقد فغرف من كل ذلك غرفة بيده ثم ألقمها فكره ووجدانه فسالت من فيه شعراً ترويه الدهور وتتناشده الأجيال على مر العصور.

مؤهلاته الشعرية

هل يسأل العربي عن مؤهلاته الشعرية؟ .. العربي الذي انتقل الشعر إليه عبر حبله السري ثم ارتضعه من ثدي أمه حتى إذا شب عن الطوق وصف الحشرة التي تلسعه بأنها كأنما تلبس بردي حبرة, ومع ذلك فعلينا أن نتلمس طريقنا بتؤدة وروية حتى نصل إلى المؤهلات الشعرية لشاعر كبير كهمام بن غالب الذي غلب عليه لقب الفرزدق. يقول الدكتور محمد كريم أحمد: "وعالم الفرزدق الداخلي كما كشفت عنه شاعريته في نتاجها الشعري ، وأكده منهجه وسلوكه في الحياة، أسس على دعائم عدة كانت على درجة كبيرة من التنافر ، لعل أهمها:

1. الافتتان بالماضي ومحاولات استحضاره ولو في أدنى صوره.
2. هيمنة الحاضر بواقعه الضاغط وأبعاده المتباينة.
3. تكوينه الخِلْقي والخُلُقي وأثره على نفسه.[1]

إذن فالمجد القديم لقبيلة تميم بفروعها الكثيرة كان يلح على الفرزدق ويدفعه دفعاً إلى تمثله في شعره مدحاً وهجاءً ويمده بمعاني الفخر والاعتزاز ويؤزه نحو التميز ويؤهله ليبز أقرانه في ساحات الشعر كما كانت تفعل قبيلته قديما في ساحات الوغى والكرم والسؤدد.

كذلك الواقع الذي كان يعيشه الفرزدق بتقلباته السياسية والدينية والاجتماعية كفيل بتحريك الموهبة الشاعرية الموجودة أصلاً وتحريكها نحو الفعل الشعري لإثبات الذات ولفت الأنظار والتكسب والمنافسة.

أيضاً فإن تكوين الفرزدق الخلقي وصورته الشائهة تدفعانه إلى تغطيتها بما يملك من قوة الشاعرية التي تؤكدها القصة الآتية: "أتى الفرزدق سعيد بن العاص - وكان والياً على المدينة لمعاوية – هارباً من زياد ابن أبيه، فأجاره ، وكان عنده الحطيئة وكعب بن جعيل الشاعر التغلبي فأنشده الفرزدق مدحته إياه التي يقول فيها:

تـــرى الغـــر الجحـــاجح مـــن قـــريش ... إذا مـــا الأمـــر فـــي الحـــدثان غـــالا
بنـــي عـــم النبـــي ورهـــط عمـــرو ... وعثمـــان الألـــى غلبـــوا فعـــالا
قيامـــا ينظـــرون إلـــى ســـعيد ... كـــأنهم يـــرون بـــه هـــلالا

فقال الحطيئة: هذا والله هو الشعر ، لا ما تعلل به منذ اليوم أيها الأمير فقال له كعب بن جعيل: فضله على نفسك ولا تفضله على غيرك، فقال الحطيئة : بل والله أفضله على نفسي وعلى غيري. يا غلام ! أدركت من قبلك ، وسبقت من بعدك ، ولئن بقيت لتبرزن علينا"[2]

وقال أبو الفرج الأصفهاني: "والفرزدق مقدم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل ومحله في الشعر أكبر من أن ينبه عليه بقول ، ويدل على مكانه بوصف ؛ لأن الخاص والعام يعرفانه بالاسم ويعلمان تقدمه بالخبر

1- أحمد, محمد كريم, شعر الفرزدق بين أصداء الجاهلية وصوت الإسلام ، مطبعة الأمانة مصر، الطبعة الأولى 1408 – 1988 ، ص 21.

2- الجمحي, ابن سلام, طبقات فحول الشعراء,مطبعة المدني,القاهرة,1974 ج(1|321)

الشائع علماً يستغنى به عن الإطالة في الوصف "[1]

ثقافته الشعرية

حتى نتبين أصول ثقافة شاعرنا الكبير لابد لنا أن نتدبر معنى الثقافة وكيف اكتسب الفرزدق حصيلته الثقافية الضخمة التي انثالت في قصائده ,إن الثقافة فعل متراكم يتقاطع فيه الفكر مع الوجدان فمن الثقافة ما يحرك الفكر نحو العمل الحضاري ومنها ما يحرك الوجدان نحو السيلان العاطفي, والحضارة ما هي إلا عناق أبدي بين الفكر والوجدان له أثره على الأرض ودبيبه في الحياة ورحيقه في الأخلاق.

تكونت ثقافة الفرزدق مما سمعه وعاشه عن مآثر قبيلته في مضاربها في البادية ومن حفظه لهذا القدر الكبير من أشعار الجاهليين, ولكن أعظم ما شكل ثقافته هو القرآن الكريم, والحديث والسيرة, والتي تلقاها في الكوفة ثم ما يسمعه في مجالس العلماء من العجم وقصصهم في فترة كان الانصهار بين شعوب المسلمين يقوم على قدم وساق رغم ما يعتوره من شعوبية بين العرب وغيرهم من المسلمين.

يقول الأستاذ خليل شرف: كان الفرزدق من الشعراء الإسلاميين المثقفين ثقافة شفهية سماعية الذين أخذوا بقسط وافر من علوم اللغة التي تعمق فيها لدرجة أصبح شعره مرجعاً لغوياً هاماً فيما بعد, وقد اعترف له بذلك يونس بن حبيب اللغوي حيث قال "لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب"[2]

موهبته الشعرية

الموهبة التي تولد مع الإنسان تصير بالدربة والتجارب إبداعاً يبهر، ومدعاة للتأمل, والفرزدق ممن حبي بموهبة شعرية فذة لا تحتاج إلى كثير نظر حتى تدرك ولا إلى عميق تأمل كي تعرف.

لقد انبجس الشعر من قريحة الفرزدق صغيراً مما جعل أباه غالباً يعجب به جداً ولا غرو فقد كانت العرب تحتفل إذا نبغ فيها شاعر لأنها تعده لسانها الناطق الذي يذب عنها عند الخطوب كما يذب الشجاع عنها عند الحروب.

"وقد قيل للفرزدق: مالك وللشعر وما كان أبوك غالب شاعراً ولا كان صعصعة شاعراً فمن أين لك هذا؟ قال من قبل خالي العلاء بن قرظة الذي يقول:

إذا مـا الـدهر جـر علـى أنـاس كـــــــــلاكله أنـــاخ بآخرينـــا

فقــل للشـــامتين بنـــا أفيقـــــــوا سـيلقى الشـامتون كمـا لقينـا "[3]

ولا ننسى أن الفرزدق من قبيلة تميم والتي اشتهر منها "شعراء بلغوا شأواً كبيراً من الإبداع الشعري ، كمثل (أوس بن حجر) الذي أسس مذهب الأوسيين المعتنين بالشعر بعد نظمه من حيث التنقيح والتجميل وإعادة النظر

1- الأصفهاني, أبوالفرج. الأغاني,تحقيق إحسان عباس, دارصادر, بيروت, ط2, 2002م (10|396)

2- شرف الدين, خليل, الفرزدق، دار ومكتبة الهلال بيروت، 1996 ،ص 35

3- أبومصلح, كمال, الفرزدق حياته وشعره، المكتبة الحديثة ناشرون ، ص 27

بالنظم واللغة والمعنى ... وكمثل (علقمة الفحل) و (عدي بن زيد العبادي) وغيرهم من سائر الشعراء"[1].

عناية النقاد به

لقد اعتنى النقاد قديماً وحديثاً بالفرزدق وشعره ووضعوه على طاولة النقد الأدبي والبلاغي والنحوي واعتنت به أكثر المدارس النقدية, ولابد من التنبيه إلى مسألة مهمة وهي لما عني النقاد بشعر الفرزدق وجدوا فيه الكثير مما لا يروق لهم من حيث القواعد التي ارتأوها فقد عرف الفرزدق "بالتواء القول ومخالفة نظام الجملة"[2] وقالوا إنه "كان يداخل الكلام"[3]

و "يتبع شواذ القول ويجيء بكلامه على سوء النظم"[4]

و "يلغز بالأبيات ويأمر بإلقائها على ابن أبي إسحاق"[5].

ومن أجل كل ذلك فقد "وجهوا إليه نقدهم ووجدوا في شعره مادة خصيبة للدرس النحوي"[6]

ومن نافلة القول أن نقول إن النقاد الذين تكلموا في شعر الفرزدق منهم علماء اللغة وبعضهم من الموالي الذين ربما تعصبوا ضد الفرزدق بسبب الشعوبية التي كانت طاغية في ذلك الزمان كما أن وقوف الناقد على ظاهر اللغة يعد من القصور الكبير لأن الشاعر يستخدم اللغة كأداة يوصل بها أحاسيسه ومشاعره وأفكاره في صورة تستخف النفس بجمالها وروعة تصويرها وبهاء منظرها وسلاسة قيادها وسهولة مأخذها.

أما النقاد الذين جاءوا بعد عصر الفرزدق فقد اتيحت لهم فرصة نقد منصف لشعره من حيث إنهم بعيدون عن رعونات النفس التي تجلبها المعاصرة ومن حيث إنهم قد اتسعت مداركهم نسبة للتطور المعرفي الكبير والاطلاع على ثقافة أخرى أنتجت نوعاً من التلاقح الحضاري الذي ظهر في عبارات النقاد وأدواتهم واستعانتهم بعلوم أخرى تمكنهم من النقد الصحيح وتصوب أحكامهم.

وهذا ناقد من المحدثين يدافع عن الفرزدق بخلاف ما كان عليه من انتقده في زمانه يقول الدكتور وليد محمود خالص: "وكان كثير من الشعراء يرون أن نقد العلماء للشعر ليس من طبيعة عملهم فهم غير قادرين عليه لأنهم لم يدفعوا إلى مضايقه كما قال البحتري ، وزاد العلماء أنهم اهتموا كثيراً بالقاعدة وتطبيقها على الشعر ورمي الشاعر بالخطأ في حال خروجه عليها وسلوكه طريقاً مغايراً لتحقيق الجمال أو الفن ولم يكن الشاعر ليرضى أن يرمى بالخطأ خاصة إذا كان مثل الفرزدق الذي شب على العربية السليمة وشاب عليها وأخذ من أ هلها"[7]

1- الحر, عبدالمجيد, الفرزدق ينحت من صخر، دار الفكر العربي بيروت، الطبعة الأولى 1999، ص 66

2- الفحام، شاكر،الفرزدق, دارالفكر,دمشق,ط1, 1397هـ, رفع عبدالرحمن النجدي, ص 445

3- الأصفهاني, أبو الفرج, الأغاني, (19|15)

4- المعري. رسالة الصاهل والشاحج, تحقيق عائشةعبدالرحمن,دارالمعارف,مصر,1975 ص 474

5- ابن جني, الخصائص, تحقيق محمد علي النجار, دارالكتب المصرية, المكتبة العلمية, مصر, ط2, 1371هـ (369|1)

6 - خالص, وليد محمد, الشعراء النقاد (الفرزدق) مكتبة الفلاح الكويت الطبعة الأولى 1406- 1986.ص 35

7- خالص, وليد محمد, الشعراء النقاد ص 47

الفرزدق ناقداً

لم يكتف الفرزدق بالإبداع الشعري فقط بل كان ذا ذائقة نقدية فريدة تتجاوز الظاهر إلى العمق عبر النظر الفاحص والسبر العميق, إن النقد الأدبي للشعر بدأ عند العرب منذ بواكير نهضتهم الشعرية ولكنه كان رغم قوته انطباعياً والعرب لصفاء قرائحها وشدة ذكائها ولصوقها بلغتها كان نقدها مصيباً لكنه لم يكن شمولياً يتجاوز المنقود إلى أسبابه البيئية والنفسية وغيرها. "وقد اعتمد الدارسون المحدثون على بعض نماذج للنقد الجاهلي استنتجوا منها الأحكام النقدية ، مثل حديث النابغة الذبياني مع الأعشى وحسان والخنساء[1] وإقواء بشر بن أبي خازم والنابغة الذبياني ومحاولة ردهما إلى الصواب[2] وإبداء ربيعة بن حذار الأسدي رأيه في شعر الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وعبدة بن الطبيب والمخبل السعدي[3] وبين امريء القيس وعلقمة بن عبدة[4] وغيرها . وهي في مجملها نماذج متقاربة تنبيء عن طبيعة النقد في ذلك العصر وتعطي صورة عن مساره واتجاهه"[5] .

ثم جاء الإسلام بمعجزته اللغوية الخالدة القرآن الكريم فأثرت في الملكة النقدية للعرب لما صاحبها من انقلاب في الأفكار والمفاهيم والمعتقدات والعواطف." ولعل خير من يمثل القيم الإسلامية في نقده الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي اللهُ عنه الذي نجده شخصية ذواقة للشعر حافظة له داعية إلى تحسينه وتجويده مشاركة للشعراء في نقاشهم حول الشعر وداعية بكل قوة أن يقف الشعر مع الإسلام ويبين فضائله وقيمه ولذلك نراه يجعل زهير بن أبي سلمى أشعر الشعراء لأنه كان (لا يعاظل بين الكلام ولا يتتبع حوشيه ولا يمدح الرجل إلا بما فيه)[6]

ثم لما أظل الناس العصر الأموي وما صاحبه من حركة سياسية عميقة وظهور تيارات مختلفة داخل الجسم الإنساني وتحولت العصبية القبلية إلى عصبية مذهبية ونتج عن كل ذلك رؤى جديدة في الشعر ونقده مهدت لنضج النقد لاحقاً في العصر العباسي.

لقد كان الفرزدق "مفطوراً على حب المعرفة يسعى وراء العلم ويجهد أن يروي ظمأه فيلقى العلماء والشعراء"[7] وهذا الحب للمعرفة جعل الفرزدق ينقب ويحفظ ويوازن في الشعر القديم مع ميل في نفسه إلى أنه الوريث الشرعي للشعراء القدامى الكبار وكل أولئك جعلت لنقده وزناً يدرك خطره النقاد فيما بعد.

ومما يدلل على سعة علم الفرزدق بالشعر والشعراء قصيدته التي مطلعها:

إن الـــذي ســـمك الســـماء بنـــى لنـــا بيتـــاً دعائمـــه أعـــز وأطـــول

1- المرزباني,الموشح,في,مآخذالعلماءعلى,الشعراء,تحقيق,علي محمدالبجاوي, دارنهضة,مصر,965 ص 82

2 - ابن قتيبة, الشعروالشعراء, تحقيق أحمد محمد شاكر, دارالحديث, القاهرة, ط2, 1423(1|223)

3 - الموشح للمرزباني ص 107

4- السابق, ص 28 - 30

5- الشعراء النقاد - الفرزدق. ص 15

6- القيرواني, ابن رشيق العمدة في محاسن الشعر وأدابه, تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد,دارالجيل,بيروت,ط4, 1972 (1|98)

7- الفرزدق ، دكتور شاكر الفحام ص 433

أما رؤاه النقدية للشعراء المعاصرين فهي تكشف ذائقة فذة تسبر الأغوار لتأتي بالدرر النقدية المتألقة وأول من يتناوله نقد الفرزدق هو جرير بن عطية الذي سارت بنقائضه مع الفرزدق الركبان وهو خير من اعتنى الفرزدق بنقده إذ هو صاحبه اللدود الذي تهاجى معه لمدة أربعين عاماً وهي أطول فترة للتهاجي بين شاعرين.

يقول الفرزدق في جرير: "إني وإياه لنغترف من بحر واحد وتضطرب دلاؤه عند طول النهز"[1].

إن الفرزدق في هذه النصوص المقتبسة آنفاً يعترف بشاعرية جرير وأنه متعمق في أساليب تصريف القول, وقد أنصفه حين قال: إنه يغترف وإياه من معين واحد إلا أنه يشير إلى ضعف جرير ويمثل ذلك باضطراب الدلو إذا طال النهز في إشارة إلى أنه لا تضطرب دلاؤه مهما طال النهز.

كذلك من المواضع التي سلم فيها الفرزدق بأحقية جرير في ريادة الشعر ما جاء في الأغاني من أن رجلاً سأل الفرزدق : "يا أبا فراس هل تعلم اليوم أحداً يرمي معك" فأجابه: لا والله ما أعرف نابحاً إلا وقد استكان ولا ناهشاً إلا وقد انجحر إلا القائل:

فـإن لـم أجـد فـي البعـد والقـرب حـاجتي تشـــآمت أو حولـــت وجهـــي يمانيـــا

وهذا الشعر لجرير.[2]

ويجمع الفرزدق بين جرير والأخطل ناقداً حيث يقول: "كفاك بي إذ افتخرت وابن المراغة إذا هجا وابن النصرانية إذا امتدح"[3] وهذا تقسيم من سمع أكثر شعر هذين الشاعرين وخبر مواضع قوتهما ومواضع ضعفهما حتى تكونت عنده مادة عرضها على علمه بالشعر فخرجت في هذه الكلمات الموجزة المعبرة عن خبرة ودراية وفهم, والأخطل غياث بن غوث كما قال الفرزدق فيه تقدمه في المديح فقد مدح ملوك الدولة الأموية فلم يعدلوا به غيره وقدموه على كل من مدحهم بعكس الفرزدق الذي إذا مدح اعتد بنفسه وفخر بقومه وذكر الناقة والبادية ونوار حتى يسأم منه الممدوح في حين أن الأخطل شاعر غلبت عليه المدنية وتهذبت ألفاظه فكان أقرب من الألفاظ والتراكيب التي تلائم الملوك والأمراء فيمدحهم بما يهزهم طرباً.وقد لحظ الفرزدق ذلك, وحين سئل عن أمدح أهل الإسلام فقال: "الأخطل أمدح العرب"[4]

وقيل للفرزدق: أنت أشعر أم الأخطل؟ قال: أنا! غير أن الأخطل قال أبياتاً ما استطعت أن أكافئه عليها، وهي قوله:

وَلَقـــدْ شَـــدَدْتَ علـــى المَراغـــةِ ســـرجَها حَتّـــى نَزَعْـــتَ، وأنـــتَ غيـــرُ مَجيـــدِ
وَعَصَـــرْتَ نُطفَتَهـــا لِتُـــدرِكَ دارِمـــاً، هَيهـــاتَ مـــن أمـــلٍ علَيـــكَ بَعيـــدِ

1 - أبو عبيدة, شرح النقائض, وضع حواشيه خليل عمران, منشورات محمد علي بيضون, دار الكتب العلمية,بيروت,لبنان,ط1 ,1998م ج2 ص 147

2 - الأغاني (51|7)

3 - السيوطي, شرح شواهد المغني, تصحيح محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي ,دار مكتبة الحياة, لبنان (123|1)

4- الأغاني (297|8)

وإذا تَعاظَمَـــتِ الأَمُـــورُ لِـــــدارِمٍ طَأْطَـــأْتَ رَأْسَـــكَ عـــنْ قَبائـــلَ صِـــيْدِ
وإذا عَـــدَدْتَ بيـــوتَ قومِـــكَ لـــم تجـــدْ بَيتـــاً كَبَيْـــتِ عُطـــارِدٍ ولَبيـــــــدِ
بَيـــتٌ تَـــزِلُّ العُصُـــمُ عـــن قُذُفاتِـــــهِ فـــي شـــاهِقٍ ذي مَنْعَـــةٍ، مَحمـــــــوُدِ[1]

وممن أعجب الفرزدق بشعره ذو الرمة غيلان بن عقبة من شعراء الدولة الأموية حتى قال فيه: "أخذ من ظريف الشعر وحسنه ما لم يسبقه إليه غيره"[2]

ودخل الفرزدق على عبد الملك بن مروان، فقال له: من أشعر أهل زماننا؟ قال: أنا يا أمير المؤمنين. قال: ثم من؟ قال: غلام منّا بالبادية يقال له ذو الرمة.[3]

ومع ذلك فإن الفرزدق بعد السبر لشعر ذي الرمة وإعجابه به أيضاً هو كاشف لرديئه فالفرزدق ناقد بصير ذكر جيد شعر ذي الرمة وخبر رديئه, زعم المدائنى أنّ ذا الرمة قال للفرزدق: كيف ترى شعري هذا يا أبا فراس- لشعر أنشده - ؟ قال: أرى شعراً مثل بعر الصّيران ، إن شممت شممت رائحة طيبة، و إن فتتّ فتت عن نتن[4].وهذه خلاصة نقد الفرزدق لشعر ذي الرمة.

أما عمر بن أبي ربيعة فقد تناشد مع الفرزدق الشعر حتى استخف الفرزدق الطرب ذلك أن شعر عمر فيه رقة الغزل التي افتقدها الفرزدق في شعره مع حاجته إليها في لهوه ومجونه, ولكن الفرزدق كما قيل ينحت من صخر فأين يجد الرقة في جنادله تلك..

جلس الفرزدق يوماً مع عمر بن أبي ربيعة فتناشدا الشعر حتى أنشد عمر قصيدته التي يقول فيها:

فلمـــاّ التَقَيْنـــا واطمأنَّـــتْ بنـــا النَّـــوَى وغُيِّـــب عنَّـــا مَـــنْ نخـــافُ ونُشْـــفِقُ

حتى انتهى إلى قوله:

فقُمْـــنَ لكـــي يُخْلِينَنـــا فترقرقـــتْ مَـــدامِعُ عَيْنَيْـــها وظلّـــتْ تَـــدَفَّقُ
وقالـــت أمَـــا ترحَمْنَنِـــي لا تَـــدَعْنَنِي لَـــدَى غَـــزلٍ جَـــمِّ الصَّـــبَابة يَخْـــرُقُ
فقلـــنَ اسْـــكُتِي عنَّـــا فلَسْـــتِ مُطَاعـــةً وخِلُّـــكِ منَّـــا فـــاعلمي بـــكِ أَرْفَـــقُ

فصاح الفرزدق أنت والله يا أبا الخطاب أغزل الناس لا يحسن والله الشعراء أن يقولوا مثل هذا.[5]

وبلغ إعجاب الفرزدق بشعر عمر مبلغاً كبيراً لما قدمنا من عجزه عن رقيق الشعر . سمع الفرزدق عمر بن أبي ربيعة ينشد قوله

1- القرشي, جمهرة أشعار العرب,دارالمسيرة,بيروت,1978 مصورة عن طبعة بولاق (1|26)
2- الأغاني (16|113)
3- الموشح (1|199)
4- الموشح (1|297)
5 - الأغاني (1|160)

جَـــرَى ناصـــحٌ بـــالوُدِّ بينـــي وبينهـــا فقرّبنـــي يـــوم الحِصـــابِ إلـــى قتلـــي

ولما بلغ قوله

فَقُمْـــنَ وقـــد أفهمـــنَ ذا اللـــبّ أنمـــا أَتَـــيْنَ الـــذي يـــأتينَ مـــن ذاك مـــن أجلـــي

صاح الفرزدق هذا والله الذي أرادته الشعراء فأخطأته وبكت على الديار.[1]

ومع ذلك لا يرضى الفرزدق أن يتقدمه أحد فما يلبث أن يخرج لابن أبي ربيعة بعضاً من هناته.

أتى عمر بن أبى ربيعة الفرزدق فأنشده من شعره، و قال: كيف ترى شعرى؟ قال: أرى شعراً حجازيّا إن أنجد اقشعّر. فقال له: حسدتنى. فقال: يابن أخي، علام أحسدك؟ أنا و الله أعظم منك فخراً، و أحسن منك شعراً، و أعلى منك ذكراً. ثم قال:

أصـــبحت يـــابن أبـــى ربيعـــة حقّـــة سـمعت هـــدير مســـدّم مقـــروم

و لقـــد خزمتـــك و الخـــزام مذلّـــة و لـــذلّها دعيـــت بنـــى مخـــزوم(2)

هذه نماذج من نقد الفرزدق تبين كيف كان منصفاً لكثير من الشعراء الذين ينافسونه ومع ذلك لم تمنعه المنافسة من الإنصاف وهي صفة اتصف بها الفرزدق, وفي تلك النماذج أيضاً قوة الفرزدق في النقد الموجود في زمانه من الكلام على البيت والبيتين والقصيدة والقصيدتين أو النظر إلى ما يمتاز به كل شعر من الفلج في فن معين من فنون الشعر وذلك أن النقد بمعناه الشامل الذي يدرس الشاعر وبيئته وعصره ونتاجه الشعري وأثر كل ذلك على إنتاج الشاعر قلة وكثرة جودة ورداءة حتى يخرج الناقد بتوصيف متكامل للظاهرة الأدبية بالنسبة إلى عصرها والعصور التي قبلها والتي تلتها وصولاً إلى ينابيع الإبداع ومواطن الابتكار ونقاط الضعف وأثر النفس والبيئة والعصر على كل ذلك.

1 - الأغاني (1|125)

2 الموشح (1|168)

الفصل الأول

أنماط صور الممدوحين في شعر الفرزدق:
صورة الخليفة

التقديم

للخلفاء مكانة سامية ورتبة عالية في حفظ الدين وسياسة الدنيا لذا كانوا غرضاً لمديح الشعراء ومعرضاً لثناء الخطباء خاصة وقد نوهت الشريعة بمكانتهم وحذرت من الافتئات عليهم وعداوتهم والفرزدق شأنه شأن شعراء زمانه جعل للخلفاء نصيباً من مدائحه وأبدع في ذلك واستحق الجوائز وعلا كعبه عند الكثير منهم مع حذرهم من

لسانه. ولقد اضطر الفرزدق إلى مدح خلفاء بني أمية بعد أن كان لا يميل إلى ذلك خاصة في زمان معاوية ومن بعده ابنه يزيد: لأنه يرى أن قبيلته لا تقل في السيادة والشرف عن الأمويين "ولما استتب الأمر لبني أمية لم يجد الفرزدق بداً من السير في ركابهم فمدح عبد الملك بن مروان.."[1].

"والفرزدق وإن كان من شعراء المدح المحترفين، كما يحلو لبعض الدارسين أن يسميهم، لم يكن هدفه التكسب المحض في كل الحالات، بل كثيراً ما كان يمدح المكرمات لذات المكرمات، وكثيراً ما كان يمدح الخلفاء لتهتز أريحيتهم للجود. مصرحاً أثناء المدح بقول الحق، داعياً إلى الخير، كما عبر عن ذلك في غير ما مناسبة. أليس هو القائل في قصيدة مدح بها سليمان بن عبد الملك:

مـــــا قلـــــت إلا الحـــــق تعرفـــــه فـــي القـــول مـــرتجلاً وفـــي الشـــعر[2]

"اتخذ الفرزدق غالباالمدح وسيلة إلى التكسب من هنا خرج مديحه عن الإخلاص, مدح الأمويين لكثرة المال لديهم ولم يمدح الهاشميين لقلته بين أيديهم, غالى في مدح بني أمية على قدر ما كان ينتظر من نوالهم حتى قال ما خالف مذهبه. فأثبت حقهم في الخلافة وبذل ماء وجهه في سبيل عطاياهم. دافعه الأساسي للمديح مصلحته المادية أو مصلحة قبيلته. وإلى هذا مرد ذاك الاضطراب البادي في مدائح الفرزدق بين الأمويين وأبناء الزبير بل بين من تتابع من الولاة على البصرة والكوفة كأبناء المهلب والحجاج وخالد القسري وغيرهم. ولم يجد غضاضة في أن يمدح ثم يهجو كما فعل في شأن الحجاج ولا في أن يهجو ثم يمدح كما فعل في شأن هشام بن عبد الملك على أن هذه المدائح الضئيلة الإخلاص النفعية الإلهام أفادتنا المعلومات الجمة في مآتي الملوك الأمويين داخلاً وخارجاً من اتساع فتوحاتهم وإنشائهم المصانع. كما أفادتنا في شؤون الإدارة والاجتماع وما إليهما. وهي ميزة مهمة لشعر الفرزدق تجعله فوق روعته الفنية مصدراً من مصادر التاريخ الأموي جديراً بالانتباه والدرس"[3].

ومما يشار إليه فإن الفرزدق كان الواسطة بين قبيلته تميم وخلفاء بني أمية في كل ما تحتاجه القبيلة في أمورها الكبيرة "فنراه يحتل بجدارة تلك المنزلة الأولى في تميم يصدح بمآثرها وبطولاتها وإن لم يكن له شخصياً نصيب كبير من تلك البطولات ... ويتوسط لدى الخلفاء والأمراء الأمويين بشأن خلافاتها معهم أو مع غيرهم من القبائل..."[4].

ومن الأشياء المهمة أن نذكر أن الفرزدق كان يخلط مدحه للخلفاء بفخره بنفسه وقومه"ونغص على الخلفاء استماعهم كلامه ولو كان جيداً. وكان جرير يعرف ذلك منه فإذا اجتمعا على باب خليفة وخرج الإذن لهما قدمه

---

1 -المديح في شعر الفرزدق، رسالة ماجستير إعداد نادية سيد البري، جامعة الأزهر فرع البنات ، 1990 ص 43

2- المؤدب، محمد الأمين ، الاتباع والابتداع في الشعر الأموي القصيدة المادحة أنموذجاً، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، ط1 ، 1423|2002م، ص 233- 234.

3 - الفرزدق ، د. محمود حمود ، دار الفكر اللبناني – بيروت ، الطبعة الأولى 1991م ص 70

4- الفرزدق، خليل شرف الدين ، دار ومكتبة الهلال – بيروت ، الطبعة الأولى 1996 ص 48

جرير على نفسه لعلمه أنه قليل المدح كثير الفخر. فإذا دخل بعده أفاض في المدح وأوجز في غيره. وإذا مهد المدح بالنسيب جاء به رقيقاً عذباً يعيد في الممدوح الكهل ذكرى الشباب وينشط في الشاب قوة الطرب"[1] وتدور ممادح الفرزدق للخلفاء حول وصفهم بالعدل والكرم ونبل المحتد والأصل والشجاعة والفروسية.

العدل:

العَدْلُ: القصد في الأمور وهو خلاف الجور يقال "عَدَلَ" في أمره "عَدْلاً" من باب ضرب.[2]

قال في سليمان بن عبد الملك:

وَلَقَد هَدى بِكَ كُلَّ مُلتَبَسٍ ... وَشَفى بِعَدلِكَ كُلَّ ذي غِمرِ
حَتّى اِستَقامَ لِوَجهِهِ سُنَّتِهِ ... وَدَرى وَلَم يَكُ قَبلَها يَدري
وَأَخَذتَ عَدلاً مِن أَبيكَ لَنا ... وَقَلَعتَ عَنّا كُلَّ ذي كِبرِ
عاتٍ إِذا المَظلومُ ذَكَّرَهُ ... أَغضى عَلى عِظَمٍ مِنَ الذِكرِ[3]

يبين أن العدل مأثرة نمت إليه من أبيه فهو يحركه تذكير المظلوم حتى يغضي تألماً لحاله.

وقال في عمر بن عبد العزيز:

وَكانَ آلُ أَبي العاصي إِذا غَضِبوا ... لا يَنقُضونَ إِذا ما اِستُحصِدَ المِرَرُ
يَأبى لَهُم طولَ أَيديهِم وَأَنَّ لَهُم ... مَجدَ الرِهانِ إِذا ما أُعظِمَ الخَطَرُ
إِن عاقَبوا فَالمَنايا مِن عُقوبَتِهِم ... وَإِن عَفَوا فَذَوُو الأَحلامِ إِن قَدَروا[4]

من عدلهم لا يهيجهم غضب على الانتقام وإن عاقبوا فبما يستحق الظالم وإلا عفوا وهم أهل لذلك.

وقال في هشام بن عبد الملك:

فَلَستُ أَخافُ الناسَ ما دُمتَ سالِماً ... وَلَو أَجلَبَ الساعي عَلَيَّ بِحُسَّدي
سَيَأبى أَميرُ المُؤمِنينَ بِعَدلِهِ ... عَلى الناسِ وَالسَبعَينِ في راحَةِ اليَدِ
وَلا ظُلمَ ما دامَ الخَليفَةُ قائِماً ... هِشامٌ وَما عَن أَهلِهِ مِن مُشَرَّدِ[5]

1 - الفرزدق حياته وشعره، كمال أبو مصلح، ص 33- 34
2 - الفيومي, أحمد محمد, المصباح المنير, المكتبة العلمية بيروت (1|206)
3 - ديوان الفرزدق, تحقيق علي فاعور,دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 1407هـ ,ج1, ص 230
4- ديوان الفرزدق ص 164
5- ديوان الفرزدق ص 128

من أمن غائلة الظلم فلن يخاف من شيء وأمير المؤمنين كهف يلوذ به المظلوم وذلك لسعة عدله.

الكرم والجود:

الكرم: محركة ضد اللؤم ويكون في الرجل بنفسه ، وإن لم يكن له آباء ،ويستعمل في الخيل والإبل والشجر ، وغيرها من الجواهر إذا عنوا العتق وأصله في الناس . قال ابن الأعرابي : | كرم الفرس : أن يرق جلده ، ويلين شعره ، وتطيب رائحته . وقال بعضهم : الكرم : مثل الحرية إلا أن الحرية قد تقال في المحاسن الصغيرة والكبيرة ، والكرم لا يقال إلا في المحاسن الكبيرة.[1]

الجود: جَادَ بماله يجود جُوداً فهو جَوَادٌ وقوم جُودٌ بوزن هود و أجْوَادٌ بالفتح و أجَاوِدُ بوزن مساجد و جُوَدَاءُ بوزن فقهاء وكذا امرأة جوَادٌ ونسوة جُودٌ.[2]

والكرم من سجايا العرب القديمة التي جبلوا عليها حتى ضرب المثل ببعضهم كحاتم الطائي مما لا تجده في أمة سواهم ولهم في ذلك أشعار وقصص ومناقب تثير الدهشة وتحير العقل.

والخلفاء الذين هم صفوة الناس خلقاً وتربية ونسباً أولى من غيرهم بالجود خاصة والمال بين أيديهم والملك يظلهم وذوو الحاجات يطرقون أبوابهم والشعراء يكتنفونهم من كل جانب.

قال في يزيد بن عبد الملك:

وَمـــا لِـــيَ لا أَســـعى إِلَيـــكَ مُشَـــمِّراً ... وَأَمشـــي عَلـــى جَهـــدٍ وَأَنـــتَ رَجائِيـــا
وَكَفّـــاكَ بَعـــدَ اللَـــهِ فـــي راحَتَيهِمـــا ... وَأَمشـــي عَلـــى جَهـــدٍ وَأَنـــتَ رَجائِيـــا
وَأَنـــتَ غِيـــاثُ الأَرضِ وَالنـــاسِ كُلِّهِـــم ... بِـــكَ اللهُ قَـــد أَحيـــا الَّـــذي كـــانَ بالِـــيا[3]

لا أعظم في المدح من تشبيه الممدوح بالغيث إذ أن الغيث ينتظم البلاد ولا ينتقي.

وقال في هشام بن عبد الملك:

رَأَيـــتُ سَـــماءَ اللهِ وَالأَرضِ أَلقَتـــا ... بِأَيـــديهِما لِإِبـــنِ المُلـــوكِ القَمـــاقِمِ[4]
وَكُنـــتَ لَنـــا غَيـــثَ السَـــماءِ الَّـــذي بِـــهِ ... حَيِينـــا وَأَحيـــا النـــاسَ بَعـــدَ البَهـــائِمِ[5]

في تقديمه البهائم على الناس نكتة لطيفة وهي أن الناس يستفيدون من البهائم لحمها ولبنها وإن بيعت أغنت وإن كثرت كانت مجالاً للفخر وتشجيعاً على الكرم ففي حياتها الكثير من جوانب حياة الناس.

1 - الزبيدي, محمد, تاج العروس من جواهر القاموس, دار الفكر,بيروت, ط1, 1414هـ (33|335)
2 - الرازي, زين الدين, مختار الصحاح ,تحقيق يوسف الشيخ محمد, المكتبة العصرية, بيروت ط5 1420(1|119)
3 - ديوان الفرزدق ص 646
4 - القمقام السيد الجامع للسيادة الواسع الخير والجمع قماقم
5 - ديوان الفرزدق ص 606

وقال فيه أيضاً:

أَبَــت لِهِشــامٍ عــادَةٌ يَستَعيدُهــا ... وَكَــفُّ جَــوادٍ لا يُسَــدُّ اِنثِلامُــها
كَــما اِنثَلَمَــت مِــن غَمــرِ أَكــدَرَ مُفعَــمٍ ... فُراتِيَّــةٌ يَعلــو الصَــراةَ اِلتِطامُــها
هِشــامٌ فَتــى النــاسِ الَّــذي تَنتَهــي المُــنى ... لَيــهِ وَإِن كانَــت رِغابــاً جِسامُــها
وَإِنّــا لَنَســتَحيِيكَ مِمّــنَ وَراءَنــا ... مِــنَ الجَهــدِ وَالآرامُ تُبلــى سِــلامُها
فَــدونَكَ دَلــوي إِنَّهــا حــينَ تَســتَقي ... بِفَــرغٍ شَــديدٍ لِلــدِلاءِ اِقتِحامُهــا[1]

يقول في ممدوحه أنه منتهى آمال الراغبين وإن عظمت مطلوباتهم فهو الفرات لا تكدره الدلاء وإن كثرت.

وقال في الوليد بن عبد الملك:

الحَكَــمُ اِبــنُ أَبــي العاصــي الَّــذينَ هُــمُ ... غَيــثُ الــبِلادِ وَنــورُ النــاسِ فــي الظُلَــمِ
مِــنهُم خَلائِــفُ يُستَســقى الغَمــامُ بِهِــم ... وَالمُقحِمــونَ عَلــى الأَبطــالِ فــي القَــتَمِ
رَأَت قُــرَيشٌ أَبــا العــاصي أَحَقَّهُــمُ ... بِــاِثنَينِ بِالخــاتَمِ المَيمــونِ وَالقَلَــمِ
رَأَت قُــرَيشٌ أَبــا العــاصي أَحَقَّهُــمُ ... مِــنَ الخَلائِــقِ أَخلاقــاً مِــنَ الــكَرَمِ[2]

يصف آل مروان بأنهم غيث البلاد والعباد وأنهم النور والضياء وقت الظلام والفتن , وأنهم كالغمام الممطريسقي الناس ويغيثهم, وانظروا إلى روعة التكرار (خلقوا.. الخلائق .. أخلاقاً)

وقال في سليمان بن عبد الملك:

فَــإِنَّ أَمامَــكِ المَهــدِيَّ يَهــدي ... بِــهِ الــرَحمَنُ مَــن خَشِــيَ الضَــلالا
وَقَصــرُكِ مِــن نَــداهُ فَبَلِّغينــي ... كَفَــيضِ البَحــرِ حــينَ عَــلا وَســالا
نَظَرتُــكَ مــا اِنتَظَــرتُ اللَهَ حَتّــى ... كَفــاكَ المــاحِلينَ بِــكَ المَحــالا[3]

شبه كرم الممدوح بالبحر حين فيضانه وسيلانه ترى فيه آثار رحمة الله.

وقال في عمر بن عبد العزيز:

زِيــارَةَ بَيــتِ اللهِ وَاِبــنِ خــلِيفَةٍ ... تَحَلَّــبُ كَفّــاهُ النَــدى وَأَنامِلُــه
وَكــانَ بِمِصــرَ اِثنــانِ مــا خــافَ أَهلُهــا ... عَــدُوّاً وَلا جَــدباً تُخــافُ هَزابِلُــه
لَــدُن جــاوَرَ النيــلَ اِبــنُ لَيلــى فَإِنَّــهُ ... يَفــيضُ عَلــى أَيــدي المَســاكينِ نابِلُــه
فَأَصــبَحَ أَهــلُ النيــلِ قَــد ســاءَ ظَنُّــهُم ... بِــهِ وَاِطمَأَنَّــت بَعــدَ فَــيضٍ سَــواحِلُه[4]

يقارن بين الممدوح في كرمه وجوده وبين النيل في فيضانه حتى جعل الناس يذهلون عن النيل من شدة كرم الممدوح.

---

1 - ديوان الفرزدق ص 552
2 - السابق ص 537
3 - ديوان الفرزدق ص 445
4 - السابق ص 431

وقال في يزيد بن عبد الملك:

إلـــى خَيـــرِ أَهـــلِ الأَرضِ أَمّـــاً وَخَيـــرِهِم ... أَبـــاً وَأَخـــاً إِلّا النَبِـــــــيَّ وَعُنصُـــــرا
ســـأَثني عَلـــى خَيـــرِ البَرِيَّـــةِ وَالّـــــذي ... عَلـــى النـــــاسِ نـــاءَ الغَيـــثُ مِنـــهُ فَـــأَمطَرا
أَرى اللَهَ فـــي كَفَّيـــكَ أَرسَـــلَ رَحمَـــــــةً ... عَلـــى النـــاسِ مِـــلءَ الأَرضِ مـــاءً مُفَجَّـــرا[1]

جعل ممدوحه مسيل رحمة الله إلى الناس فملأ الله به الأرض ماء فاخضرت وأزهرت فاطمأنت النفوس ورتعت البهائم.

الشجاعة:

شَجُع شَجاعَة: اشتد عند الباس. ورجل شُجاع، وشِجاع، وشَجاع، وأشْجَع، وشَجِعٌ وشَجِيع، وشِجَعَة.[2]
الشجاعة صفة حميدة في كل الأمم وهي تشمل الحزم والقوة وشدة البأس, والعرب قبل الإسلام كانوا يحتاجون إلى الشجاعة لأن بعضهم كان يغير على بعض ويكثر فيهم النهب والسلب والسبي فحياتهم بلا أمان, ولما جاء الإسلام حول هذه الطاقة الجبارة إلى الجهاد في سبيل الله فتحركت جيوش العرب في مشارق الأرض ومغاربها تفتح البلدان وقد أظهروا شجاعة نادرة أرهبت جيوش الأعداء.
والخلفاء كانوا من الشجاعة والحزم والمكيدة وحسن التدبير في المكانة العالية وحولهم من ذوي الرأي والتدبير والشجاعة قوم يستضيئون بأفكارهم وينفذون خططهم فكانت خلافة بني أمية مثالاً للشجاعة وحسن التدبير.
قال في يزيد بن عبد الملك:

إِلـــى ضَـــرَبتَ بِسَـــيفٍ كـــانَ لاقـــى مُحَمَّـــدٌ ... وأَهـــلَ بَـــدرٍ عاقِـــدينَ النَواصِيـــــــــا
فَلَمّـــا اِلتَقَـــت أَيـــدٍ وَأَيـــدٍ وَهَزَّتـــــــا ... عَـــوالِيَ لاقَـــت لِلطِعـــانِ عَوالِيـــــــــا
أَراهُـــم بَنـــو مَـــروانَ يَـــومَ لَـــــقوهُمُ ... وبابـــلَ يَومـــاً أَخـــرَجَ الـــنَجمَ بادِيـــــــا
بَكَـــوا بِسُـــــيوفِ اللَهِ لِلـــــدينِ إِذ رَأَوا ... مَـــعَ الســـودِ وَالحُمـــرانِ بِـــالعَقرِ طاغِيـــا[3]

نعم الشجاعة حين توجه لنصرة الحق لا لتثبيت الباطل وهنا يمدح بني مروان بأنهم يضربون بسيف الله ولا يخشون في بناء صرح الدين لومة لائم.
وقال في الوليد بن عبد الملك:

يَخشَـــونَ مِـــن شُـــرُفاتِ الســـورِ سَـــورَتَهُ ... وَهُـــم عَلـــى مِثـــلِ فَحـــلِ الطَـــودِ مِـــن خِـــيَمِ
القاتِـــلُ القِـــرنَ وَالأَبطـــالُ كالِحَـــــــةٌ ... وَالجـــوعَ بالشّـــحمِ يـــوْم القِطقِـــط الشَّـــبِمِ[4]

يخشى الناس صولة الممدوح بالرغم من تحصنهم خلف الأسوار العالية فسورة الممدوح تهد الجبال الرواسي.

---

1 - ديوان الفرزدق ص 297
2- المرسي, أبو الحسن, المحكم والمحيط الأعظم, تحقيق عبدالحميد هنداوي, دار الكتب العلمية,بيروت,ط1 2000 م(1|100)
3 - ديوان الفرزدق ص 646
4- القطقط: صغار البرد الذي يتوهم برداً أو مطراً. والشبم محركة البَرْدُ واليوم القطقط الشبم اليوم البارد المصحوب بالرذاذ. ديوان الفرزدق ص 537

وقال في عمر بن عبد العزيز:

أَرادَ اِبـــنَ عَشـــرٍ أَن يَنـــالَ الّتـــي غَلَـــت ... عَلـــى الشـــيبِ مِـــن مَجـــدٍ تَســـامى أَطاوِلُـــه
فَـــوُرِّعَ تَوريـــعَ الجِيـــادِ عِنانُـــــــهُ ... فَمـــا جـــاءَ حَتّـــى ســـاوَرَ الشَـــمسَ قابِلُـــه[1]

شب الممدوح على الشجاعة منذ نعومة أظافره وهو يحاول ما تحاوله الأكابر ففاق أقرانه وأصبح أول الشجعان.

كرم الأصل:

كانت العرب من دون الأمم الأخرى تهتم بأنسابها ونقاء أصولها وتعير بخمول النسب وضعة الأصل ولذلك أكثر شعراء المديح من ذكر نصاعة أصول الممدوحين من جهة آبائهم ومن جهة أمهاتهم.

وخلفاء بني أمية في النسب في المحل الأرفع والموضع الأسمى فهم قرشيون, وزادهم كونهم من رهط النبي صلى الله عليهِ وسلم عزاً إلى عزهم ومن أجل ذلك توسلت إليهم الشعراء بمدح هذه الناحية منهم فنالوا بسبب ذلك وغيره الجوائز والقرب.

يقول الفرزدق في يزيد بن عبد الملك:

لَكُـــم أَبطَحاهـــا الأَعظَمـــــانِ وَسَيلُهـــــــا ... لَكُـــم حـــينَ يَرمـــي مَوجُهـــا بِـــالعَلاجِمِ
تُـــراثُ أَبـــي العـــــاصي لُـــؤَيِّ اِبـــنِ غالِـــبٍ ... عَلـــى أَنـــفِ راضٍ مِـــن مَعَـــدٍّ وَراغِـــمِ
وَرِثـــتُم خَليـــلَ اللـــــهِ كُـــلَّ خِزانَـــــةٍ ... وَكُـــلَّ كِتـــابٍ بِـــالنُبُوَّةِ قائِـــــــمِ[2]

قريش أشرف العرب وهم أصحاب ميراث الخليل إبراهيم عليه السلام فلا أشرف منهم في العرب قاطبة.

وقال في هشام:

نَمَتـــكَ مَنـــافٌ ذِروَتاهـــا إِلـــى العُلـــى ... وَمِـــن آلِ مَخـــزومٍ نَمـــاكَ عِظامُهـــا
أَلَـــيسَ اِمـــرُؤٌ مَـــروانُ أَدنـــى جُـــدودَهُ ... لَـــهُ مِـــن بَطـــاحِيِّ لُـــؤَيٍّ كِرامُهـــا
أَحَـــقَّ بَنـــي حَـــوّاءَ أَن يُـــدرِكَ الَّتـــي ... عَلَـــيهِم لَـــهُ لا يُســـتَطاعُ مَرامُهـــا[3]

في قريش فإن بني عبد مناف هم ذروة الشرف فيها وهم سادتها وأكابرها.

وقال في الوليد بن عبد الملك:

نَمـــاكَ عَظـــيمُ القَـــريَتَينِ فَـــأَصبَحَت ... لَـــكَ العُـــروَةُ الـــوُثقى الشَـــديدُ دِخالُهـــا
عَلـــى النـــاسِ أَعطَوهـــا أَبـــاكَ فَأَصـــبَحَت ... إِلَيـــهِ مَقاليـــدُ الأُمـــورِ وَمالـــــهُا[4]

يوظف الفرزدق ثقافته القرآنية في المدح خير توظيف فتعطي المدحة رونقاً وبهاءً. وذلك في قوله: عظيم القريتين.

وقال في الوليد بن يزيد:

1- ديوان الفرزدق ص 431
2 -السابق ص 590
3 - السابق ص 552
4 - السابق ص 485

وَرِثَ الخِلافَـــــةَ سَـــــبعَةَ آبـــــاءَهُ عَمِـــــروا وَكُلّهُـــــمُ لِأعلـــــى المِنبَـــــرِ
رَبٌّ عَلَيـــــهِ يَظَـــــلُّ يَخطُـــــبُ قائِمـــــاً لِلنـــــاسِ يَشـــــدَخُهُم[1] بِمُلـــــكٍ قَســـــوَرِ
وَرِثـــــوا مَشـــــورَتَها لِعُثمـــــانَ الَّتـــــي كانَـــــت تُـــــراثَ نَبِيّنـــــا المُتَخَـــــيَّرِ
وَعِمـــــادُ بَيتِـــــكَ فـــــي قُـــــرَيشٍ رُكِّبَـــــت فـــــي الأَكـــــرَمينَ وَفـــــي العَديـــــدِ الأَكثَـــــرِ[2]

ينحدر الممدوح من آباء وأجداد فيهم السؤدد والكثرة والنبوة والشهادة فهو خيار من خيار .

رعاية الإسلام:

بعد انخراط العرب في الإسلام صار من أعظم ممادحهم وأسمى مفاخرهم خدمة الدين الإسلامي ورعايته والقيام بأمره فاجتهد الخلفاء والأمراء والولاة في ذلك فمن قيام بأمر الحرمين بناء وتوسعة وترميماً والعناية بحجاج بيت الله وحماية الثغور وبعث البعوث في الجهاد في سبيل الله وتقريب العلماء واستشارتهم والقيام بحقوقهم.

يقول شوقي ضيف:

" فالشعر الأموي كتب في ظلال نفسية جديدة آمنت بربها واستشعرت حياة تقية صالحة فيها نسك وعبادة وفيها تقوى وزهد وليس معنى ذلك أن كل الشعراء كانوا ناسكين زاهدين وإنما معناه أن الحياة الروحية الجديدة لم تنفصل عن حياتهم الفنية بل أثرت في كثير من جوانبها وطورتها وظهر هذا التطور في صور مختلفة ويكفي أن نتصفح ديوان شاعر كالفرزدق الذي اشتهر بفسقه واستهتاره لنعرف أنه لم ينفصل عن الإسلام وأنه تأثر به"[3]

قال في يزيد بن عبد الملك:

ومـــــا وَجَـــــدَ الإســـــلامُ بَعـــــدَ مُحَمَّـــــدٍ وَأَصـــــحابِهِ لِلـــــدينِ مِثلَـــــكَ راعِيـــــا[4]

إن الخليفة خير من يحمي الدين بعد محمد, فالإسلام خير أديان البرية ديناً.

وقال في هشام بن عبد الملك:

رَأَيـــتُ بَنـــي مَـــروانَ عَنـــهُ تَوارَثـــوا رَواسِـــيَ مُلـــكٍ راسِـــياتِ الدَعائِـــمِ
عَصـــا الـــدينِ وَالعـــودَينِ وَالخـــاتَمَ الَّـــذي بِـــهِ اللـــهُ يُعطـــي مُلكـــهُ كُـــلَّ قـــائِمِ
وَكُنـــتَ لِأَمـــرِ المُســـلِمينَ وَديـــنِهُم لَـــدُن حَيـــثُ تَمشـــي عَـــن حُجـــورِ الفَـــواطِمِ
يَقـــولُ ذَوُو العِلـــمِ الَّـــذينَ تَكَلَّمـــوا بِـــهِ عَـــن رَســـولِ اللهِ مِـــن كُـــلِّ عالَـــمِ
وَلَـــو أُرسِـــلَ الـــروحُ الأَمـــينُ إِلـــى اِمـــرِئٍ سِـــوى الأَنبِيـــاءِ المُصـــطَفَينَ الأَكـــارِمِ
إِذاً لَأَتَـــت كَفَّـــي هِشـــامٍ رِسالَـــةٌ مِـــنَ اللَـــهِ فيهـــا مُنـــزَلاتُ العَواصِـــمِ[5]

شيء من غلو يسير في الممدوح ونسبة شيء إلى أهل العلم فيه مجازفة ولكن توظيف شاعري أخاذ .

وقال في الوليد بن يزيد:

1- الشدخ: الكسر في كل شيء رطب.
2 - ديوان الفرزدق ص 290
3 - شعر الفرزدق بين أصداء الجاهلية وصوت الإسلام ، د. محمد كريم أحمد ،ص 126
4 - ديوان الفرزدق ص 646
5 - السابق ص 606

إنّـــي إلـــى خَيـــرِ البَرِيَّـــةِ كُلِّهـــــا رَحَلـــتُ وَمـــا ضـــاقَت عَلَـــيَّ المَطـــامِعُ
إِلـــى القائِـــدِ المَيمـــونِ وَالمُهتَـــدى بِـــهِ إِذِ النـــاسُ مَتبـــوعٌ وَآخَـــرُ تابِـــعُ
طُبِعـــتَ عَلـــى الإِســـلامِ وَالحَـــزمِ وَالنَـــدى أَلا إِنَّمـــا تُبـــدي الأُمـــورَ الطَبائِـــعُ[1]

تعود محبة الممدوح للدين وخدمة من سجيته وطبعه ومن كان طبعه الخير غلب من تطبع به.

وقال في عبد الملك بن مروان:

إذا لاقـــى بَنـــو مَـــروانَ سَـــلّوا لِـــدينِ اللَهِ أَســـيافاً غِضابـــا
صَـــوارِمَ تَمنَـــعُ الإِســـلامَ مِـــنهُم يُوَكَّـــلُ وَقعُهُـــنَّ بِمَـــن أَرابـــا
بِهِـــنَّ لَقـــوا بِمَكَّـــةَ مُلحِديهـــا وَمَســـكِنَ يُحسِـــنونَ بِهِـــا الضَـــرابا
فَلَـــم يَتـــرُكنَ مِـــن أَحَـــدٍ يُصَـــلّي وَراءَ مُكـــذِّبٍ إِلّا أَنـــابـــا
إِلـــى الإِســـلامِ أَو لاقـــى ذَميمـــاً بِهـــا رُكـــنَ المَنِيَّـــةِ وَالحِســـابا[2]

يحاول أن يجعل من محاربة بني أمية لابن الزبير حرب من آمن لمن ألحد في الحرم؛ وذلك لكي يظهر سطوة بني أمية وشدتهم على أعدائهم .

وقال فيه أيضاً:

إذا أَتَيـــتَ أَميـــرَ المُـــؤمِنينَ فَقُـــل بِالنَصـــحِ وَالعِلـــمِ قَـــولاً غَيـــرَ مَكـــذوبِ
مَـــا العِـــراقُ فَقَـــد أَعطَتـــكَ طاعَتَهـــا وَعـــادَ يَعمُـــرُ مِنهـــا كـــلُّ تَخريـــبِ
أَرضٌ رَمَيـــتَ إِلَيهـــا وَهـــيَ فاسِـــدَةٌ بِصـــارِمٍ مِـــن سُـــيوفِ اللَهِ مَشـــبوبِ
لا يَغمِـــدُ السَـــيفَ إِلّا مـــا يُجَـــرِّدَهُ عَلـــى قَفـــا مُحـــرِمٍ بِالســـوقِ مَصـــلوبِ
مُجـــاهِدٍ لِعُـــداةِ اللَهِ مُحتَسِـــبٍ جِهـــادَهُم بِضِـــرابٍ غَيـــرَ تَـــذبيبِ[3]

جعل حروب بني أمية لتوطيد ملكهم من الحروب المقدسة المقصود منها حماية جناب الإسلام في تطويع حسن للغة والبلاغة والبيان فسحر الناس بتبيينه.

النجدة:

ورجل نَجْد، ونَجِد، ونَجُد، ونَجِيد: شجاع ماض فيما يعجز عنه غيره. وقيل: هو الشديد البأس. وقيل هو السريع الإجابة إلى ما دعي إليه، خيرا كان أو شرا.[4]

والعرب كانت تعد من مزاياها النجدة والإسراع في الأخذ بيد المحتاج وذلك أنها كانت تعيش في مجتمعات متفرقة لا يربط بينها حاكم يرعى شؤونها فاضطرت أن تقوم بدور الحاكم في رعاية المحتاجين إلى النجدة.

1- ديوان الفرزدق ص 355
2- السابق ص 24
3السابق ص 25
4المحكم والمحيط الأعظم (3|272)

ولما جاء الإسلام وثق عرى النجدة وهذبها بأن تكون خالصة لله لا ترجى منها فائدة دنيوية ولما كان الخلفاء مأمورين برعاية شؤون الرعية صارت النجدة في حقهم واجباً فقاموا بها خير قيام وصاروا كهوفاً يلجأ إليها من تعرضوا للظلم.

قال في هشام بن عبد الملك:

أَلَـــم تَـــذكُروا يـــا آلَ مَـــروانَ نِعمَـــــةً ... لِمَـــروانَ عِنـــدي مِثلُهـــا يَحقُـــنُ الـــدَما
بِهـــا كـــانَ عَنّـــي رَدُّ مَـــروانُ إِذ دَعـــا ... عَلَـــيَّ زِيـــاداً بَعـــدَما كـــانَ أَقسَـــما
لِيَقـــتَطِعَن حَرفَـــي لِســـاني الَّـــذي بـــهِ ... لِخِنـــدِفَ أَرمـــي عَـــنهُمُ مَـــن تَكَلَّـــما
وَكُنـــتُ إِلـــى مَـــروانَ أَســـعى إِذا جَنـــى ... عَلَـــيَّ لِســـاني بَعـــدَما كـــانَ أَجرَمـــا
وَمـــا بـــاتَ جـــارٌ عِنـــدَ مَـــروانَ خائِفـــاً ... وَلَـــو كـــانَ مِمَّـــن يَتَّقـــي كـــانَ أَظلَمـــا[1]

حين يستشعر الفرزدق الخوف فإنه يستنجد بمن يظن فيه نجدته وهنا يهرب إلى كنف الممدوح من جناية لسانه وما أكثر جناياته بلسانه!

وقال في سليمان بن عبد الملك:

إِلـــى مُطلِـــقِ الأَســـرى سُـــلَيمانَ تَلتَقـــي ... خَـــذاريفُ[2] بَـــينَ الراجِعـــاتِ نِعالُهـــا
كَـــأَنَّ نَعامـــاتٍ يُنَـــتَّفنَ خُضـــرَةً ... بِصَـــحراءَ مِمـــراحٍ كَثيـــرٌ مَجالُهـــا
يُبـــادِرنَ جُـــنحَ اللَيـــلِ بيضـــاً وَغُبـــرَةً ... ذُعِـــرنَ بِهـــا وَالعـــيسُ يُخشـــى كَلالُهـــا
كَـــأَنَّ أَخـــا الهَـــمِّ الَّـــذي قَـــد أَصـــابَهُ ... بِـــهِ مِـــن عَقابيـــلِ القَطيـــفِ مُلالُهـــا

يلقب ممدوحه بمطلق الأسرى ثم يصور أحوال الرواحل وهي تلتحف جنح الظلام حاديها الخوف إلى الممدوح ترجو أمانه.

وقال في يزيد بن عبد الملك:

وَلا جـــارَ بَعـــدَ اللهِ خَيـــرٌ مِـــنَ الَّـــذي ... وَضَـــعتُ إِلـــى أَبوابِـــهِ رَحـــلُ خـــائِفِ
إِلـــى خَيـــرِ جـــارٍ مُســـتَجارٍ بِحَبلِـــهِ ... وَأَوفـــاهُ حَـــبلاً لِلطَريـــدِ المُشـــارِفِ
عَلـــى هُـــوَّةِ المَـــوتِ الَّتـــي إِن تَقاذَفَـــت ... بِـــهِ قَذَفَتـــهُ فـــي بَعيـــدِ النَفـــانِفِ[3]
فَـــلا بَـــأسَ أَنّـــي قَـــد أَخَـــذتُ بِـــعُروَةٍ ... هِـــيَ العُـــروَةُ الـــوُثقى لِخَيـــرِ الحَلائِـــفِ[4]

يرجو جوار الممدوح ليؤمنه من خوف ألم به فيراه العروة الوثقى من اعتصم بها من عدوه فلا انفصام له.

وقال في الوليد بن عبد الملك:

---

1 - ديوان الفرزدق ص 520

2- خذاريف الهودج : سقائف يربع بها الهوادج

3 -النَّفْنَفُ: المَفَازة وجمعها نفانف

4- ديوان الفرزدق ص 377

فَلَـــو سَـــمِعَ الخَليفَـــةُ صَـــوتَ داعٍ يُنـــادي اللَهِ هَـــل لـــي مِـــن مُجيـــرِ
وَأَصـــواتَ النِســـاءِ مُقَرَّنـــاتٍ وَصِـــبيانٍ لَهُـــنَّ عَلـــى الحُجـــورِ
إِذاً لَأَجـــابَهُنَّ لِســـانُ داعٍ لِـــدينِ اللَهِ مِغضـــابٍ نَصـــورِ
أَمـــينِ اللَهِ يَصـــدَعُ حـــينَ يَقضـــي بِـــدينِ مُحَمَّـــدٍ وَبِـــهِ أُمـــورِ[1]

يمدح الوليد بأنه سمّاع لأصوات المظلومين ولا غرو في ذلك فهو أمين الله الذي يصدع بأمره.

وقال في سليمان بن عبد الملك:

وَإِلـــى سُـــلَيمانَ الّـــذي سَـــكَنَت أَروى الهِضـــابِ بِـــهِ مِـــنَ الـــذُعرِ
وَتَراجَـــعَ الطُـــرَداءُ إِذ وَثِقـــوا بِـــالأَمنِ مِـــن رَتبيـــلَ وَالشَـــحرِ[2]

يمدح سليمان بأنه يسكن روع الوحش في الخلاء ويرجع به الطرداء وإن بلغوا مشارق الأرض هرباً من أعدائهم.

وقال فيه أيضاً:

لَقَـــد رَقَـــأَت مِنهـــا العُيـــونُ وَنَوَّمَـــت وَكانَـــت بِلَيـــلِ النـــائِحِ المُتَحَـــوِّبِ
وَلَـــولا سُـــلَيمانُ الخَليفَـــةُ حَلَّقـــت بِهِـــم مِـــن يَـــدِ الحَجّـــاجِ أَظفـــارُ مُغـــرِبِ
كَـــأَنَّهُمُ عِنـــدَ اِبـــنِ مَـــروانَ أَصـــبَحوا عَلـــى رَأسِ غَينـــا مِـــن ثَبيـــرٍ وَكَبكَـــبِ[3]

إن الهرب من الحجاج لا يصده إلا جوار سليمان الخليفة فلولا سليمان لبطش الحجاج بالهارب منه ولنكل به.

---

1 - ديوان الفرزدق ص 248

2- رتبيل ملك سجستان وتسمى بلاده بلاد رتبيل، والشحر ناحية بين عدن وعمان على ساحل البحر. ديوان الفرزدق ص 230

3- ديوان الفرزدق ص 21

الخلفاء الذي مدحهم الفرزدق

1. **"الوليد بن عبد الملك بن مروان 86 هـ 96 هـ**

الوليد بن عبد الملك : قال الشعبي : كان أبواه يترفانه فشب بلا أدب.

قال روح بن زنباع : دخلت يوماً على عبد الملك ـ و هو مهموم ـ فقال : فكرت فيمن أوليه أمر العرب فلم أجده فقلت : أين أنت من الوليد ؟ قال : إنه لا يحسن النحو فسمع ذلك الوليد فقام من ساعته و جمع أصحاب النحو و جلس معهم في بيت ستة أشهر ثم خرج و هو أجهل مما كان فقال عبد الملك : أما إنه قد أعذر ولي الوليد الخلافة بعهد من أبيه في شوال سنة ست و ثمانين. [1]

"و كان الوليد جباراً ظالماً لكنه أقام الجهاد في أيامه و فتحت في خلافته فتوحات عظيمة و كان مع ذلك يختن الأيتام ويرتب لهم المؤدبين و يرتب للزمنى من يخدمهم و للأضراء من يقودهم و عمر المسجد النبوي ووسعه ورزق الفقهاء و الضعفاء و الفقراء و حرم عليهم سؤال الناس و فرض لهم ما يكفيهم و ضبط الأمور أتم ضبط" [2]

قال فيه الفرزدق: (البسيط)

رَأَت قُـرَيشٌ أَبـا العاصـي أَحَقَّهُـمُ ... بِـاِثنَينِ بِالخـاتَمِ المَيمـونِ وَالقَلَـمِ

تَخَيَّـروا قَبـلَ هَـذا النـاسِ إِذ خُلِقـوا ... مِـنَ الخَلائِـقِ أَخلاقـاً مِـنَ الـكَرَمِ

مِـلءَ الجِفـانِ مِـنَ الشـيزى مُكَلَّلَـةً ... وَالضَـربَ عِنـدَ اِحمِـرارِ المَـوتِ لِلبُهَمِ

مـا مـاتَ بَعـدَ اِبـنِ عَفّـانَ الَّـذي قَتَلـوا ... وَبَعـدَ مَـروانَ لِلإِسـلامِ وَالحُـرَمِ

مِثـلُ اِبـنِ مَـروانَ وَالآجـالُ لاقِيَـةٌ ... بِحَتفِهـا كُـلَّ مَـن يَمشـي عَلـى قَـدَمِ

إِن تَرجِعـوا قَـد فَـرَغتُم مِـن جَنازَتِـهِ ... فَمـا حَمَلـتُم عَلـى الأَعـوادِ مِـن أَمَـمِ

خَليفَـةً كـانَ يُستَسـقى الغَمـامُ بِـهِ ... خَيـرَ الَّـذينَ بَقـوا فـي غـابِرِ الأُمَـمِ

قـالوا اِدفُنـوهُ فَكـادَ الطَـودُ يُرجِفُـهُ ... إِذ حَرَّكـوا نَعشَـهُ الراسـي مِـنَ العَلَـمِ[3]

بدأ الشاعر مدحه للخليفة بذكر قومه من قريش الذين رأوا أحقيته لخاتم الخلافة وقلمها ،والقلم هنا كناية عن امتلاك أزمة الأمور والقدرة على حسن تصريفها ، ثم يمدح أخلاقهم وأنهم اختاروا أخلاق الكرام منذ أن كانوا في هيأة الذر قبل الظهور ثم يبين قيمتين عظيمتين بزوا فيهما الناس وهما الإطعام من نفيس الطعام وصدق القتال في الحرم فجفانهم مملوءة لحماً وهو أشرف الطعام عند العرب، ويضربون الهام عند احمرار الوطيس في الحرب وهذه الصفات تمثل قمة الشرف النفسي في ذلك الزمان بل وفي كل الأزمنة والتلازم بين الشجاعة والكرم أمر مشاهد.

ثم إن الشاعر بدأ مدحه برثاء الخليفة الغابر توطئة لمدح الخليفة الحاضر والرثاء يرقق النفس لأن للموت هيبته والمدح بعده يكون أقرب للصدق وأبعد عن النفاق والتملق.

1- السيوطي , جلال الدين, تاريخ الخلفاء,دارابن حزم, بيروت, ط1, 2003 , ص 178

2- السيوطي, جلال الدين, تاريخ الخلفاء, ص179

3- ديوان الفرزدق ص 537

أمّـــا الوَليـــدُ فَـــإنَّ اللهَ أورَثـــــــــهُ ... بِعِلمِـــــــــهِ فيـــهِ مُلكـــاً ثابِـــتَ الدِعَـــمِ
خِلافَـــةً لَـــم تَكُـــن غَصـــباً مَشورَتُـــها ... أرســـى قَواعِـــدَها الـــرَحمَنُ ذو الـــنِعَمِ
كانَـــت لِعُثمـــانَ لَـــم يَظلِـــم خِلافَتَـــها ... فَإنتَهَـــكَ النـــاسُ مِنـــهُ أَعظَـــمَ الحُـــرَمِ
دَمـــاً حَرامـــاً وَأَيمانـــاً مُغَلَّظَـــــــةً ... أَيّـــامُ يوضَـــعُ قَمـــلُ القَـــومِ بِاللِـــمَمِ
فَرَّقـــتَ بَـــينَ النَصـــارى فـــي كَنائِســـهِم ... وَالعابِـــدينَ مَـــعَ الأَســـحارِ وَالعَتَـــمِ
وَهُـــم مَعـــاً فـــي مُصَـــلّاهُم وَأَوجُهُهُـــم ... شَـــتّى إذا سَـــجَدوا لِلَّهِ وَالصَنَـــمِ
وَكَيـــفَ يَجتَمِـــعُ النـــاقوسُ يَضرِبُـــهُ ... أَهـــلُ الصَـــليبِ مَـــعَ القُـــرّاءِ لَـــم تَنَـــمِ
فُهِّمـــتَ تَحويلَـــها عَـــنهُم كَمـــا فَهِمـــا ... إذ يَحكُمـــانِ لَهُـــم فـــي الحَـــرثِ وَالغَـــنَمِ
داوُدُ وَالمَلِـــكُ المَهـــدِيُّ إذ حَكَمـــا ... أَولادَهـــا وَاجتِـــزازَ الصـــوفِ بِـــالجَلَمِ
فَهَمَّـــكَ اللَـــهُ تَحـــويلاً لِبَيعَتِهِـــم ... عَـــن مَســـجِدٍ فيـــهِ يُتلـــى طَيِّـــبُ الكَلِـــمِ
عَسَـــت فُـــروغُ دِلائـــي أَن يُصـــادِفَها ... بَعـــضُ الفَـــوائِضِ مِـــن أَنهـــارِكَ العُظَـــمِ
إمّـــا مِـــنَ النيـــلِ إذ وارى جَزائِـــرَهُ ... وَطَـــمَّ فَـــوقَ مَنـــارِ المـــاءِ وَالأَكَـــمِ
أَو مِـــن فُـــراتِ أَبـــي العاصـــي إذا اِلتَطَمَـــت ... أَثباجُـــهُ[1] بِمَكـــانٍ واسِـــعِ الثَلَـــمِ
تَظَـــلُّ أَركـــانُ عانـــاتٍ تُقاتِلُـــــــهُ ... عَـــن ســـورِها وَهـــوَ مِثـــلُ الفَـــالِجِ القَطِـــمِ
يَخشـــوَنَ مِـــن شُـــرُفاتِ الســـورِ سَـــورَتَه ... وَهُـــم عَلـــى مِثـــلِ فَحـــلِ الطَـــودِ مِـــن خِـــيَمِ
القاتِـــلُ القِـــرنَ وَالأَبطـــالُ كالِحَـــــةٌ ... وَالجـــوعَ بِالشَـــحمِ يَـــومَ القِطقَـــطِ الشَـــبِمِ[2]

دائماً ما يُذكّر الفرزدق في مدائحه للأمويين بعثمان بن عفان وما وقع عليه من الظلم والقتل وهو الوتر الذي استدر به بنو أمية ولاء وعطف الشاميين وقد استغلوا قميصه أيما استغلال.

ثم يستغل الفرزدق حادثة الفصل بين المسجد والكنيسة وإبعادهما بعضهما عن بعض و تحريك العاطفة الدينية للمسلمين وبغضهم للنصارى الذين بدلوا دين الله في مدح الخليفة وتشبيهه بفهم سليمان في قصة الغنم التي نفشت في زرع القوم وهو أيضاً توظيف بارع للقصص القرآني في غرض من أغراض الشعر.

وأخيراً يدلي الفرزدق بحاجته التي من أجلها أنشأ مدحته فيقول:

عَسَـــت فُـــروغُ دِلائـــي أن يُصـــادِفَها ... بَعـــضُ الفَـــوائِضِ مِـــن أَنهـــارِكَ العُظَـــمِ

وقال فيه أيضاً: (الطويل)

إلـــى بَيـــتِ مَـــروانَ الّـــذي لَـــم يَـــزَل لَـــهُ ... دَعـــائِمُ مُلـــكٍ مـــا تُـــرامُ جِبالُـــها
إلـــى المُســـتَثيبِ اِبـــنِ الأَئِمَّـــةِ عودُهـــا ... لَـــهُ بَعـــدَ عَهـــدَي صـــاحِبَيهِ اِعتِـــدالُها
هِـــلالٌ تَجَلّـــى الغَـــيمُ عَنـــهُ اِبـــنَ لَيلَـــةٍ ... فَقَـــد تَـــمَّ حَتّـــى كـــانَ بَـــدراً هِلالُهـــا
إلـــى سَـــيِّدِ الشُـــبّانِ قَـــد مُكِّنَـــت لَـــهُ ... خِلافَـــةُ أَمـــلاكٍ إلَيـــهِ اِنتِقالُـــها
إلَيـــكَ وَلِـــيَّ العَهـــدِ وَالعَقـــدِ مِـــن أَبٍ ... لَـــهُ مِـــن مَواليـــهِ العُـــرى وَحِبالُهـــا
نَمـــاكَ عَظـــيمُ القَـــريَتَينِ فَأَصـــبَحَت ... لَـــكَ العُـــروَةُ الـــوُثقى الشَـــديدُ دِخالُهـــا
عَلـــى النـــاسِ أَعطَوهـــا أَبـــاكَ فَأَصـــبَحَت ... إلَيـــهِ مَقاليـــدُ الأُمـــورِ وَمالُهـــا[3]

1 - ثبج كل شئ: وسطه والجمع أثباج.
2- ديوان الفرزدق ص 537
3 - ديوان الفرزدق ص 485

في هذه المدحة يتناول زاوية جديدة وهي إضافة المحاسن الحسية للممدوح إلى المحاسن المعنوية فالممدوح عند الشاعر شاب بل سيد الشبان حسن الوجه جميل الطلعة وجهه كوجه البدر زايله الغمام مع كونه هلالاً في عمره وعمر خلافته إلا أنه كبدر التمام حسناً.

ثم يعود إلى ذكر كرم المحتد وطهارة النسب وهي من مفاخر العرب القديمة.

كذلك يبرز الأثر القرآني في قوله:

نَمـــــاكَ عَظـــــيمُ القَـــــريَتَينِ فَأَصـــــبَحَت لَـــــكَ العُـــــروَةُ الـــــوُثقى الشَـــــديدُ دِخالُهـــــا

وقال فيه أيضاً: (الطويل)

إِلَيـــــكَ أَميـــــرَ المُـــــؤمِنينَ أَنَختُهـــــا إِلـــــى خيـــــرِ مَـــــن حُلّـــــت لَـــــهُ عُقَـــــدُ الرَحـــــلِ
إِلـــــى خَيـــــرِهِم فـــــيهِم قَـــــديماً وَحادِثـــــاً مَـــــعَ الحِلـــــمِ وَالإيمـــــانِ وَالنائِـــــلِ الجَـــــزلِ
وَرِثـــــتَ أَبـــــاكَ المُلـــــكَ تَجـــــري بِسَـــــمتِهِ كَـــــذَلِكَ خـــــوطُ النَبـــــعِ يَنبُـــــتُ فـــــي الأَصـــــلِ
كَـــــداوُدَ إِذ وَلّـــــى سُـــــلَيمانَ بَعـــــدَهُ خِلافَتَـــــهُ نِحـــــلاً مِـــــنَ اللَهِ ذي الفَضـــــلِ
يَسـوسُ مِـنَ الحِلـمِ الَّـذي كـانَ راجِحـاً بِأَجبـالِ سَـلمى مِـن وَفـاءٍ وَمِـن عَـدلِ
هُـــوَ القَمَـــرُ البَـــدرُ الَّـــذي يُهتَـــدى بِـــهِ إِذا مـــا ذَوُوالأَضـــغانِ جـــاروا عَـــنِ السُـــبلِ
أَغَـــرَّ تَـــرى نـــوراً لِبَهجَـــةِ مُلكِـــهِ عَفُـــوّاً طَلوبـــاً فـــي أَنـــاةٍ وَفـــي رِســـلِ
يَفـــيضُ السِـــجالَ الناقِعـــاتِ مِـــنَ النَـــدى كَمـــا فـــاضَ ذو مَـــوجٍ يُقَمِّـــصُ بِالجَفـــلِ
وَكَـــم مِـــن أُنـــاسٍ قَـــد أُصـــيبَت بِنِعمَـــةٍ وَمِـــن مُثقَـــلٍ خَفَّفـــتَ عَنـــهُ مِـــنَ الثِقـــلِ
وَمِـــن أَمـــرِ حَـــزمٍ قَـــد وَلَيـــتَ نَجِيَّـــهُ بِـــرَأيٍ جَميـــعٍ مُســـتَمِرٍّ قُـــوى الحَبـــلِ[1]

الفرزدق خليل ناقته التي أنضاها الترحال ينيخها هذه المرة على باب الخليفة ويحل عقد رحلها كناية على بلوغ مأمولها وغاية أملها الخليفة الحليم المؤمن ذي النائل الجزل الوارث الخلافة كابراً عن كابر مع كونها منحولة له من الله عز وجل كما يسرها من قبل لسليمان النبي الملك.

جمع الخليفة في نظر الفرزدق بين الندى والشجاعة مع حسن منظر وطيب مخبر وحزم لا تزلزله الجبال.

1 - السابق ص 480

قَضَـــيتَ قَضـــاءً فـــي الخِلافَـــةِ ثابِتـــاً ... مُبينـــاً فَقَـــد أَســـمَعتَ مَـــن كـــانَ ذا عَقـــلِ
فَمَـــن ذا الَّـــذي يَرجـــو الخِلافَـــةَ مِـــنهُمُ ... وَقَـــد قُمـــتَ فـــيهِم بِالبَيـــانِ وَبِالفَصـــلِ
وَبَيَّنـــتَ أَن لا حَـــقَّ فيهـــا لِخـــاذِلٍ ... تَـــرَبَّصَ فـــي شَـــكٍّ وَأَشـــفَقَ مِـــن مَثـــلِ
وَلا لِإمـــرِئٍ آتـــى المُضِـــلّينَ بَيعَـــةً ... رَأى الحَـــربَ أَبـــدَت عَـــن نَواجِـــذِها العُصـــلِ[1]
وَمَـــدَّ يَـــداً مِنـــهُ لِبَيعَـــةِ خاسِـــرٍ ... وَمـــا المُكسِـــدُ المَغبـــونُ كَـــالرابِحِ المُغلـــي
وَعانَـــدَ لَمّـــا أَن رَأى الحَـــربَ شَـــمَّرَ ... تعِنـــادَ الخَصـــيِّ الجَـــونِ صَـــدَّ عَـــنِ الفَحـــلِ
فَمـــا بـــالُ أَقـــوامٍ بَـــدا الغِـــشُّ مِنهُـــمُ ... وَهُـــم كُشُـــفٌ عِنـــدَ الشـــدائِدِ وَالأَزلِ
يُـــداوُونَ مِـــن قَـــرحٍ أَدانيـــهِ قَـــد عَتـــا ... عَلـــى الـــداءِ لَـــم تُـــدرَك أَقاصـــيهِ بِالفُتـــلِ
وَقَـــد كـــانَ مِمّـــا قَـــد تَلَـــوا مِـــن حَـــديثِهِم ... شِـــفاءٌ وَكـــانَ الحِلـــمُ يَشـــفي مِـــنَ الجَهـــلِ
وَإِلّا فَـــــإِنَّ المَشـــرِفِيَّةَ حَدُّهـــا ... دَواءٌ لَهُـــم غَيـــرَ الـــدَبيبِ وَلا الخَتـــلِ
أَوِ النَفـــيُ حَتّـــى عَـــرضُ أَرضٍ وَطولُهـــا ... عَلَـــيهِم كَبَيـــتِ القَـــينِ أُغلِـــقَ بِالقَفـــلِ
وَقَـــد خَـــذَلوا مَـــروانَ فـــي الحَـــربِ وَابِنَـــهُ ... أَبـــاكَ وَأَدلَـــوا فيهِمـــا مَـــعَ مَـــن يُدلـــي
وَكانـــا إِذا مـــا كـــانَ يَـــومُ عَظيمَـــةٍ ... حَمـــولَينِ لِلأَثقـــالِ فـــي الأَمـــرِ ذي البَـــزلِ
فَصـــلّى عَلـــى قَبرَيهِمـــا اللَهُ إِنَّمـــا ... خَلائِقُـــهُ مِنهـــا عَلـــى سُـــنَّةِ الرُســـلِ
فَفُـــزتَ بِمـــا فـــازا بِـــهِ مِـــن خِلافَـــةٍ ... وَزِدتَ عَلـــى مَـــن كـــانَ قَبلَـــكَ بِالحَصـــلِ
بِعافِيَـــةٍ كانَـــت مِـــنَ اللَـــهِ جَلَّـــت ... مَشـــارِقَها أَمنـــاً إِلـــى مَغـــرِبِ الأُمـــلِ[2]

يمضي الفرزدق ذاكراً نماذج من حزم الخليفة وحسمه لأمر المتربصين بالخلافة حتى عادوا أمامه كالعبيد الأذلاء أمام الأحرار الشجعان, ثم إن الخليفة يفرق بين أعدائه فمن كان أهلاً للعفو والصفح نال ذلك وإن كانت الأخرى فالسيف المشرفي مصلت لجز الحلوق وقطع الأعناق ومن هرب فإن الأرض ستضيق عليه حتى تصير كالقفص المغلق بإحكام.

ثم يختم بأن خلافة الممدوح كانت أمناً على الناس في أرزاقهم وأنفسهم:

بِعافِيَـــةٍ كانَـــت مِـــنَ اللهِ جَلَّلَـــت ... مَشـــارِقَها أَمنـــاً إِلـــى مَغـــرِبِ الأَمـــلِ

وقال فيه أيضاً:

شَـــكَونا إِلَيـــكَ الجَهـــدَ فـــي السَـــنَةِ الَّتـــي ... أَقامَـــت عَلـــى أَموالِنـــا آفَـــةَ المَحـــلِ
فَلَـــم يَبـــقَ مِـــن مـــالٍ يَســـومُ لِأَهلِـــهِ ... وَلا مَرتَـــعٌ فـــي حَـــزمِ أَرضٍ وَلا سَـــهلِ
سِـــواءَكَ أَشـــكو القَـــومَ مـــا قَـــد أَصـــابَهُ عَلـــى ... الجَهـــدِ وَالبَلـــوى الَّتـــي كُنـــتَ قَـــد تُبـــلي

شكوى مرة من الفرزدق بسبب المحل والسنة الشهباء التي أصابت الناس فلم تترك للشاعر من قوة على الإسهاب في المديح فبدأ بالشكوى وعقب بكون الخليفة أهلا لتفريج الكربة.

1- عصل جمع أعصل وهو الأعوج وأنيابه العصل المعوجة. ديوان الفرزدق ص482

2 - ديوان الفرزدق ص 483

وقال فيه أيضاً: (الوافر)

بِهِم ثَبَتَت رَحى الإسلامِ قَسراً ... وَضَربٍ بِالمُهَنَّدَةِ الذُكورِ
تَوارَثَها بَنو مَروانَ عَنهُ ... وَعَن عُثمانَ بَعدَ ثَأىً كَبيرِ[1]
رَجاكَ المَشرِقانِ لِكُلِّ عانٍ ... وَأَرمَلَةٍ وَأَصحابُ الثُغورِ
وَكُنتَ جَعَلتَ لِلعُمّالِ عَهداً ... وَفيهِ العاصِماتُ مِنَ الفُجورِ
فَمَن يَأخُذ بِحَبلِكَ يَجلُ عَنهُ ... عَشا عَينَيهِ مِنكَ بَياضُ نورِ
أَميرَ المُؤمِنينَ وَأَنتَ تَشفي ... بِعَدلِ يَدَيكَ أَدواءَ الصُدورِ
فَكَيفَ بِعامِلٍ يَسعى عَلَينا ... يُكَلِّفُنا الدَراهِمَ في البُدورِ
وَأَنّى بِالدَراهِمِ وَهيَ مِنّا ... كَرافِعِ راحَتَيهِ إِلى العَبورِ
إِذا سُقنا الفَرائِضَ لَم يُرِدها ... وَصَدَّ عَنِ الشُوَيهَةِ وَالبَعيرِ
إِذا وَضَعَ السِياطَ لَنا نَهاراً ... أَخَذنا بِالرِباءِ سَرَقَ الحَريرِ
فَأَدخَلَنا جَهَنَّمَ ما أَخَذنا ... مِنَ الإِرباءِ مِن دونِ الظُهورِ
فَلَو سَمِعَ الخَليفَةُ صَوتَ داعٍ ... يُنادي اللَهِ هَل لي مِن مُجيرِ
وَأَصواتَ النِساءِ مُقَرَّناتٍ ... وَصِبيانٍ لَهُنَّ عَلى الحُجورِ
إِذاً لَأَجابَهُنَّ لِسانُ داعٍ ... لِدينِ اللَهِ مِغضابٍ نَصورِ
أَمينِ اللَهِ يَصدَعُ حينَ يَقضي ... بِدينِ مُحَمَّدٍ وَبِهِ أُمورِ[2]

في هذه القصيدة يمهد الفرزدق بمدح الخليفة إلى إيصال شكوى من أحد عمال الخليفة الذي سام الناس خطة خسف أنّ لها الفقير وكسف لها بال الغني.

يقول الفرزدق للخليفة بأنه من حماة الإسلام وآباؤه كذلك وهم مشهورون بالكرم والنجدة بحيث يرجوهم كل كسير من أرملة وفقير والخليفة يعالج أدواء الصدور بالعدل والسماحة والندى فهل يجل عن سيف عدله عامل من عماله يكلف الناس شططاً حتى ضجوا بالشكوى إلى الله.

هذا المقطع يعكس كيف كان الشاعر صوت الرعية الواصل بينها وبين أولياء أمرها يبلغهم أحوال رعيتهم وما يحدث عليهم من جور العمال وتكليفهم ما لا يطيقون، يبلغ الشاعر كل ذلك بعبارات جميلة منمقة لا يملك الخليفة حيالها إلا النظر إلى الأمر بعين الجد والعدل والحزم.

لقد كان للشعراء في ذلك العصر دورهم الاجتماعي والسياسي والإعلامي الذي لا ينكر وفي المقطوعة السالفة يظهر كل ذلك بوضوح.

1- والثأى: الجهد والمشقة, ديوان الفرزدق, تحقيق علي فاعور,دارالكتب العلمية,بيروت, 1407' ط1, ص 250
2- ديوان الفرزدق ص 248

وقال فيه أيضاً: (الطويل)

أَلا كُـلُّ أَمـرٍ يـا اِبـنَ مَـروانَ ضـائِعٌ ... إِذا لَـم تَكُـن فـي رَاحَتَيـكَ مَرائِـرُه
وَكُـلُّ وُجـوهِ النـاسِ إِلّا إِلَيكُـمُ ... يَتيـهُ بِضُـلّالٍ عَـنِ القَصـدِ جـائِرُه
أَغِثنـي بِكُنهـي فـي نِـزارٍ وَمُقبَلـي ... فـإِنّي كَـريمُ المَشـرِقَينِ وَشـاعِرُه
وَإِنَّـكَ راعـي اللَهِ فـي الأَرضِ تَنتَهـي ... إِلَيـكَ نَواصـي كُـلِّ أَمـرٍ وَآخِـرُه
وَمـا زِلـتُ أَرجـو آلَ مَـروانَ أَن أَرى ... لَهـُم دَولَـةً وَالـدَهرُ جَـمٌّ دَوائِـرُه
لَـدُن قُتِـلَ المَظلـومُ أَن يَطلُبـوا بِـهِ ... وَمَـولى دَمِ المَظلـومِ مِـنهُم وَثـائِرُه
وَمـا لَهُـمُ لا يُنصَـرونَ وَمِنهُـمُ ... خَليـلُ النَبِـيِّ المُصـطَفى وَمُهـاجِرُه
مُلـوكٌ لُهُـم ميـراثُ كـُلِّ مَشـورَةٍ ... وَبِـاللَهِ طـاوي الأَمـرِ مِـنهُم وَناشِـرُه
وَكائِـن لَبِسـنا مِـن رِداءٍ وَديقَـةٍ ... إِلَيـكَ وَمِـن لَيـلٍ تُجِـنُّ حَظـائِرُه
لِنَبلُـغَ خَيـرَ النـاسِ إِن بَلَغَـت بِنـا ... مَراسـيلُ خَـرقٍ لا تَـزالُ تُسـاوِرُه
إِذا اللَيـلُ أَغشـاها تَكـونُ رِحالُـها ... مَنازِلـَنا حَتّـى تَصـيحَ عَصـافِرُه[1]

يمدح الفرزدق الخليفة وهو يشير من طرف خفي إلى مكانته وشرفه هو (فَإِنّي كَريمُ المَشرِقَينِ وَشاعِرُه) وسرعان مايغادر هذه النقطة حتى لا يثير حفيظة الممدوح، ثم يتوسل بظلم عثمان وبصحبة قوم الخليفة للنبي صلى الله عليه وسلم .

ومن الجماليات في هذا المقطع قوله (وكائن لبسنا من رداء وديقة.. الخ) الوديقة السحابة جعل ماءها المنهمر رداء يلبس وكذلك الليل وهو كما قال تعالى (وجعلنا الليل لباسا) وكل هذا حتى يبلغ الممدوح مدى المشقة التي لاقوها في سبيل القدوم عليه.

فَلَـم يَبـقَ إِلّا مِـن ذَواتِ قِتالِهـا ... مِـنَ المُـخِّ إِلّا فـي السُـلامى مَصـايِرُه
إِلـى مَلِـكٍ مـا أُمُّـهُ مِـن مُحـارِبٍ ... أَبوهـا وَلا كانَـت كُلَيـبٌ تُصـاهِرُه
وَلَكِـن أَبوهـا مِـن رَواحَـةَ تَرتَقـي ... بِأَيّامِـهِ قَـيسٌ عَلـى مَـن تُفـاخِرُه
زُهَيـرٌ وَمَـروانُ الحِجـازِ كِلاهُمـا ... أَبوهـا لَهـا أَيّامُـهُ وَمَـآثِرُه
بِهِـم تَخفِـضُ الأَذيـالَ بَعـدَ اِرتِفاعِهـا ... مِـنَ الفَـزَعِ الساعِي نَهـاراً حَرائِـرُه
وَقَـد خُفـتُ حَتّـى لَـو أَرى المَـوتَ مُقبِلاً ... لِيَأخُـذَني وَالمَـوتُ يُكـرَهُ زائِـرُه
لَكـانَ مِـنَ الحَجّـاجِ أَهـوَنَ رَوعَـةً ... إِذا هُـوَ أَغضـى وَهـوَ سـامٍ نَـواظِرُه
أَدِبُّ وَدونـي سَـيرُ شَـهرٍ كَـأَنَّني ... أَراكَ وَلَيـلٌ مُسـتَحيرٌ عَسـاكِرُه
ذَكَـرتُ الَّـذي بَيني وَبَينَـكَ بَعـدَما ... رَمـى بِـيَ مِـن نَجـدَي تِهامَـةَ غـائِرُه
فَأَيقَنـتُ أَنّـي إِن رَأَيتُـكَ لَـم يَـرِد ... بِـيَ النَـأيُ إِلّا كُـلَّ شَـيءٍ أُحـاذِرُه
وَأَن لَـو رَكِبـتَ الـريحَ ثُـمَّ طَلَبتَنـي ... لَكُنـتُ كَشَـيءٍ أَدرَكَتـهُ مَقـادِرُه
فَلَـم أَرَ شَـيئاً غَيـرَ إِقبـالِ نـاقَتي ... إِلَيـكَ وَأَمـري قَـد تَعَيَّـت مَصـادِرُه
وَمـا خـافَ شَـيءٌ لَـم يَمُـت مِـن مَخافَـةٍ ... كَمـا قَـد أَسَـرَّت فـي فُـؤادي ضَـمائِرُه
أَخـافُ مِـنَ الحَجّـاجِ سَـورَةَ مُخـدِرٍ ... ضَـوارِبَ بِالأَعنـاقِ مِنـهُ خَـوادِرُه

لقد أضنوا رواحلهم من أجل القدوم على الملك، ثم يمدحه من جهة الأم لأن العرب أيضاً تفاخر بكرم محتد الأم فنفى أن تكون أم الملك من محارب بل هي من كرام الحجاز.

1 ديوان الفرزدق ص 219

ثم انظر إلى جمال هذه الكناية:

بِهِـــم تَخفِـــضُ الأَذيـــالَ بَعـــدَ اِرتِفاعِهـــا مِـــنَ الفَـــزَعِ الســـاعِي نَهـــاراً حَرائِـــرُه

كناية عن الأمن بعد الفزع فالمرأة ترفع ذيلها إذا خافت وترخيه إذا أمنت.

ثم بعد هذا التمهيد يمضي الفرزدق في ذكر حاجته وهي أن يؤمن من غضبة الحجاج حتى لاينالـه منه سوء وقال فيه أيضاً: (الطويل)

إِلـــى خَيـــرِ مَـــن تَحـــتَ السَـــماءِ أَمانَـــةً وَأَولاهُ بِـــــالحَقِّ الَّـــــذي لا يُكَـــــذَّبُ
تُعـــارِضُ بِاللَيـــلِ النُجـــومَ رِكابُنـــا وَبِالشَـــمسِ حَتّـــى تَأفُـــلَ الشَـــمسُ تُـــذأَبُ
أُنيخَـــت وَمـــا تَـــدري أَمـــا فـــي ظُهورِهـــا مِـــنَ القَـــرحِ أَم مـــا فـــي المَناسِـــمِ أَنقَـــبُ
حَلَفـــتُ بِأَيـــدي البُـــدنِ تَـــدمى نُحورُهـــا نَهـــاراً وَمـــا ضَـــمَّ الصِـــفاحُ وَكَبكَـــبُ[1]
لَأُمٌّ أَتَتنـــــا بِالوَليـــــدِ خَليفَـــــةً مِـــنَ الشَـــمسِ لَـــو كـــانَ اِبنُهـــا البَـــدرُ أَنجَـــبُ
وَإِن شِـــئتَ مِـــن عَـــبسٍ بِـــكَ مِـــنهُمُ أَبٌ لَـــكَ طَـــلّابُ التُـــراثِ مَطالِـــبُ
وَمِـــن عَبـــدُ شَـــمسٍ أَنـــتَ سـادِسُ سِـــتَّةٍ خِلائِـــفَ كـــانوا مِـــنهُمُ العَـــمُّ وَالأَبُ
هُـــداةً وَمَهـــدِيّينَ عُثمـــانُ مِـــنهُمُ وَمَـــروانُ وَاِبـــنُ الأَبطَحَـــينِ [2]المُطَيَّـــبُ
أَبـــوكَ الَّـــذي كانَـــت لُـــؤَيٌّ بـــنُ غالِـــبٍ لَـــهُ مِـــن نَواصـــيها الصَـــريحُ المَهَـــذَّبُ
تَصَـــعَّدَ جَـــدٌّ بِالوَليـــدِ إِلـــى الَّتـــي أَرى كُـــلُّ جَـــدٍّ دونَهـــا يَتَصَـــوَّبُ
أَرى الثَقَلَـــينِ الجِـــنَّ وَالإِنـــسَ أَصـــبَحا يَمُـــدّانِ أَعناقـــاً إِلَيـــكَ تَقَـــرَّبُ
وَمـــا مِنهُمـــا إِلّا يُرَجّـــي كَرامَـــةً بِكَفَّيـــكَ أَو يَخشـــى العِقـــابَ فَيَهـــرُبُ
وَمـــا دونَ كَفَّيـــكَ اِنتِهـــاءٌ لِراغِـــبٍ وَلا لِمُنـــاهُ مِـــن وَرائِـــكَ مَـــذهَبُ[3]

كم كانت رحلته هذه شاقة حتى أدمت ظهور العيس ومناسمها، ثم يقسم الشاعر إقساما مغلظا لكن على عوائد الجاهلية من الحلف بغير الله أن أم الوليد الخليفة أنجب من الشمس حيث كان ابنها الوليد بدراً منيرا يفوق القمر ضياءً. ثم يمدح الخليفة بآبائه الغر الميامين ثم يبالغ في آخر مدحته بأن الجن والإنس بين راهب له وراغب فيما عنده ورغائبهم تقف عنده ولا تزيغ أبصارهم عن سواه. وبعد هذا الاستعراض للقصائد التي مدح بها الفرزدق الوليد بن عبدالملك نجد عددها سبع قصائد متنوعة مابين وصف بالشجاعة والعدل والجود والكرم .

2. سليمان بن عبد الملك بن مروان 96 هـ 99 هـ

سليمان بن عبد الملك : أبو أيوب كان من خيار ملوك بني أمية, ولي الخلافة بعهد من أبيه بعد أخيه في جمادى الآخرة سنة ست و تسعين وكان فصيحا مفوها مؤثرا للعدل محبا للغزو و مولده سنة ستين

من محاسنه : أن عمر بن عبد العزيز كان له كالوزير فكان يمتثل أوامره في الخير فعزل عمال الحجاج و أخرج من كان في سجن العراق و أحيا الصلاة لأول مواقيتها و كان سليمان ينهى عن الغناء .

1 - كبكب جبل بناحية عرفات. ديوان الفرزدق ص73

2- الأبطح المكان المتسع يمر به السيل فيترك فيه الرمل والحصى الصغار ومنه أبطحا مكة وهما المذكوران في البيت.

3- ديوان الفرزدق, ص74-75

و كانت وفاته يوم الجمعة عاشر صفر سنة تسع و تسعين و فتح في أيامه جرجان و حصن الحديد و سردانية و شقى و طبرستان و مدينة الصقالبة.[1]

قال فيه الفرزدق: (الوافر)

فَـــــإِنَّ أَمامَـــــكِ المَهـــــدِيَّ يَهـــــدي ... بِـــــهِ الـــــرَحمَنُ مَـــــن خَشِـــــيَ الضَـــــلالا
وَقَصـــــرُكِ مِـــــن نَـــــداهُ فَبَلِّغينـــــي ... كَفَـــــيضِ البَحـــــرِ حـــــينَ عَـــــلا وَســـــالا
نَظَرتُـــــكَ مـــــا اِنتَظَـــــرتُ اللَهَ حَتّـــــى ... كَفـــــاكَ المـــــاحِلينَ بِـــــكَ المَحـــــالا
نَظَـــــرتُ بِإِذنِـــــكَ الـــــدَولاتِ عِنـــــدي ... وَقُلـــــتُ عَســـــى الَّـــــذي نَصَـــــبَ الجِبـــــالا
يُمَلِّكُـــــــهُ خَـــــــزائِنَ كُـــــــلَّ أَرضٍ ... وَلَـــــم أَكُ يائِســـــاً مِـــــن أَن تُـــــدالا
فَأَصـــــبَحَ غَيـــــرَ مُغتَصَـــــبٍ بِظُلـــــمٍ ... تُـــــراثَ أَبيـــــكَ حـــــينَ إِلَيـــــكَ آلا
وَإِنَّـــــكَ قَـــــد نُصِـــــرتَ أَعَـــــزَّ نَصـــــرٍ ... عَلـــــى الحَجّـــــاجِ إِذ بَعَـــــثَ البِغـــــالا
مُفَصَّصَـــــــةً تُقَـــــــرِّبُ بِالـــــــدَواهي ... وَناكِثَـــــةً تُريـــــدُ لَـــــكَ الزِيـــــالا[2]
فَقـــــالَ اللَهُ إِنَّـــــكَ أَنـــــتَ أَعلـــــى ... مِـــــنَ المُتَلِمِّســـــينَ لَـــــكَ الخِبـــــالا[3]

في هذه الأبيات الرائعة التي تنساب انسياب الماء يرى الفرزدق أن الخليفة سليمان غيث الممحلين حيث إن عطاءه كفيض البحرين يعلو, وأن الخلافة جاءت إلية منقادة دون غصب ورثها من آبائه وهو أهل لها فهو يتمتع بالقوة والشدة التي ترهب الأعداء وتنصره عليهم كما فعل بالحجاج, ثم يخبر عن نصر الخليفة على الحجاج وهو ليس له بكفء فيقول :

فَأعطـــــاكَ الخِلافَـــــةَ غَيـــــرَ غَصـــــبٍ ... وَلَـــــم تَركَـــــب لِتَغصِـــــبَها قِبـــــالا
فَلَمّـــــا أَن وَليـــــتَ الأَمـــــرُ سَـــــدَّت ... يَـــــداكَ مُمَـــــرَّةً لَهُـــــمُ طِـــــوالا
حِبـــــالَ جَماعَـــــةٍ وَحِبـــــالَ مُلـــــكٍ ... تَـــــرى لَهُـــــمُ رَواســـــيها ثِقـــــالا
جَعَلـــــتَ لَهُـــــم وَراءَكَ فَاطِمَـــــأَنّوا ... مَكـــــانَ البَـــــدرِ إِذ هَلَكـــــوا هِـــــلالا
وَلِـــــيَّ العَهـــــدِ مِـــــن أَبَوَيـــــكَ فيـــــهِ ... خَلائِـــــقَ قَـــــد كَمَلـــــنَ لَـــــهُ كَمـــــالا
تُقـــــىً وَضَـــــمانَةً لِلنـــــاسِ عَـــــدلاً ... وَأَكثَـــــرَ مَـــــن يُـــــلاثَ بِـــــهِ نَـــــوالا
فَـــــزادَ النـــــاكِثينَ اللَهَ رَغمـــــاً ... وَلا أَرضـــــى المَعـــــاطِسَ وَالسِـــــبالا[4]
فَكـــــانَ النـــــاكِثونَ وَمـــــا أَرادوا ... كَراعـــــي الضَـــــأنَ إِذ نَصَـــــبَ الخِيـــــالا
وَراءَ سَـــــوادِها يُخشـــــى عَلَيهـــــا ... لِيَمنَعَهـــــا وَمـــــا أَغنـــــى قِبـــــالا
فَأَصـــــبَحَ كَعبُـــــكَ الأَعلـــــى وَأَضـــــحَوا ... هَبـــــاءَ الـــــريحِ يَتَّبِـــــعُ الشَـــــمالا
أَلَســـــتَ اِبـــــنَ الأَئِمَّـــــةِ مِـــــن قُـــــرَيشٍ ... وَحَســـــبُكَ فـــــارِسُ الغَبـــــراءِ خـــــالا

1 - السيوطي, جلال الدين, تاريخ الخلفاء, ج1 ص 169

2- الزيال: الفِراق.

3- ديوان الفرزدق ص 445

4- والسبلة محركة : الدائرة في وسط الشفة العليا أو ما على الشارب من الشعر أو طرفه أو مجتمع الشاربين أو ما على الذقن إلى طرف اللحية كلها أو مقدمها خاصة والجمع سبال.

يمضي الفرزدق يكيل المدح للخليفة فهو الحامي حمى الدين,كريم النسب, يقيم العدل وينصر المظلوم.

وقال فيه أيضاً: (الطويل)

أَلا تَشـــــكُرونَ اللهَ إذ فَـــــكَّ عَـــــنكُمُ ... أَداهِـــــمَ بِالمَهـــــدِيِّ صُـــــمّاً ثِقالُهـــــا
هَنَأنـــــاهُمُ حَتّـــــى أَعـــــانَ عَلَـــــيهِمُ ... مِـــــنَ الـــــدَلوِ أَو عَـــــوّا السِـــــماكِ سِـــــجالُها
إِذا مـــــا العَـــــذارى بِالـــــدُخانِ تَلَفَّعَـــــت ... وَلَـــــم يَنتَظِـــــر نَصـــــبَ القُـــــدورِ اِمتِلالُهـــــا[3]
إِذا اِعتَرَكَـــــت فـــــي راحَتَـــــي كُـــــلِّ مُجمِـــــدٍ[1] ... مُسَـــــــوَّمَةً لا رِزقَ إِلّا خِصـــــــالُها
مَرَينـــــا لَهُـــــم بِالقَضـــــبِ مِـــــن قَمَـــــعِ الـــــذُرى ... إِذا الشَـــــولُ[4]لَـــــم تُـــــرزِم لِـــــدَرٍّ فِصـــــالُها
تُلَـــــوّي بِكَفَّيهـــــا عَناصِـــــيَ[2] ذِروَةٍ ... وَقَـــــد لَحِقَـــــت خَيـــــلٌ تَثـــــوبُ رِعالُهـــــا
مُقاتِلَـــــةٌ فـــــي الحَـــــيِّ مِـــــن أَكـــــرَميهِمُ ... أَبوهـــــا هُـــــوَ اِبـــــنُ العَـــــمِّ لَحّـــــاً وَخالُهـــــا
إِذا اِلتَفَتَـــــت سَـــــدَّ السَـــــماءَ وَرائَهـــــا ... عَبـــــيطٌ [5]وَجُمهـــــورٌ تَعـــــادى فِحالُهـــــا
أَناخَـــــت بِهـــــا وَســـــطَ البُيـــــوتِ نِســـــاؤُنا ... وَقَـــــد أُعجِلَـــــت شَـــــدَّ الرِحـــــالِ اِكتِفالُهـــــا[6]
وَإِن كـــــانَ قَـــــد صَـــــلّى ثَمـــــانينَ حِجَّـــــةً ... وَصـــــامَ وَأَهـــــدى البُـــــدنَ بيضـــــاً خِلالُهـــــا[7]

بيت واحد للخليفة يشكره فيه على فك القيود ثم يدلف إلى قومه يمدحهم بالكرم الجم ثم الشجاعة والبسالة.

لَـــــئِن نَفَـــــرُ الحَجّـــــاجِ آلُ مُعَتِّـــــبٍ ... لَقـــــوا دَولَـــــةً كـــــانَ العَـــــدُوُّ يُـــــدالُها
لَقَـــــد أَصـــــبَحَ الأَحيـــــاءُ مِـــــنهُم أَذِلَّـــــةً ... وَفـــــي النـــــارِ مَثـــــواهُم كُلوحـــــاً سِـــــبالُها[9]
وَكـــــانوا يَـــــرَونَ الـــــدائِراتِ بِغَيـــــرِهِم ... فَصـــــارَ عَلَـــــيهِم بِالعَـــــذابِ اِنفِتالُهـــــا[10]
هَلُـــــمَّ إِلـــــى الإِســـــلامِ وَالعَـــــدلُ عِنـــــدَنا ... فَقَـــــد مـــــاتَ عَـــــن أَرضِ العِـــــراقِ خِبالُهـــــا
فَمـــــا أَصـــــبَحَت فـــــي الأَرضِ نَفـــــسٌ فَقيـــــرَةٌ ... وَلا غَيرُهـــــا إِلّا سُـــــلَيمانُ مالُهـــــا
يَمينَـــــكَ فـــــي الأَيمـــــانِ فاصِـــــلَةٌ لَهـــــا ... وَخَيـــــرُ شِـــــمالٍ عِنـــــدَ خَيـــــرٍ شِـــــمالُها
فَأَصـــــبَحتَ خَيـــــرَ النـــــاسِ وَالمُهتَـــــدى بِـــــهِ ... إِلـــــى القَصـــــدِ وَالـــــوُثقى الشَـــــديدِ حِبالُهـــــا
يَـــــداكَ يَـــــدُ الأَســـــرى الَّتـــــي أَطلَقَـــــتهُمُ ... وَأُخـــــرى هِـــــيَ الغَيـــــثُ المُغيـــــثُ نَوالُهـــــا
وَكَـــــم أَطلَقَـــــت كَفّـــــاكَ مِـــــن قَيـــــدِ بـــــائِسٍ ... وَمِـــــن عُقـــــدَةٍ مـــــا كـــــانَ يُرجـــــى اِنحِلالُهـــــا
كَثيـــــراً مِـــــنَ الأَســـــرى الَّتـــــي قَـــــد تَكَنَّعَـــــت[8] ... فَكَكـــــتَ وَأَعناقـــــاً عَلَيهـــــا غِلالُهـــــا
وَجَـــــدنا بَنـــــي مَـــــروانَ أُوتـــــادَ دينِنـــــا ... كَمـــــا الأَرضُ أُوتـــــادٌ عَلَيهـــــا جِبالُهـــــا
وَأَنـــــتُم لِهَـــــذا الـــــدينِ كَالقِبلَـــــةِ الَّتـــــي ... بِهـــــا إِن يَضِـــــلَّ النـــــاسُ يَهـــــدي ضَـــــلالُها

هنا الفرزدق يصب جام غضبه على الحجاج ويسعد لهزيمته وخزيه، ويصف حال العراق بعد ذهاب الحجاج فقد عاد إليه العدل وظهرت أحكام الإسلام وأمن الناس بعد خوف واغتنوا بعد فقر, وفي المقطوعة جماليات منها قوله:

---

1 - المجمد: هو الداخل في جمادى. وكان جمادى في ذلك الوقت شهر برد.
2 - العُنْصُوة الخُصْلَة من الشَّعَر والجمع عناصي.
3 - امتل: مر سريعاً.
4 - الشائلة من الإبل : ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها، وجمعها شول.
5 - عبيط: الغبار, ديوان الفرزدق ص427
6 - الكفل : كساء يجعل تحت الرحل . واكتفل البعير : جعل عليه كفلا.
7 - ديوان الفرزدق ص 424
8 - تكنع الأسير في قيده : تقبض واجتمع.
9 - سبقت ص 30
10 - انفتل وجهه عنهم : صرفه وانفتالها انصرافها.

يَـــداكَ يَـــدُ الأَســـرى الّتـــي أَطلَقَـــتهُمُ وَأُخـــرى هِـــيَ الغَيـــثُ المُغيـــثُ نَوالُهـــا

إذا جعل يديه مشغولتين إحداهما بفك الأسرى والأخرى بالجود والكرم والسماحة.

وقال فيه أيضاً: (الكامل)

وَإِلـــى سُـــلَيمانَ الّـــذي سَـــكَنَت أَروى الهِضـــابِ بِـــهِ مِـــنَ الـــذُعرِ
وَتَراجَـــعَ الطُـــرَداءُ إِذ وَثِقـــوا بِـــالأَمنِ مِـــن رَتبيـــلَ وَالشَـــحرِ
أَو كُـــلِّ دابِـــرَةٍ كَـــأَنَّ بِهـــا قَـــاراً وَلَـــيسَ سَـــفينُها يَجـــري
أَو كُـــلِّ صـــادِقَةٍ إِذا طُلِبَـــت مِـــن دونِهـــا الـــريحُ الَّتـــي تُـــذري
تُمســـي الرِيـــاحُ بِهـــا وَقَـــد لَغِبَـــت أَو كُـــلِّ صـــادِقَةٍ عَلـــى الفَتـــرِ
كُنّـــا نُنـــادي اللَهَ نَســـأَلَهُ فـــي الصُـــبحِ وَالأَســـحارِ وَالعَصـــرِ
أَن لا يُميتَـــكَ أَو تَكـــونَ لَنـــا أَنـــتَ الإِمـــامَ وَوالِـــيَ الأَمـــرِ
فَأَجـــابَ دَعوَتَنـــا وَأَنقَـــذَنا بِخِلافَـــةِ المَهـــدِيِّ مِـــن ضُـــرِّ[1]

نحس أن الفرزدق عادت إليه عاطفته نحو سليمان بعد أن رأينا الجفاء الذي اكتنف بعض ممادحه, وهنا يمدحه بأعظم الأشياء التي حدثت في زمانه من وجهة نظر الفرزدق وهي نعمة الأمن وهو يلقبه كثيراً بالمهدي وربما كانت بعض الأبيات هنا كالكلام العادي كقوله:

كُنّـــا نُنـــادي اللَهَ نَســـأَلَهُ فـــي الصُـــبحِ وَالأَســـحارِ وَالعَصـــرِ

فمثل هذا البيت ليس فيه شيء من شاعرية بل هو كلام عادي, ولكن عندما جاء ضمن أبيات شاعرية ارتفت به فعلا.

1 - ديوان الفرزدق ص 230

وقوله :

يـــا اِبـــنَ الخَلائِـــفِ لَـــم نَجِـــد أَحَـــداً ... يَبقـــى لِحَـــزِّ نَوائِـــبِ الـــدَهرِ[1]
إِلّا الرَواســـي وَهـــيَ كائِنَـــةٌ ... كَـــالعُهنِ وَهـــيَ سَـــريعَةُ المَـــرِّ
فَقَـــدِ اِبتُليـــتَ بِمـــا زَعَمـــتَ لَنـــا ... إِن أَنـــتَ كُنـــتَ لَنـــا عَلـــى أَمـــرِ
كَـــم فيـــكَ إِن مَلَكَـــت يَـــداكَ لَنـــا ... يَومـــاً نَواصـــينا مِـــنَ النَـــذرِ
مِـــن حَـــجِّ حافِيَـــةٍ وَصـــائِمَةٍ ... سَـــنَتَينِ أُمِّ أُفَيـــرَخٍ زُعـــرِ[2]
لـــم يَبـــقَ مِـــنهُم غَـــيرُ أَلسِـــنَةٍ ... وَأُعَـــيظَمٍ وَحَواصِـــلٍ حُمـــرِ
وَيُجَمِّـــرونَ بِغَيـــرِ أَعطِيَـــةٍ ... فـــي البَـــرِّ مَـــن بَعَثـــوا وَفـــي البَحـــرِ
وَيُكَلِّفـــونَ أَبـــاعِراً ذَهَبَـــت ... جيَفـــاً بَلـــينَ تَقـــادُمَ العَصـــرِ
حَتّـــى غَبَطنـــا كُـــلَّ مُحتَمَـــلٍ ... يُمشـــى بِأَعظُمِـــهِ إِلـــى القَبـــرِ
وَتَمَنَّـــتِ الأَحيـــاءُ أَنَّهُـــمُ ... تَحـــتَ التُـــرابِ وَجـــيءَ بِالحَشـــرِ
وَالراقِصـــاتِ بِكُـــلِّ مُبتَهَـــلٍ ... مِـــن فَـــجِّ كُـــلِّ عَمـــايِقٍ غُبـــرِ[3]
مـــا قُلـــتُ إِلّا الحَـــقَّ تَعرِفُـــهُ ... فـــي القَـــولِ مُـــرتَجِلاً وَفـــي الشِـــعرِ
مـــا أَصـــبَحَت أَرضُ العِـــراقِ بِهـــا ... وَرَقٌ لِمُختَـــبِطٍ وَلا قِشـــرِ
إِن نَحـــنُ لَـــم نَمنَـــع بِطاعَتِنـــا ... وَالحُـــبِّ لِلمَهـــدِيِّ وَالشُـــكرِ
فَغَـــدَت عَلَينـــا فـــي مَنازِلِنـــا ... رُســـلُ العَـــذابِ بِرَغـــوَةِ البَكـــرِ
أَشـــقى ثَمـــودَ حـــينَ وَلَّهَـــهُ ... عَـــن أُمِّـــهِ المَشـــؤومُ بِـــالعَقرِ
لَمّـــا رَغـــا هَمَـــدوا كَـــأَنَّهُمُ ... هـــابي رَمـــادٍ مُؤَثَّـــفِ القِـــدرِ[4]

يعكس الفرزدق حال الناس قبل خلافة سليمان في العراق من الذل والمهانة والجوع ويستخدم مجموعة من الصور الجميلة التي تأسر النفس منها صورة نذرهم إن وفق الله إلى خلافة سليمان:

مِـــن حَـــجِّ حافِيَـــةٍ وَصـــائِمَةٍ ... سَـــنَتَينِ أُمِّ أُفَيـــرَخٍ زُعـــرِ

ثم انظر إلى الصورة البديعة التي يغبط فيها الحي الميت بسبب ما ألم به من البلاء:

حَتّـــى غَبَطنـــا كُـــلَّ مُحتَمَـــلٍ ... يُمشـــى بِأَعظُمِـــهِ إِلـــى القَبـــرِ

ثم الكناية الرائعة عن فقر البلاد والعباد:

مـــا أَصـــبَحَت أَرضُ العِـــراقِ بِهـــا ... وَرَقٌ لِمُختَـــبِطٍ وَلا قِشـــرِ

ثم يبلغ الذروة حينما يوظف القصص القرآني في بيان عظم البلاء:

أَشـــقى ثَمـــودَ حـــينَ وَلَّهَـــهُ ... عَـــن أُمِّـــهِ المَشـــؤومُ بِـــالعَقرِ

1 - ديوان الفرزدق ص231

2- أفيرخ تصغير أفراخ، والزعر: قلة شعر وريش وتفرّق حتى يبدو الجلد.

3-العمايق جمع عميق والغبر المغبرة من الغبار.

4 - القدر المؤثفة التي جعلت تحتها الأثافي وهي الحجارة تُنصَب عليها القِدْر.

فقد شبه حالهم بقوم ثمود حين باتوا ينتظرون الصيحة. ثم يقول:

أَنـــتَ الّـــذي نَعَـــتَ الكِتـــابُ لَنـــا ... فـــي نـــاطِقِ التَـــوراةِ وَالزُبـــرِ
كَـــم كـــانَ مِـــن قِـــسٍّ يُخَبِّرُنـــا ... بِخِلافَـــةِ المَهـــدِيِّ أَو حَبـــرِ
جَعَـــلَ الإِلَـــهُ لَنـــا خِلافَتَـــهُ ... بُـــرءَ القُـــروحِ وَعِصـــمَةَ الجَبـــرِ
كَـــم حَـــلَّ عَنّـــا عَـــدلُ سُـــنَّتِهِ ... مِـــن مَغـــرَمٍ ثِقـــلٍ وَمِـــن إِصـــرِ
كُنّـــا كَـــزَرعٍ مـــاتَ كـــانَ لَـــهُ ... ســـاقٍ لَـــهُ حَـــدَبٌ مِـــنَ النَهـــرِ
عَـــدَلوهُ عَنـــهُ فـــي مُغَوَّلَـــةٍ ... لِلمـــاءِ بَعـــدَ جِنانِـــهِ الخُضـــرِ
أَحيَيتَـــهُ بِعُبـــابِ مُنـــثَلِمٍ ... وَعَـــلاهُ مِنـــكَ مُغَـــرِّقُ الـــدَبرِ
أَحيَيـــتَ أَنفُسَـــنا وَقَـــد بَلَغَـــت ... مِنّـــا الفَنـــاءَ وَنَحـــنُ فـــي دُبـــرِ
فَلَقَـــد عَزَزنـــا بَعـــدَ ذِلَّتِنـــا ... بِـــكَ بَعـــدَما نَـــأبى عَـــنِ القَســـرِ
أَصـــبَحتَ قَـــد بَخَعَـــت نَصـــيحَتُنا ... لَـــكَ وَالمَقـــامِ وَأَيمَـــنِ السِـــترِ
أَحيَيـــتَ أَنفُسَـــنا وَقَـــد هَلَكَـــت ... وَجَبَـــرتَ مِنّـــا واهِـــيَ الكَســـرِ
بَـــل مـــا رَأَيـــتُ وَلا سَـــمِعتُ بِـــهِ ... يَومـــاً كَيَـــومِ صَـــواحِبَ القَصـــرِ
يَومـــاً سَـــيُؤمِنُ كُـــلَّ مُنـــدَفِنٍ ... أَو لاحِـــقٍ بِأَئِمَّـــةِ الكُفـــرِ
فَـــاِذكَر أَرامِـــلَ لا عَطـــاءَ لَهـــا ... وَمُسَـــجَّنينَ لِمَوضِـــعَ الأَجـــرِ
لَـــو يُبتَلـــونَ بِغَيـــرِ سِـــجنِهِمِ ... صَـــبَروا وَلَـــو حُبِســـوا عَلـــى الجَمـــرِ
وَلَقَـــد هَـــدى بِـــكَ كُـــلَّ مُلتَـــبَسٍ ... وَشَـــفى بِعَـــدلِكَ كُـــلَّ ذي غِمـــرِ
حَتّـــى اِســـتَقامَ لِوَجـــهِ سُـــنَّتِهِ ... وَدَرى وَلَـــم يَـــكُ قَبلَهـــا يَـــدري[1]

ثم جاءت خلافة سليمان فكأنما أحيت الناس من بعد موت ولما كان أعذب الشعر أكذبه يقول الفرزدق إن خلافة سليمان مذكورة في كتب الأولين وقد حكى لهم القساوسة قرب زمانها فلا غرو أن كانت برء القروح وعصمة الجبر, ثم ذكر كيف كان الحال وكيف صار في أبيات هي الروح تنظر بعينين حيث قال:

كُنّـــا كَـــزَرعٍ مـــاتَ كـــانَ لَـــهُ ... ســـاقٍ لَـــهُ حَـــدَبٌ مِـــنَ النَهـــرِ
عَـــدَلوهُ عَنـــهُ فـــي مُغَوَّلَـــةٍ ... لِلمـــاءِ بَعـــدَ جِنانِـــهِ الخُضـــرِ
أَحيَيتَـــهُ بِعُبـــابِ مُنـــثَلِمٍ ... وَعَـــلاهُ مِنـــكَ مُغَـــرِّقُ الـــدَبرِ

1- ديوان الفرزدق ص232- 233

هذا غير العدل الذي استقام به كل معوج وشفي به كل ذي حقد مضمر.

وَأَخَـــذتَ عَـــدلاً مِـــن أَبيـــكَ لَنـــا ... وَقَلَعـــتَ عَنّـــا كُـــلَّ ذي كِبـــرِ
عـــاتٍ إِذا المَظلـــومُ ذَكَّـــرَهُ ... أَغضـــى عَلـــى عِظَـــمٍ مِـــنَ الـــذِكرِ
إِنّـــا لَنَرجـــو أَن تُعيـــدَ لَنـــا ... سُـــنَنَ الخَلائِـــفِ مِـــن بَنـــي فِهـــرِ
عُثمـــانَ إِذ ظَلَمـــوهُ وَاِنتَهَكـــوا ... دَمَـــهُ صَـــبيحَةَ لَيلَـــةِ النَحـــرِ
وَدِعامَـــةِ الـــدينِ الَّتـــي اِعتَـــدَلَت ... عُمَـــراً وَصـــاحِبَهُ أَبـــا بَكـــرِ
وَاِبنَـــي أَبـــي سُـــفيانَ إِذ طَلَبـــا ... عُثمـــانَ مـــا باتـــا عَلـــى وِتـــرِ
وَأَبـــا أَبيـــكَ لِكُـــلِّ جائِحَـــةٍ ... مَـــروانَ سَـــيفَ الـــدينِ ذا الأَثَـــرِ
وَأَبـــاكَ إِذ كَشَـــفَ الإِلَـــهُ بِـــهِ ... عَنّـــا العَمـــى وَأَضـــاءَ كَـــالفَجرِ
وَأَخـــاكَ إِذ فَـــتَحَ الإِلَـــهُ بِـــهِ ... وَأَعَـــزَّهُ بِـــاليُمنِ وَالنَصـــرِ
خُلَفـــاءَ قَـــد تَرَكـــوا فَرائِضَـــهُم ... فينـــا وَسُـــنَّةَ طَيِّبـــي الـــذِكرِ

هذه القطعة في ذكر آباء الممدوح وأجداده وسلفه من الخلفاء أبي بكر وعمر وعثمان ولا ينسى أن يذكر بالظلم الواقع على ذي النورين رضي اللهُ عنه وأرضاه؛ فدم عثمان كان شعار الخلافة الأموية.

وقال فيه أيضاً: (الطويل)

وَلَـــولا سُـــلَيمانُ الخَليفَـــةُ حَلَّقَـــت ... بِهِـــم مِـــن يَـــدِ الحَجّـــاجِ أَظفـــارُ مُغـــرِبِ
كَـــأَنَّهُمُ عِنـــدَ اِبـــنِ مَـــروانَ أَصـــبَحوا ... عَلـــى رَأسِ عينـــا مِـــن ثَبيـــر[2]وَكَبكَـــبِ
أَبـــى وَهـــوَ مَـــولى العَهـــدِ أَن يَقبَـــلَ الَّتـــي ... يُـــلامُ بِهـــا عِـــرضُ الغَـــدورِ المُسَـــبَّبِ
وَفـــاءَ أَخـــي تَيمـــاءَ إِذ هُـــوَ مُشـــرِفٌ ... يُناديـــهِ مَغلـــولاً فَتـــىً غَيـــرُ جَأنَـــبِ
أَبـــوهُ الَّـــذي قـــالَ اِقتُلـــوهُ فَـــإِنَّني ... سَـــأَمنَعُ عِرضـــي أَن يُسَـــبَّ بِـــهِ أَبـــي
فَإِنّـــا وَجَـــدنا الغَـــدرَ أَعظَـــمَ سُـــبَّةً ... وَأَفضَـــحَ مِـــن قَتـــلِ اِمـــرِئٍ غَيـــرِ مُـــذنِبِ
فَـــأَدّى إِلـــى آلِ اِمـــرِءِ القَـــيسِ بَـــزَّهُ ... وَأَدراعَـــهُ مَعروفَـــةً لَـــم تُغَيَّـــبِ
كَمـــا كـــانَ أَوفـــى إِذ يُنـــادي اِبـــنُ دَيهَـــثٍ[1] ... وَصِـــرمَتُهُ كَـــالمَغنَمِ المُتَنَهَّـــبِ
فَقـــامَ أَبـــو لَيلـــى إِلَيـــهِ اِبـــنُ ظـــالِمٍ ... وَكـــانَ إِذا مـــا يَســـلُلِ السَـــيفَ يَضـــرِبِ
وَمـــا كـــانَ جـــاراً غَيـــرَ دَلـــوٍ تَعَلَّقَـــت ... بِحَبلَيـــهِ فـــي مُستَحصِـــدِ الحَبـــلِ مُكـــرَبِ
إِلـــى بَـــدرِ لَيـــلٍ مِـــن أُمَيَّـــةَ ضَـــوءُهُ ... إِذا مـــا بَـــدا يَعشـــى لَـــهُ كُـــلُّ كَوكَـــبِ
وَأَعطـــاهُ بِـــالبِرِّ الَّـــذي فـــي ضَـــميرِهِ ... وَبِالعَـــدلِ أَمـــرَي كُـــلَّ شَـــرقٍ وَمَغـــرِبِ[3]

كل ممادح الفرزدق لسليمان الخليفةوالتي بلغت سبع قصائد لها علاقة بالحجاج بصورة أو بأخرى وذلك لما لاقاه الناس من ظلم الحجاج وعسفه حتى خلصهم منه سليمان وفي مطلع هذا المقطع صورة جمالية حيث شبه دواهي الحجاج على الناس بطائر مفترس ذي مخالب.

1- ديهيث : امرأة من بني مرة أخذ إبلها أحد خاصة النعمان بن المنذر,فاستجارت بالحارث بن ظالم أحد فرسان العرب فأجارها واسترد إبلها./ ديوان الفرزدق ص23

2- جبل بين مكة ومنى ويرى من منى وهو على يمين الداخل منها إلى مكة.

3 - ديوان الفرزدق ص 21

يتناص الفرزدق من قصة السموأل بن عادياء الذي يضرب به المثل في الوفاء في مدح سليمان الخليفة واصفاً وفاءه بما وعد به حين كان ولياً للعهد.يصف الممدوح بأنه بدر في الوضاءة والعلو والسؤدد وأن الله علم منه البر فاعطاه ملك المشرق والمغرب.

3. عمر بن عبد العزيز بن مروان 99 هـ - 101 هـ

عمر بن عبد العزيز بن مروان : الخليفة الصالح أبو حفص ولد بحلوان قرية بمصر و أبوه أمير عليها سنة إحدى و قيل : ثلاث و ستين و أمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب و كان بوجه عمر شجة ضربته دابة في جبهته ـ و هو غلام ـ فجعل أبوه يمسح الدم عنه و يقول : إن كنت أشج بني أمية إنك لسعيد.

و كان قبل الخلافة على قدم الصلاح أيضا إلا أنه كان يبالغ في التنعم فكان الذين يعيبونه من حساده لا يعيبونه إلا بالإفراط في التنعم و الاختيال في المشية فلما ولي الوليد الخلافة أمر عمر على المدينة فوليها من سنة ست و ثمانين إلى سنة ثلاث و تسعين و عزل فقدم الشام ثم إن الوليد عزم على أن يخلع أخاه سليمان من العهد و أن يعهد إلى ولده فأطاعه كثير من الأشراف طوعا و كرها فامتنع عمر بن عبد العزيز و قال لسليمان : في أعناقنا بيعة و صمم فطين عليه الوليد ثم شفع فيه بعد ثلاث فأدركوه و قد مالت عنقه فعرفها له سليمان فعهد إليه بالخلافة

توفي عمر رحمه الله بدير سمعان ـ بكسر السين ـ من أعمال حمص لعشر بقين ـ و قيل : لخمس بقين ـ من رجب سنة إحدى و مائة و له حينئذ تسع و ثلاثون سنة و ستة أشهر.[1]

قال فيه الفرزدق: (الطويل)

إِلَيكَ اِبنَ لَيلى يا اِبنَ لَيلى تَجَوَّزَت ... فَلاةً وَداوِيّاً دِفاناً مَناهِلُه
تُجيلَ دِلاءَ القَومِ فيهِ غُثائَهُ ... إِجالَةَ حَمِّ(المُستَذيبَةِ جامِلُه
لَها صاحِبا فَقرٍ عَلَيها وَصادِعٌ ... بِها البيدَ عادِيٌّ ضَحوكٌ مَناقِلُه
تُريدُ مَعَ الحَجِّ وَاِبنِ لَيلى كِلاهُما ... لِصاحِبِهِ خَيرٌ تُرَجّى فَواضِلُه
زِيارَةَ بَيتِ اللَهِ وَاِبنِ خَليفَةٍ ... تَحَلَّبُ كَفّاهُ النَدى وَأَنامِلُه
وَكانَ بِمِصرَ اِثنانِ ما خافَ أَهلُها ... عَدُوّاً وَلا جَدباً تُخافُ هَزابِلُه
لَدُن جاوَرَ النيلَ اِبنُ لَيلى فَإِنَّهُ ... يَفيضُ عَلى أَيدي المَساكينِ نابِلُه
فَأَصبَحَ أَهلُ النيلِ قَد ساءَ ظَنُّهُم ... بِهِ وَاِطمَأَنَّت بَعدَ فَيضٍ سَواحِلُه[2]

1 - السيوطي, تاريخ الخلفاء ص182- 195
2 - ديوان الفرزدق ص 431

بدأ بناقته التي تحمله إلى ابن ليلى وهو عمر بن عبد العزيز فقد جاوزت مفاوز دوية لا ماء فيها فقد دفنت الرمال السافيات وهي تريد قصد الحج وقصد الخليفة كلاهما ثم يعرج على إمارة الخليفة بمصر وكيف كان والنيل يغيثان مصر وأن أهلها ربما ظنوا في النيل ضعفه في بعض المواسم لكن الممدوح مرجو على كل حال.

أَرى النـــاسَ إِذ خَلّـــى اِبـــنُ لَيلـــى مَكانَـــهُ ... يَطوفـــونَ لِلغَيـــثِ الَّـــذي مـــاتَ وابِلُـــه
كَمـــا طـــافَ أَيتـــامٌ بِـــأُمٍّ حَفِيَّـــةٍ ... بِهِـــم وَأَبٍ قَـــد فـــارَقَتهُم شَـــمايِلُه
فَقُـــل لِلِيَتـــامى وَالأَرامِـــلِ وَالَّـــذي ... تُريـــدُ بِـــهِ أَرضَ اِبـــنِ لَيلـــى رَواحِلُـــه
يَـــؤُمُّ اِبـــنَ لَيلـــى خائِفـــاً مِـــن وَرائِـــهِ ... وَيَأمُـــلُ مَـــن تُرجـــى لَدَيـــهِ نَوافِلُـــه
فَـــإِنَّ لَهُـــم مِنـــهُ وَفـــاءَ رَهينَـــةٍ ... بِأَخلاقِـــهِ الجُلّـــى تَفـــيضُ جَداوِلُـــه
أَغَـــرُّ نَمـــى الفـــاروقُ كَفَّيـــهِ لِلعُلـــى ... وَآلُ أَبـــي العاصـــي طِـــوالٌ مَحامِلُـــه
أَرادَ اِبـــنَ عَشـــرٍ أَن يَنـــالَ الَّتـــي غَلَـــت ... عَلـــى الشـــيبِ مِـــن مَجـــدٍ تَســـامى أَطاوِلُـــه
فَـــوُرِّعَ تَوريـــعَ الجِيـــادِ عِنانُـــهُ ... فَمـــا جـــاءَ حَتّـــى ســـاوَرَ الشَـــمسَ قابِلُـــه
أَلَـــم تَـــرَ أَنَّ النيـــلَ نَضَّـــبَ مـــاؤُهُ ... وَمـــاتَ النَـــدى بَعـــدَ اِبـــنِ لَيلـــى وَفاعِلُـــه
وَمُـــرتَهَنٍ بِـــالمَوتِ غـــالٍ فِـــداؤُهُ ... تُسَـــنِّيَ عَنـــهُ يـــا اِبـــنَ لَيلـــى سَلاسِـــلُه
وَمـــا ضَـــمِنَت مِثـــلَ اِبـــنِ لَيلـــى ضَـــريحَةٌ ... وَمـــا كـــانَ حَـــيٌّ وَهـــوَ حَـــيٌّ يُعادِلُـــه

شبه حال الناس عند فقد الخليفة بالأيتام تطوف بهم أمهم مواطن النوال ومظان العطاء.

ولقدجمع الفرزدق التأمين من الخوف ورجاء المأمول في بيت واحد:

يَـــؤُمُّ اِبـــنَ لَيلـــى خائِفـــاً مِـــن وَرائِـــهِ ... وَيَأمُـــلُ مَـــن تُرجـــى لَدَيـــهِ نَوافِلُـــه

إن الوشيجة التي نمت بأمير المؤمنين إلى عمر بن الخطاب رضي اللهُ من أعظم المزايا لأشج بني أمية فقد جمع الحزم والحلم كلاهما.ثم انظر إلى بديع الجناس في قوله: (وَما كانَ حَيٌّ وَهوَ حَيٌّ يُعادِلُه) بين الحي وهو جزء القبيلة وبين الحي بمعنى الذي فيه الحياة.

وقال فيه أيضاً: (البسيط)

أَو تَعطِفَ العيسَ صُعراً في أَزِمَّتِها ... إِلى اِبنِ لَيلى إِذا اِبزَوزى بِكَ السَفَرُ
فَعُجتُها قِبَلَ الأَخيارِ مَنزِلَةً ... وَالطَيِّبي كُلِّ ما اِلتاثَت بِهِ الأُزُرُ
قَرَّبتُ مُحلِفَةً أَقحادَ أَسنُمِها[1] ... وَهُنَّ مِن نَعَمِ اِبنَي داعِرٍ سِرَرُ
مِثلُ النَعائِمِ يُزجينا تَنَقُّلُها ... إِلى اِبنِ لَيلى بِنا التَهجيرُ وَالبُكَرُ
خوصاً حَراجيجَ ما تَدري أَما نَقِبَت ... أَشكى إِلَيها إِذا راحَت أَمِ الدَبَرُ[2]
إِذا تَرَوَّحَ عَنها البَردُ حُلَّ بِها ... حَيثُ اِلتَقى بِأَعالي الأَسهُبِ العَكَرُ[3]
بِحَيثُ ماتَ هَجيرُ الحَمضِ وَاِختَلَطَت ... لَصافِ حَولَ صَدى حَسّانَ وَالحُفَرُ
إِذا رَجا الرَكبُ تَعريساً ذَكَرتُ لَهُم ... غَيثاً يَكونُ عَلى الأَيدي لَهُ دِرَرُ
وَكَيفَ تَرجونَ تَغميضاً وَأَهلُكُمُ ... بِحَيثُ تَلحَسُ عَن أَولادِها البَقَرُ
مُلقَونَ بِاللَبَبِ الأَقصى مُقابِلُهُم ... عِطفاً قَساً وَبِراقٌ سَهلَةٌ عُفَرُ
وَأَقرَبُ الريفِ مِنهُم سَيرُ مُنجَذِبٍ ... بِالقَومِ سَبعَ لَيالٍ ريفُهُم هَجَرُ
سيروا فَإِنَّ اِبنَ لَيلى مِن أَمامِكُمُ ... وَبادِروهُ فَإِنَّ العُرفَ مُبتَدَرُ
وَبادِروا بِاِبنِ لَيلى المَوتَ إِنَّ لَهُ ... كَفَّينِ ما فيهِما بُخلٌ وَلا حَصَرُ[4]

والفرزدق أعرابي له بناقته غرام شديد فإذا أراد أن يمدح أحداً خالصاً من عاطفته بدأ بالناقة فوصف سيرها وما تلاقيه من النصب وفي ثنايا ذلك يذكر صوراً جمالية رائعة وينحت من صخورالجبال تماثيل غاية في الروعة، انظر إليه كيف يجعلها في حيرة مؤلمة بين ألم الظهر وألم المناسم, ألم الدبر ,وألم النقب:

خوصاً حَراجيجَ ما تَدري أَما نَقِبَت ... أَشكى إِلَيها إِذا راحَت أَمِ الدَبَرُ

وكلما أراد الركب الملازمون له الراحة في الطريق ذكرهم بفجاءة المطروذكرهم قومهم الذين أرسلوهم وانتظروا.

1- القحدة: أصل السنام، والجمع قحاد.
2 - الدبر قروح تكون على ظهر الدابة.
3 - الأسهب جمع سهب وهو ما بعد من الأرض واستوى في سهولة، والعكر جماعات الأبل.
4- ديوان الفرزدق ص 164

أَلَـــيسَ مَـــروانُ وَالفـــاروقُ قَـــد رَفَعـــا ... كَفَّيـــهِ وَالعـــودُ مـــاءَ العِـــرقِ يَعتَصِـــرُ
مـــا اِهتَـــزَّ عـــودٌ لَـــهُ عِرقـــانِ مِثلُهُمـــا ... إِذا تَـــرَوَّحَ فـــي جُرثومِـــهِ الشَـــجَرُ
أَلفَيـــتَ قَومَـــكَ لَـــم يَتـــرُك لِأَثلَـــتِهِم[1] ... ظِـــلٌّ وَعَنهـــا لِحـــاءُ الســـاقِ يُقتَشَـــرُ
فَأَعقَـــبَ اللَهُ ظِـــلّاً فَوقَـــهُ وَرَقٌ ... مِنهـــا بِكَفَّيـــكَ فيـــهِ الـــريشُ وَالثَمَـــرُ
وَمـــا أُعيـــدَ لَهُـــم حَتّـــى أَتَيـــتَهُمُ ... أَزمـــانَ مَـــروانَ إِذ فـــي وَحشِـــها غِـــرَرُ
فَأَصـــبَحوا قَـــد أَعـــادَ اللَهُ نِعمَـــتَهُم ... إِذ هُـــم قُـــرَيشٌ وَإِذ مـــا مِـــثلَهُم بَشَـــرُ
وَهُـــم إِذا حَلَفـــوا بِـــاللَهِ مُقسِـــمُهُم ... يَقـــولُ لا وَالَّـــذي مِـــن فَضـــلِهِ عُمَـــرُ
عَلـــى قُـــرَيشٍ إِذا اِحتَلَّـــت وَعَـــضَّ بِهـــا ... دَهـــرٌ وَأَنيـــابُ أَيّـــامٍ لَهـــا أَثَـــرُ
وَمـــا أَصـــابَت مِـــنَ الأَيّـــامِ جائِحَـــةٌ ... لِلأَصـــلِ إِلّا وَإِن جَلَّـــت سَـــتُجتَبَرُ
وَقَـــد حُمِـــدَت بِـــأَخلاقٍ خُبِـــرتَ بِهـــا ... وَإِنَّمـــا يـــا اِبـــنُ لَيلـــى يُحمَـــدُ الخَبَـــرُ
سَـــخاوَةٌ مِـــن نَـــدى مَـــروانَ أَعرِفُهـــا ... وَالطَعـــنِ لِلخَيـــلِ فـــي أَكتافِهـــا زَوَرُ
وَنائِـــلٌ لِإِبـــنِ لَيلـــى لَـــو تَضَـــمَّنَهُ ... سَـــيلُ الفُـــراتِ لَأَمســـى وَهـــوَ مُحتَقَـــرُ
وَكـــانَ آلُ أَبـــي العاصـــي إِذا غَضِـــبوا ... لا يَنقُضـــونَ إِذا مـــا اِستُحصِـــدَ المِـــرَرُ[2]
يَـــأبى لَهُـــم طـــولَ أَيـــديهِم وَأَنَّ لَهُـــم ... مَجـــدَ الرِهـــانِ إِذا مـــا أُعظِـــمَ الخَطَـــرُ
إِن عـــاقَبوا فَالمَنايـــا مِـــن عُقـــوبَتِهِم ... وَإِن عَفَـــوا فَـــذَوُو الأَحـــلامِ إِن قَـــدَروا
لا يَســـتَثيبونَ نُعمـــاهُم إِذا سَـــلَفَت ... وَلَـــيسَ فـــي فَضـــلِهِم مَـــنٌّ وَلا كَـــدَرُ
كَـــم فَـــرَّقَ اللَهُ مِـــن كَيـــدٍ وَجَمَّعَـــهُ ... بِهِـــم وَأَطفَـــأَ مِـــن نـــارٍ لَهـــا شَـــرَرُ
وَلَـــن يَـــزالَ إِمـــامٌ مِـــنهُمُ مَلِـــكٌ ... إِلَيـــهِ يَشـــخَصُ فَـــوقَ المِنبَـــرِ البَصَـــرُ[3]

لقد جمع الممدوح بين مجد بني أمية في الجاهلية وسؤدد بني عدي في الإسلام فصار بكليهما بدر زمانه زانه عدل عرف به, ثم يذكر ما صاحب خلافة عمر بن عبد العزيز من الخير العميم وعود النعمة:

فَأَصـــبَحوا قَـــد أَعـــادَ اللَهُ نِعمَـــتَهُم ... إِذ هُـــم قُـــرَيشٌ وَإِذ مـــا مِـــثلَهُم بَشَـــرُ

وجعل من أعظم فضائل الله على بني أمية أن جعل منهم عمر.

ومن الصورة الجمالية تشبيه الدهر والأيام بالحيوانات المفترسة:

عَلـــى قُـــرَيشٍ إِذا اِحتَلَّـــت وَعَـــضَّ بِهـــا ... دَهـــرٌ وَأَنيـــابُ أَيّـــامٍ لَهـــا أَثَـــرُ

وأيضا المقابلة البديعة بين فرق وجمع في قوله:

كَـــم فَـــرَّقَ اللَهُ مِـــن كَيـــدٍ وَجَمَّعَـــهُ ... بِهِـــم وَأَطفَـــأَ مِـــن نـــارٍ لَهـــا شَـــرَرُ

4. يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم 101هـ - 105 هـ

يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم : أبو خالد الأموي الدمشقي, ولد سنة إحدى و سبعين و ولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز بعهد من أخيه سليمان كما تقدم, و في سنة اثنتين ومئة خرج يزيد بن المهلب على الخلافة

1- الأثلة السمرة وقيل شجرة من العضاه طويلة مستقيمة الخشبة.

2- والمِرَّةُ القوّة وجمعها المِرَرُ.

3- ديوان الفرزدق ص 166

فوجه إليه مسلمة بن عبد الملك بن مروان فهزم يزيد و قتل و ذلك بالعقير موضع بقرب كربلاء ،مات يزيد في أواخر شعبان سنة خمس و مئة. [1]

قال فيه الفرزدق: (الطويل)

أَتَينـــــاكَ زُوّاراً وَسَـــــــمعاً وَطاعَـــــــةً ... فَلَبَّيـــــكَ يـــــا خَيـــــرَ البَرِيَّـــــةِ داعِيـــــا
فَلَـــــو أَنَّنـــــي بِالصـــــينِ ثُـــــمَّ دَعَـــــوتَني ... وَلَـــــو لَـــــم أَجِـــــد ظَهـــــراً أَتَيتُـــــكَ ســـــاعِيا
وَمـــــا لِـــــيَ لا أَســـــعى إِلَيـــــكَ مُشَـــــمِّراً ... وَأَمشـــــي عَلـــــى جَهـــــدٍ وَأَنـــــتَ رَجائِيـــــا
وَكَفّـــــاكَ بَعـــــدَ اللهِ فـــــي راحَتَيهِمـــــا ... لِمَـــــن تَحـــــتَ هَـــــذي فَوقَنـــــا الـــــرِزقُ وافِيـــــا
وَأَنـــــتَ غِيـــــاثُ الأَرضِ وَالنـــــاسِ كُلِّهِـــــم ... بِـــــكَ اللهُ قَـــــد أَحيـــــا الَّـــــذي كـــــانَ بالِيـــــا
وَمـــــا وَجَـــــدَ الإِســـــلامُ بَعـــــدَ مُحَمَّـــــدٍ ... وَأَصـــــحابِهِ لِلـــــدينِ مِثلَـــــكَ راعِيـــــا
يَقـــــودُ أَبـــــو العاصـــــي وَحَـــــربٌ لِحَوضِـــــهِ ... فُـــــراتَينِ قَـــــد غَمّـــــا البُحـــــورَ الجَوارِيـــــا
إِذا اِجتَمَعـــــا فـــــي حَوضِـــــهِ فـــــاضَ مِنهُمـــــا ... عَلـــــى النـــــاسِ فَـــــيضٌ يَعلُـــــوانِ الرَوابِيـــــا
فَلَـــم يُلـــقَ حَـــوضٌ مِثـــلُ حَـــوضٍ هُمـــا لَـــهُ ... وَلا مِثـــــــلُ آذِيٍّ فُراتَيـــــــهِ ســـــــاقِيا
وَمـــــا ظَلَـــــمَ المُلـــــكَ اِبـــــنُ عاتِكَـــــةَ الَّتـــــي ... لَهـــــا كُـــــلُّ بَـــــدرٍ قَـــــد أَضـــــارَ اللَيالِيـــــا
أَرى اللهَ بِالإِســـــلامِ وَالنَصـــــرِ جـــــاعِلاً ... عَلـــــى كَعـــــبِ مَـــــن نـــــاواكَ كَعبَـــــكَ عالِيـــــا[2]

لم يبدأ الفرزدق مدحته بناقته ولا بسفره الطويل ولم يوطيء لها وبالرغم من ذلك فقد جاءت مدحته رائعة ومع ذلك جاءت فيها بعض الأبيات المغموزة.

1- السيوطي, تاريخ الخلفاء, ص196
2 - ديوان الفرزدق ص 646

ويقو ل أيضا :

سَـــبَقتُ بِنَفســـي بِـــالجَريضِ [1] مُخـــاطِراً ... إِلَيـــكَ عَلـــى نِضـــوي الأَســـودَ العَوادِيـــا
وَكُنـــتُ أَرى أَن قَـــد سَـــمِعتَ وَلَـــو نَـــأَت ... عَلـــى أَثَـــري إِذ يُجمِـــرونَ بِـــدائِيا
بِخَيـــرِ أَبٍ وَاِســـمٍ يُنـــادى لِرَوعَـــةٍ ... سِـــوى اللَهِ قَـــد كانَـــت تُشـــيبُ النَواصِـــيا
تُريـــدُ أَميـــرَ المُـــؤمِنينَ وَلَيتَهـــا ... أَتَتـــكَ بِـــأَهلي إِذ تُنـــادي وَمالِيـــا
بِمُـــدَّرِعينَ اللَيـــلَ مِمّـــا وَرائَهـــا ... بِـــأَنفُسِ قَومـــاً قَـــد بَلَغـــنَ التَراقِيـــا
إِلَيـــكَ أَكَلنـــا كُـــلَّ خُـــفٍّ وَغـــارِبٍ ... وَمُـــخٍّ وَجـــاءَت بِـــالجَريضِ مَناقِيـــا
تَـــرامَينَ مِـــن يَبـــرينَ أَو مِـــن وَرائَهـــا ... إِلَيـــكَ عَلـــى الشَـــهرِ الحُســـومِ تَرامِيـــا
وَمُنتَكِـــثٍ عَلَّلـــتُ مُلتاثَـــهُ بِـــهِ ... وَقَـــد كَفَّـــنَ اللَيـــلُ الخُـــروقَ الخَوالِيـــا
لَأَلقـــاكَ إِنّـــي إِن لَقيتُـــكَ ســـالِماً ... فَتِلـــكَ الَّتـــي أُنهـــى إِلَيهـــا الأَمانِيـــا
تُريـــدُ أَميـــرَ المُـــؤمِنينَ وَلَيتَهـــا ... أَتَتـــكَ بِـــأَهلي إِذ تُنـــادي وَمالِيـــا
لَقَـــد عَلِـــمَ الفُسّـــاقُ يَـــومَ لَقيـــتَهُم ... يَزيـــدُ وَحَـــوّاكُ البُـــرودِ اليَمانِيـــا
وَجـــاؤوا بِمِثـــلِ الشـــاءِ غُلفـــاً قُلـــوبُهُم ... وَقَـــد مَنَّيـــاهُم بِالضَـــلالِ الأَمانِيـــا
ضَـــرَبتَ بِسَـــيفٍ كـــانَ لاقـــى مُحَمَّـــدٌ ... بِـــهِ أَهـــلَ بَـــدرٍ عاقِـــدينَ النَواصِـــيا
فَلَمّـــا اِلتَقَـــت أَيـــدٍ وَأَيـــدٍ وَهَزَّتـــا ... عَـــوالِيَ لاقَـــت لِلطِعـــانِ عَوالِيـــا
أَراهُـــم بَنـــو مَـــروانَ يَـــومَ لَقـــوهُمُ ... بِبابِـــلَ يَومـــاً أَخـــرَجَ الـــنَجمَ بادِيـــا
بَكَـــوا بِسُـــيوفِ اللَهِ لِلـــدينِ إِذ رَأَوا ... مَـــعَ الســـودِ وَالحُمـــرانِ بِـــالعَقرِ طاغِيـــا
أَنـــاخوا بِأَيـــدي طاعَـــةٍ وَسُـــيوفُهُم ... عَلـــى أُمَّهـــاتِ الهـــامِ ضَـــرباً شَـــآمِيا
فَمـــا تَرَكَـــت بِالمَشـــرِعَينِ سُـــيوفُكُم ... نُكوبـــاً عَـــنِ الإِســـلامِ مِمَّـــن وَرائِيـــا
سَـــعى النـــاسُ مُـــذ سَـــبعونَ عامـــاً لِيَقلَعـــوا ... بِـــآلِ أَبـــي العاصـــي الجِبـــالَ الرَواسِـــيا
فَمـــا وَجَـــدوا لِلحَـــقِّ أَقـــرَبَ مِـــنهُمُ ... وَلا مِثـــلَ وادي آلَ مَـــروانَ وادِيـــا
بَكَـــوا بِسُـــيوفِ اللَهِ لِلـــدينِ إِذ رَأَوا ... مَـــعَ الســـودِ وَالحُمـــرانِ بِـــالعَقرِ طاغِيـــا

في هذه الأبيات نرى الفرزدق يذكرناقته التي أصابها الهزال, وسيرها لتلاقي الممدوح الذي ينتمي لآل مروان الأشداء الأقوياء الذين يضربون كل معتدٍ بسيف الحق ويقضون على كل فتنة تصيب المسلمين, ونلاحظ أن الأوصاف التي جاء بها الفرزدق لبني مروان جاءت موافقة ومرضية لهم؛ فهم كالجبال الراسية, وهم سيوف الله التي تحمي الدين, وتدفع البلاء عن المسلمين.

1-الجريض: الغصة.

وقال فيه أيضاً: (الطويل)

وَجَـــدتُ لَـــكَ البَطحـــاءُ لَمّـــا تَوارَثَـــت ... قُـــرَيشٌ تُـــراثَ الأَطيَبَـــينَ الأَكـــارِمِ
وَإِنَّ لَكُـــم عيصـــاً أَلَـــفَّ غُصـــونُهُ ... لَـــهُ ظِـــلُّ بَيتـــي عَبـــدِ شَـــمسٍ وَهاشِـــمِ
فَكَـــم لَـــكَ مِـــن ســـاقٍ وَدَلـــوٍ سَـــجيلَةٍ ... إِلَيـــكَ لَهـــا الحَومـــاتُ ذاتُ القَمـــاقِمِ
و كـــانَ مِـــن أَولادِ دارِمَ مَـــلأَكٌ ... حَمَلـــتَ جَنـــاحَي مَـــلأَكٍ غَيـــرَ ســـائِمِ
مِـــنَ الحَمـــدِ وَالتَســـبيحِ لِلَّهِ مـــا جَـــرَت ... إِلـــى الغَـــورِ أَدراجَ النُجـــومِ التَـــوائِمِ
وَلَـــو كـــانَ بَعـــدَ المُصـــطَفى مِـــن عِبـــادِهِ ... نَبِـــيٌّ لَهُـــم مِـــنهُم لِأَمـــرِ العَـــزائِمِ
لَكُنـــتَ الَّـــذي يَختـــارُهُ اللهُ بَعـــدَهُ ... لِحَمـــلِ الأَمانـــاتِ الثِقـــالِ العَظـــائِمِ
لَكُـــم أَبطَحاهـــا الأَعظَمـــانِ وَسَـــيلُها ... لَكُـــم حـــينَ يَرمـــي مَوجُهـــا بِـــالعَلاجِمِ[1]
تُـــراثُ أَبـــي العاصـــي لُـــؤَيِّ اِبـــنِ غالِـــبٍ ... عَلـــى أَنـــفِ راضٍ مِـــن مَعَـــدٍّ وَراغِـــمِ
وَرِثـــتُم خَليـــلَ اللَهِ كُـــلَّ خِزانَـــةٍ ... وَكُـــلَّ كِتـــابٍ بِـــالنُبُوَّةِ قـــائِمِ
بِحُكـــمِ الَّـــذي فَـــوقَ السَـــمَواتِ عَرشُـــهُ ... بِمـــا فـــي ثَـــرى سَـــبعٍ مِـــنَ الأَرضِ عـــالِمِ
أَرى كُـــلَّ حَـــيٍّ حَـــيُّكُم فاضِـــلٌ لَـــهُ ... وَأَمـــواتُكُم خَيـــرُ الشُـــعوبِ الأَقـــادِمِ[2]

هذه القصيدة تدب فيها الروح ولعل الفرزدق قد هدأت نفسه فتنفست قصائده لهذا الخليفة الصعداء واطمأنت واستقر بها النوى, بدأ مدحته من بطحاء مكة في الجاهلية ليشير إلى قديم سؤدد الممدوح.

وقال أيضا:

إِلَيـــكَ وَطِئنـــا الـــثَلجَ يَنثُـــرُ فَوقَنـــا ... وَنَكبـــاءُ تَلقانـــا بُـــرودَ الشَـــبائِمِ[3]
مُشَـــمِّرَةً بَـــينَ الصَـــبا وَشِـــمالِها ... تَجُـــرُّ نَواحيهـــا رُؤوسَ المَخـــارِمِ[4]
لَنَلقـــاكَ وَاللاقيـــكَ يَعلَـــمُ أَنَّـــهُ ... سَـــيَأخُذُ إِن أَعطَيتَـــهُ حَبـــلَ عاصِـــمِ
وَحَبلُـــكَ حَبـــلُ اللهِ مَـــن يَعتَصِـــم بِـــهِ ... إِذا نالَـــهُ يَأخُـــذ بِـــهِ حَبـــلَ ســـالِمِ
أَبـــوكَ أَبـــو العاصـــي وَحَـــربٌ كِلاهُمـــا ... أَبـــو الخُلَفـــاءِ المُصـــطَفَينَ الأَكـــارِمِ
إِذا هُـــنَّ بَلَّغـــنَ الرِجـــالَ فَقُبِّـــدَت ... إِذا حُـــلَّ عَنهـــا بِالسُـــيوفِ الصَـــوارِمِ
إِلـــى مُنتَهـــى الحاجـــاتِ لَـــيسَ وَراءَهُ ... وَلا دونَـــهُ لِلراقِصـــاتِ الـــرَواثِمِ[5]
مُنـــاخٌ لِأَهـــلِ الأَرضِ يَجمَـــعُ بَيـــنَهُم ... لِمُطَّلِبـــي الحاجـــاتِ غُبـــرُ المَخـــارِمِ
أُنِخـــنَ إِلـــى خَيـــرِ البَرِيَّـــةِ ضُـــمَّراً ... دَوامِـــيَ مِـــن أَصـــلابِها وَالمَناسِـــمِ
سَـــيُدنيكُمُ التَأويـــبُ مِـــن خَيـــرِ مَـــن مَشـــى ... إِلَيـــهِ وَجَـــرّى بِالسُـــرى كُـــلَّ نـــائِمِ
وَشَـــهباءُ مِهيـــافٌ شَـــديدٌ ضَـــريرُها ... تَحُـــلُّ بِراميهـــا عُقـــودَ التَمـــائِمِ

هنا يريد أن يحكي كيف وصلوا إلى الممدوح ليشعره أنهم ما فعلوا ذلك إلى لعظم الممدوح وجلالة المرغوب.

ومن الصور الجمالية هنا قوله:

---

1 - العلجم : الغدير الكثير الماء. والجمع علاجم

2 - ديوان الفرزدق ص 590

3- الشبم البرد والجمع شبائم.

4- المخرم، بكسر الراء: منقطع أنف الجبل، والجمع المخارم، وهى أفواه الفجاج.

5 - الرثم بياض في الأنف.

إلَيــكَ وَطِئنــا الــثَلجَ يَنثُــرُ فَوقَنــا وَنَكبــاءُ تَلقانــا بُــرودَ الشَــبائِمِ

فجمع بين الموطوء والمنثور وهو شيء واحد أعني الثلج, أيضاً تشبيهه النوق بالراقصات لأنه تضطرب في مشيتها وتضطرب أسنمتها من فوقها.

وقال فيه أيضاً: (الكامل)

هَــل تَعلَمــونَ بَنــي أَمَيَّــةَ قــاتَلوا إِلّا بِسَــيفِ نُبُــوَّةٍ لَــم يُفلَــلِ
ضَــرَبوا بِحَــقِّ نُبُــوَّةٍ كانَــت لَهُــم وَسُــيوفِ أُســدِ خَفِيَّــةٍ لَــم تَنكُــلِ
وَتَــرى الــبِلادَ وَوَحشَــها يَخشَــينَهُ مَلِكــاً وَلَــيسَ يَقــولُ مــا لَــم يَفعَــلِ
وَمُغَلَّثِــينَ[1] مِــنَ النُعــاسِ كَأَنَّمــا شَــرِبوا عَتيــقَ سِــنينَ فَــوقَ الأَرحُــلِ
وَتَــرى لَهُــم لِمَمــاً تَــرى خَفَقانَهــا يَغثَــينَ مُضــطَرِبَ الــرُؤوسِ المُيَّــلِ
نَبَّهــتُهُم بِــكَ بَعــدَما غَلَــبَ الكَــرى مِــنهُم جُفــونَ نَــواعِسٍ لَــم تُكحَــلِ
مِــنهُم بِوَقعَــةَ مَيّتَــينِ كَــلا وَلا وَقَعــوا إِلــى رُكَــبِ المَطِــيِّ الكُلَّــلِ
يــا خَيــرَ مَــن خَبَطَــت إِلَيــهِ مَطِيَّــةٌ مــا عَنــكَ لــي وَلِصــاحِبي مِــن مِزحَــلِ[3]
أَكَــلَ السَــنونَ بِلادَنــا فَتَرَكنَهــا جُــرداً وَكُــلَّ بَهيمَــةٍ فــي الهُــزَّلِ
وَلَقَــد تَرَكــتُ بِــواحِفَينِ[2] بَقِيَّــةً يَرجــونَ ســيبَ نَــداكَ غَيــرَ المُمحِــلِ
أَعطــى اِبــنَ عاتِكَــةَ الَّــذي مــا فَوقَــهُ غَيــرُ النُبُــوَّةِ وَالجَــلالِ الأَجلَــلِ
سُــلطانَهُ وَعَصــا النَبِــيِّ وَخاتَمــاً أَلقــى لَــهُ بِجِرانِــه[4] وَالكَلكَــلِ
أَهــلُ المَشــارِقِ وَالمَغــارِبِ إِذ رَأوا مــا فيــهِ ذِكــرُ مُحَمَّــدٍ لَــم يُنحَــلِ[5]

يمدح الخليفة بأرومته من بني أمية وقرابته من رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم, ولم تغب الخمر عن شعر الفرزدق إلا أنها تظهر على استحياء في شعر المديح وهاهنا صورة جمالية استخدمت فيها الخمر في وصف النعاس:

وَمُغَلَّثِــينَ مِــنَ النُعــاسِ كَأَنَّمــا شَــرِبوا عَتيــقَ سِــنينَ فَــوقَ الأَرحُــلِ

ومن الصور الجمالية تشبيهه جفون صحبه وقد خالطها النعاس بأجفان الحسان الناعسة خلقة:

نَبَّهــتُهُم بِــكَ بَعــدَما غَلَــبَ الكَــرى مِــنهُم جُفــونَ نَــواعِسٍ لَــم تُكحَــلِ

شبه حلول الخلافة عليه وثباتها بالبعير الذي استقر على الأرض:

سُــلطانَهُ وَعَصــا النَبِــيِّ وَخاتَمــاً أَلقــى لَــهُ بِجِرانِــهِ وَالكَلكَــلِ

وقال فيه أيضاً: (الطويل)

فَــإِنَّ مُنــى الــنَفسِ الّتــي أَقبَلَــت بِهــا وَحِــلَّ نُــذوري إِن بَلَغــتُ المُــوَقّرا
بِــهِ خَيــرُ أَهــلِ الأَرضِ حَيّــاً وَمَيِّتــاً سِــوى مَــن بِــهِ دينُ البَرِيَّــةِ أَسفَرا
جَــزى اللَهُ خَيــرَ المُســلِمينَ وَخَيــرَهُم يَــدَينِ وَأَغنــاهُم لِمَــن كــانَ أَفقَــرا
إِمــامٌ كَــأَيِّن مِــن إِمــامٍ نَمــى بِــهِ وَشَــمسٍ وَبَــدرٍ قَــد أَضــاءا فَنَــوَّرا
وَكــانَ الَّــذي أَعطاهُمــا اللَهُ مِنهُمــا إِمــامَ الهُــدى وَالمُصــطَفى المُتَنَظَّــرا
تَلَقَّــت بِــهِ فــي لَيلَــةٍ كــانَ فَضــلُها عَلــى اللَيــلِ أَلفــاً مِــن شُــهورٍ مُقَــدَّرا
فَلَيــتَ أَميــرَ المُــؤمِنينَ قَضــى لَنــا فَرُحنــا وَلَــم تَنظُــر غَــداً مَــن تَعَــذَّرا[6]

1- الغلث تكسير النعاس وكسله.
2 - الواحف من النبات والشعر: ما غزر وأثت أصوله واسود.
3 - مزحل: المدفع , ديوان الفرزدق ص465
4- الجران: باطن الحلقوم.أوالعنق ,ديوان الفرزدق ص465
5- ديوان الفرزدق ص 465
6 - ديوان الفرزدق ص 297

يفضل الشاعر ممدوحه على كل أهل الأرض حاشا رسول الله صلى اللهُ عليه وسلم.

شبه الممدوح والنبي صلى الله عليهِ وسلم بالقمر والشمس فكأن الممدوح مقتبس من النبي المصطفى خصال الخير التي منها الكرم الفياض. والشاعر يحمد ليلته التي لقي فيها الخلافة ويفضلها لأجل ذلك بألف شهر فكأنها ليلة القدر وهي من غلو الشعراء في التوسل إلى حاجاتهم.

كَـــأَنَّ المَطايـــا إِذ عَـــدَلنا صُـــدورَها ... بَعَثنـــا بِأَيـــديها الحَمـــامَ المُطَيَّـــرا
فَكَـــم مِـــن مُصَـــلٍّ قَـــد رَدَدتَ صَـــلاتَهُ ... لَـــهُ بَعـــدَ مـــا قَـــد كـــانَ فـــي الـــرومِ نُصَّـــرا
يَدَيـــهِ بِمَصـــلوبٍ عَلـــى ســـاعِدَيهِما ... فَأَصـــبَحَ قَـــد صَـــلّى حَنيفـــاً وَكَبَّـــرا
فَتَحـــتَ لَهُـــم حَتّـــى فَكَكـــتَ قُيـــودَهُم ... قَنـــاطِرَ مَـــن قَـــد كـــانَ قَبلَـــكَ قَنطَـــرا
وَلَيسَـــت كَمـــا تَبنـــي العُلـــوجُ وَحَوَّلَـــت ... عَـــنِ الجِســـرِ أَبـــدانُ السَـــفينِ المُقَيَّـــرا
لُجَينِيَّـــةً بيضـــاً وَمَيّالَـــةً العُـــرى ... هِرَقلِيَّـــةً صَـــفراءَ مِـــن ضَـــربِ قَيصَـــرا
تَناوَلـــتَ مـــا أَعيـــا اِبـــنَ حَـــربٍ وَقَبلَـــهُ ... وَأَعيـــا أَبـــاكَ الحـــازِمَ المُتَخَيَّـــرا
وَمـــا كـــانَ قَـــد أَعيـــا الوَليـــدَ وَبَعـــدَهُ ... سُـــلَيمانَ مِمَّـــن كـــانَ فـــي الـــرومِ أَعصَـــرا
وَأَعيـــا أَبـــا حَفـــصٍ فَكَسَّـــرتَ عَـــنهُمُ ... عَلـــى أَســـوُقٍ أَســـرى الحَديـــدَ المُسَـــمَّرا
فَلَـــولا الَّـــذي لا خَيـــرَ فـــي النـــاسِ بَعـــدَهُ ... بِـــهِ قَتَـــلَ اللَهُ الَّـــذي كـــانَ خَبَّـــرا
بِـــهِ دَمَّـــرَ اللَهُ المَـــزونَ وَمَـــن سَـــعى ... إِلَـــيهِم كَمـــا كـــانَ الفَـــراعينَ دَمَّـــرا
وَأَصـــبَحَ أَهـــلُ الأَرضِ قَـــد جَمَعَـــتهُمُ ... يَـــدُ اللَهِ وَالأَعمـــى المَـــريضَ فَأَبصَـــرا

وفي البيت الأول صورة جمالية غاية في الروعة تبين سرعة المطايا في رحلتها إلى الممدوح كأنها تحملها الحمائم وتطير بها.

وهناك صورة معنوية يبين فيها نصرة الإسلام وهزيمة الروم ورد كيدهم بعد أن حملوا الناس على التنصير قسرا فردهم الخليفة إلى صلاتهم:

فَكَـــم مِـــن مُصَـــلٍّ قَـــد رَدَدتَ صَـــلاتَهُ ... بَعـــدَ مـــا قَـــد كـــانَ فـــي الـــرومِ نُصَّـــرا

ثم يذكر بناءه للقنطرة التي فاق في بناها من قبله من العرب والعجم.

إِلـــى خَيـــرِ أَهـــلِ الأَرضِ أُمّـــاً وَخَيـــرِهِم ... أَبـــاً وَأَخـــاً إِلّا النَبِـــيَّ وَعُنصُـــرا
سَـــأَثني عَلـــى خَيـــرِ البَرِيَّـــةِ وَالَّـــذي ... عَلـــى النـــاسِ نـــاءَ الغَيـــثُ مِنـــهُ فَـــأَمطَرا
أَرى اللَهَ فـــي كَفَّيـــكَ أَرسَـــلَ رَحمَـــةً ... عَلـــى النـــاسِ مِـــلءَ الأَرضِ مـــاءً مُفَجَّـــرا
رَبيـــبُ مُلـــوكٍ فـــي مَواريـــثَ لَـــم يَـــزَل ... بِهـــا مَلِـــكٌ إِن مـــاتَ أَورَثَ مِنبَـــرا
بَنَيـــتَ الَّـــذي أَحيـــا سُـــلَيمانَ وَابنَـــهُ ... وَداوُدَ وَالجِـــنَّ الَّـــذي كـــانَ سَـــخَّرا
فَأَصـــبَحَ جِســـراً خالِـــداً وَيَدُكُّـــهُ ... إِذا دَكَّ عَـــن يَـــأجوجَ رَدمـــاً فَنَشَّـــرا
بِقُوَّتِـــهِ اللَهُ الَّـــذي هُـــوَ باعِـــثٌ ... عِبـــاداً لَـــهُ مِـــن خَلقِـــهِ حـــينَ نَشَّـــرا

يستمر الشاعر في مدح الخليفة في كرم أرومته وسخاء راحته وما يقوم به من تعمير وبناء متين لا يدكه إلا أمر الله عند خروج يأجوج ومأجوج وهذ الكلام فيه كناية عن طول المكث.

وقال فيه أيضاً: (البسيط)

وَفـــي يَمينِـــكَ سَـــيفُ اللهِ قَـــد نُصِـــرَت ... عَلـــى العَـــدُوِّ , وَرِزقٌ غَيـــرُ مَحظـــورِ
وَقَـــد بَسَـــطتَ يَـــداً بَيضـــاءَ طَيِّبَـــةً ... لِلنـــاسِ مِنـــكَ بِفَـــيضٍ غَيـــرِ مَنـــزورِ
يـــا خَيـــرَ حَـــيٍّ وَقَـــت نَعـــلٌ لَـــهُ قَـــدَماً ... وَمَيِّـــتٍ بَعـــدَ رُســـلِ اللهِ مَقبـــورِ
إِنّـــي حَلَفـــتُ وَلَـــم أَحلِـــف عَلـــى فَنَـــدٍ ... فِنـــاءَ بَيـــتٍ مِـــنَ الســـاعينَ مَعمـــورِ
فـــي أَكبَـــرِ الحَـــجِّ حـــافٍ غَيـــرَ مُنتَعِـــلٍ ... مِـــن حـــالِفٍ مُحـــرِمٍ بِـــالحَجِّ مَصـــبورِ
بِالباعِـــثِ الـــوارِثِ الأَمـــواتِ قَـــد ضَـــمِنَت ... إِيّـــاهُمُ الأَرضَ بِالـــدَهرِ الـــدَهارِيرِ
إِذا يَثـــورونَ أَفواجـــاً كَـــأَنَّهُمُ ... جَـــرادُ ريـــحٍ مِـــنَ الأَجـــداثِ مَنشـــورِ
لَـــو لَـــم يُبَشِّـــر بِـــهِ عيســـى وَبَيَّنَـــهُ ... كُنـــتَ النَبِـــيَّ الَّـــذي يَـــدعو إِلـــى النـــورِ
فَأَنـــتَ إِذ لَـــم تَكُـــن إِيّـــاهُ صـــاحِبُهُ ... مَـــعَ الشَـــهيدَينِ وَالصِـــدّيقِ فـــي الســـورِ
فـــي غُـــرَفِ الجَنَّـــةِ العُليـــا الَّتـــي جُعِلَـــت ... لَهُـــم هُنـــاكَ بِسَـــعيٍ كـــانَ مَشـــكورِ
صَـــلّى صُـــهَيبٌ ثَلاثـــاً ثُـــمَّ أَنزَلَهـــا ... عَلـــى اِبـــنِ عَفّـــانَ مُلكـــاً غَيـــرَ مَقصـــورِ
وَصِـــيَّةً مِـــن أَبـــي حَفـــصٍ لِسِـــتَّتِهِم ... كـــانوا أَحِبّـــاءَ مَهـــدِيٍّ وَمَـــأمورِ
مُهـــاجِرينَ رَأَوا عُثمـــانَ أَقـــرَبَهُم ... إِذ بـــايَعوهُ لَهـــا وَالبَيـــتَ وَالطـــورِ
فَلَـــن تَـــزالُ لَكُـــم وَاللَهُ أَثبَتَهـــا ... فـــيكُم إِلـــى نَفخَـــةِ الـــرَحمَنِ فـــي الصـــورِ[1]

يمدحه بجمعه للشجاعة والندى ومعية الله في نصره إياه ثم يحلف واصفاً حاله عند الحلف كعادة العرب عندما تريد توكيد الأيمان فهو حاج وحاف ثم يصف حال الحجاج.

ثم يعود إلى غلوه في الممدوح فيقول:

لَـــو لَـــم يُبَشِّـــر بِـــهِ عيســـى وَبَيَّنَـــهُ ... كُنـــتَ النَبِـــيَّ الَّـــذي يَـــدعو إِلـــى النـــورِ

ثم يوظف القصص الإسلامي في قصة الحائط وجلوس أبي بكر مع النبي صلى اللهُ عليه وسلم ثم دخول عمر وعثمان:

فَأَنـــتَ إِذ لَـــم تَكُـــن إِيّـــاهُ صـــاحِبُهُ ... مَـــعَ الشَـــهيدَينِ وَالصِـــدّيقِ فـــي الســـورِ

أيضاً يوظف قصة وصية الفاروق للستة من بعده ثم رسو الخلافة على عثمان رضي اللهُ عنه.

وتدل هذه الأبيات على توظيف الفرزدق ما يعلمه من القصص الإسلامي بعناية ودقة بحسب الحال والمخاطب وقد وفق في ذلك أيما توفيق فهوى بني أمية كان مع عثمان.

إِنّـــي أَقـــولُ لِأَصـــحابي وَدونَهُـــمُ ... مِـــنَ السَـــماوَةِ خَـــرقٌ خاشِـــعُ القـــورِ[1]
ســـيروا وَلا تَحفِلـــوا إِتعـــابَ راحِلَـــةٍ ... إِلـــى إِمـــامٍ بِسَـــيفِ اللهِ مَنصـــورِ
إِنّـــي أَتـــاني كِتـــابٌ كُنـــتُ تابِعَـــهُ ... إِلَـــيَّ مِنـــكَ وَلَـــم أُقبِـــل مَـــعَ العيـــرِ
مـــا حَمَلَـــت ناقَـــةٌ مِـــن ســـوقَةٍ رَجُـــلاً ... مِثلـــي إِذا الـــريحُ لَفَّتنـــي عَلـــى الكـــورِ
أَكـــرَمُ قَومـــاً وَأَوفـــى عِنـــدَ مُضـــلِعَةٍ ... لِمُثقَـــلٍ مِـــن دِمـــاءِ القَـــومِ مَبهـــورِ
إِلّا قُرَيشـــاً فَـــإِنَّ اللَهَ فَضَّـــلَها ... مَـــعَ النُبُـــوَّةِ بِالإِســـلامِ وَالخيـــرِ
مِـــن آلِ حَـــربٍ وَفـــي الأَعيـــاصِ[2] مَنـــزِلُهُم ... هُـــم وَرَّثـــوكَ بِنـــاءً عـــالِيَ الســـورِ
حَـــربٌ وَمَـــروانُ جَـــدّاكَ اللَـــذا لَهُمـــا ... مِـــنَ الرَوابـــي عَظيمـــاتُ الجَمـــاهيرِ

1- ديوان الفرزدق ص 189

2- الأعياص: نسبة إلى أبي العاص, (ديوان الفرزدق ص191)

يحكي ما لاقاه وصحبه من المشقة وهم يقطعون بادية السماوة وهو يقول لهم لا تهتموا بما تلاقونه من المشقة إذا كان كل ذلك محمود العاقبة.

وهاهنا صورة جمالية رائعة حين يصف الريح بالثوب الذي يلف الإنسان:

مـــا حَمَلَـــت ناقَـــةٌ مِـــن ســـوقَةٍ رَجُـــلاً ... مِثلـــي إذا الـــريحُ لَفَّتنـــي عَلـــى الكـــورِ
تَـــرى وُجـــوهَ بَنـــي مَـــروانَ تَحسِـــبُها ... عِنـــدَ اللِقـــاءِ مَشـــوفاتِ الـــدَنانيرِ
الضـــارِبينَ عَلـــى حَـــقٍّ إذا ضَـــرَبوا ... يَـــومَ اللِقـــاءِ وَلَيســـوا بِـــالعَواويرِ[3]
غَلَبـــتُمُ النـــاسَ بِـــالحَقِّ الَّـــذي لَكُـــمُ ... عَلَـــيهِمُ وَبِضَـــربٍ غَيـــرِ تَعـــذيرِ
إِنَّ الرَســـولُ قَضـــاهُ اللَهُ رَحمَتَـــهُ ... لِلنـــاسِ وَالنـــاسُ فـــي ظَلمـــاءَ دَيجـــورِ
لَقَـــد عَجِبـــتُ مِـــنَ الأَزدِيَّ جـــاءَ بِـــهِ ... يَقـــودُهُ لِلمَنايـــا حَـــينُ مَغـــرورِ
حَتّـــى رَآهُ عِبـــادُ اللَهِ فـــي دَقَـــلٍ[2] ... مُنَكَّســـاً وَهـــوَ مَقـــرونٌ بِخِنزيـــرِ
لَلسُـــفنُ أَهـــوَنُ بَأســـاً إِذ تُقَوِّدُهـــا ... فـــي المـــاءِ مَطلِيَّـــةَ الأَلـــواحِ بِـــالقيرِ
وَهُـــم قِيـــامٌ بِأَيـــديهِم مَجـــادِفُهُم ... مُنَطَّقـــينَ عُـــراةً فـــي الـــدَقاريرِ[4]
حَتّـــى رَأَوا لِأَبـــي العاصـــي مُسَـــوَّمَةً ... تَعـــدو كَـــراديسَ[5] بِالشُـــمِّ المَغـــاويرِ
مِـــن حَـــربِ آلِ أَبـــي العاصـــي إِذا غَضِـــبوا ... بِكُـــلِّ أَبـــيَضَ كَـــالمِخراقِ مَـــأثورِ
اِخسَـــأ كُلَيـــبٌ فَـــإِنَّ اللَهَ أَنـــزَلَكُم ... قِـــدماً مَنـــازِلَ إِذلالٍ وَتَصـــغيرِ

يمدح آل مروان في بأسهم في الحروب التي يخوضونها وما ينزل عليهم من نصر الله المؤزر وما يكون فيه عدوهم من ذل وضعة وصغار.

صورة جمالية في تشبيه الأجل بالشخص يقود الموت ليورد مستحقيه موارد الهلكة:

لَقَـــد عَجِبـــتُ مِـــنَ الأَزدِيَّ جـــاءَ بِـــهِ ... يَقـــودُهُ لِلمَنايـــا حَـــينُ مَغـــرورِ

وقال فيه أيضاً: (الطويل)

وَرِثـــتَ اِبـــنَ حَـــربٍ وَاِبـــنَ مَـــروانَ وَالَّـــذي ... بِـــهِ نَصَـــرَ اللَهُ النَبِـــيَّ مُحَمَّـــدا
تَـــرى الـــوَحشَ يَســـتَحيِينَهُ إِذ عَرَفنَـــهُ ... لَـــهُ فَـــوقَ أَركـــانِ الجَـــراثيمِ سُـــجَّدا
أَبـــى طيـــبُ كَفَّيـــكَ الكَثيـــرِ نَـــداهُما ... وَإِعطـــاؤُكَ المَعـــروفَ أَن تَتَشَـــدَّدا
لِحَقـــنِ دَمٍ أَو ثَـــروَةٍ مِـــن عَطِيَّـــةٍ ... تَكـــونُ حَيـــا مَـــن حَـــلَّ غَـــوراً وَأَنجَـــدا
وَلَـــو صـــاحَبَتهُ الأَنبِيـــاءُ ذَوُو النُهـــى ... رَأَوهُ مَـــعَ المُلـــكِ العَظـــيمِ المُسَـــوَّدا
وَمـــا ســـالَ فـــي وادٍ كَأَودِيَـــةٍ لَـــهُ ... دَفَعـــنَ مَعـــاً فـــي بَحـــرِهِ حـــينَ أَزبَـــدا
وَبَحـــرُ أَبـــي سُـــفيانَ وَاِبنَيـــهِ يَلتَقـــي ... لَهُـــنَّ إِذا يَعلـــو الحَصـــينَ المُشَـــيَّدا
رَأَيـــتَ مِـــنَ الأَنعـــامِ فـــي حافَتَيهِمـــا ... بَهـــائِمَ قَـــد كُـــنَّ الغُثـــاءَ المُنَضَّـــدا
فَـــلا أُمَّ إِلّا أُمُّ عيســـى عَلِمتُهـــا ... كَأُمِّـــكَ خَيـــراً أُمَّهـــاتٍ وَأَمجَـــدا
وَإِن عُـــدَّتِ الآبـــاءُ كُنـــتَ اِبـــنَ خَيـــرِهِم ... وَأَملاكِهـــا الأَورَيـــنَ فـــي المَجـــدِ أَزنُـــدا[6]

الوصف بالبحر للجواد معروف عند العرب فالجواد بحر مزبد قوي الجريان:

---

1 - القور: الجبال الصغار, ديوان الفرزدق ص191
2- والدَّقَلَةُ : موضع فيه نخل لبني غبر. ديوان الفرزدق ص192
3- والعوار: الجبان، والجمع العواوير.ديوان الفرزدق ص191
4- الدقارير: التبابين أوالسراويل. ديوان الفرزدق ص191
5- الكردوس: الجمع العظيم من الخيل, ديوان الفرزدق ص192
6- ديوان الفرزدق ص 131

وَمـــــا ســـــالَ فـــــي وادٍ كَأَودِيَـــــةٍ لَـــــهُ دَفَعـــــنَ مَعـــــاً فـــــي بَحـــــرِهِ حـــــينَ أَزبَـــــدا

المدح بالأم أيضاً معروف عند العرب فالنسب من جهة الأم يكشف عن أصالة محتد وكرم أرومة. ست قصائد مُدح بها يزيد بن عبدالملك فيها وصف بالشجاعة, والجود, والعدل, وقضاء على الفتن والثورات.

5. هشام بن عبد الملك 105 هـ - 125هـ [1]

هشام بن عبد الملك : أبو الوليد ولد سنة نيف و سبعين و استخلف بعهد من أخيه يزيد. و كان هشام حازما عاقلا كان لا يدخل بيت ماله مالا حتى يشهد أربعون قسامة : لقد أخذ من حقه و لقد أعطى لكل ذي حق حقه,و في سنة سبع من أيامه فتحت قيصرية الروم بالسيف, و في سنة اثنتي عشرة فتحت خرشنة في ناحية ملطية, مات في ربيع الآخرة سنة خمس و عشرين و مئة.

قال فيه الفرزدق: (الطويل)

1- السيوطي, تاريخ الخلفاء, ص196-197- بنصرف

رَأَيــــتُ سَـــــماءَ اللهِ وَالأَرضِ أَلقَتــــا ... بِأَيـــــديهما لِإبـــــنِ المُلـــــوكِ القَمـــــاقِمِ
وَكُنــتَ لَنــا غَيــثَ السَـماءِ الَّــذي بِــهِ ... حَيِينـــا وَأَحيـــا النـــاسَ بَعـــدَ البَهـــائِمِ
وَمـــا لَـــكَ أَلّا تَمـــلَءُ الأَرضَ رَحمَـــةً ... وَأَنـــتَ اِبـــنُ مَـــروانَ الهُمـــامِ وَهاشِـــمِ
فَمـا قُمـتَ حَتّـى هَـمَّ مَـن كـانَ مُسـلِماً ... لِيَلـــبِسَ مُســـوَدّاً ثِيـــابَ الأَعـــاجِمِ
لَقَـد ضـاقَ ذَرعـي بِالحَيـاةِ وَقَطَّعَـت ... حَوامِلُـــــهُ عَـــــضَّ الحَديـــــدِ الأَوازِمِ[1]
رَأَيــتُ بَنــي مَــروانَ إِذ شَــمَّرَت بِهِــم ... مِــنَ الحَــربِ حَــدباءُ القَــرا غَيــرُ رائِــمِ[2]
هُـم حَجَـرٌ لِلـدينِ يَرمـونَ مَـن رَمَـوا ... بِـــهِ دَمَغَـــت أَيـــديهِمُ كُـــلَّ ظـــالِمِ
هِشـــامٌ أَمـــينُ اللهِ فـــي الأَرضِ وَالَّـــذي ... بِـــهِ تَمنَـــعُ الأَيّـــامُ ذاتَ المَحـــارِمِ
بِـــهِ عَمَـــدُ الـــدينِ اِســـتَقَلَّت وَأَثبَتَـــت ... عَلـــى كُـــلِّ ذي طَـــودَينِ لِلـــدينِ قـــائِمِ
وَسُـلَّت سُـيوفُ الحَـربِ وَاِنشَـقَّتِ العَصـا ... وَهَـــزَّ القَنـــا وُردُ الأُســـودِ القَشـــاعِمِ[3]
وَقَـد جَعَلَـت لِلـدينِ فـي المَـرجِ بِالقَنـا ... لِمَـــروانَ أَيّـــامٌ عِظـــامُ المَلاحِـــمِ[4]

هشام بن عبد الملك من أعظم ملوك الدولة الأموية والفرزدق أغرق في مدحه وأكثر وغلا حتى جعل السماء والأرض تلقي بأزمتها إلى الممدوح, وكما هي العادة يمدحه بآبائه وأصالتهم وأن الأرض ملئت جورا قبله حتى هم الناس بالردة:

ثم يمضي الفرزدق في مدحه واصفا الممدوح بأنه حامي حمى الدين هو آباؤه:

وَمـــا النـــاسُ لَـــولا آلُ مَـــروانَ مِـــنهُمُ ... إِمـــامُ الهُـــدى وَالضـــارِباتُ الجَمـــاجِمِ
وَمـــا بَـــينَ أَيـــدي آلِ مَـــروانَ بِالقَنـــا ... وَبَـــينَ المَـــوالي ناكِثـــاً مِـــن تَـــزاحُمِ
رَأَيــتُ بَنــي مَــروانَ سُــلَّت سُــيوفُهُم ... عَشـــاً كـــانَ فـــي الأَبصـــارِ تَحـــتَ العَمـــائِمِ
رَأَيــتُ بَنــي مَــروانَ عَنــهُ تَوارَثــوا ... رَواسِـــيَ مُلـــكٍ راسِـــياتِ الـــدَعائِمِ
عَصـا الـدينِ وَالعـودَينِ وَالخـاتَمَ الَّـذي ... بِـــهِ اللَهُ يُعطـــي مُلكَـــهُ كُـــلَّ قـــائِمِ
وَكُنـــتَ لِأَمـــرِ المُســـلِمينَ وَديـــنِهُم ... لَـدُن حَيـثُ تَمشـي عَـن حُجـورِ الفَـواطِمِ
يَقـــولُ ذَوُو العِلـــمِ الَّـــذينَ تَكَلَّمـــوا ... بِـــهِ عَـــن رَســـولِ اللهِ مِـــن كُـــلِّ عـــالَمِ
وَلَـــو أُرسِـــلَ الـــروحُ الأَمـــينُ إِلـــى اِمـــرِئٍ ... سِـــوى الأَنبِيـــاءِ المُصـــطَفَينَ الأَكـــارِمِ
إِذاً لَأَتَـــت كَفَّـــي هِشـــامٍ رِســـالَةٌ ... مِـــنَ اللهِ فيهـــا مُنـــزَلاتُ العَواصِـــمِ
وَلَـــو كـــانَ حَـــيٌّ خالِـــداً أَو مُمَلَّـــكٌ ... لَكـــانَ هِشـــامَ اِبـــنَ المُلـــوكِ الخَضـــارِمِ

وصف لحروب الممدوح وضربه جماجم الأعداء ورأبه لصدع الدين وحفاظه على ملك آبائه بحزمه وقوته.

ثم يغلو الفرزدق فيقول :

يَقـــولُ ذَوُو العِلـــمِ الَّـــذينَ تَكَلَّمـــوا ... بِـــهِ عَـــن رَســـولِ اللهِ مِـــن كُـــلِّ عـــالَمِ
وَلَـــو أُرسِـــلَ الـــروحُ الأَمـــينُ إِلـــى اِمـــرِئٍ ... سِـــوى الأَنبِيـــاءِ المُصـــطَفَينَ الأَكـــارِمِ
إِذاً لَأَتَـــت كَفَّـــي هِشـــامٍ رِســـالَةٌ ... مِـــنَ اللهِ فيهـــا مُنـــزَلاتُ العَواصِـــمِ

ولولا الموت المكتوب على البشر لاستحق هشام الخلود في ملكه.

1- الأوازم: السنون الشديدة. ديوان الفرزدق ص606

2- القَرا : الظَّهْر وحدباء القرا حدباء الظهر، وناقة رائم التي قد أحبت ولدها أو غيره إذا عطفت عليه.

3 - والقشعم والقشعام: المسن من الرجال والنسور والرخم. ديوان الفرزدق ص607

4 - ديوان الفرزدق ص 606

إِلَيــــكَ تَعَرَّقنـــــا الـــــذُرى بِرِحالِنـــــا ... وَأَفنَـــــت مَناقبهـــــا [1]بُطـــــونُ المَناسِـــــمِ
فَأَصـــــبَحنَ كَالهِنـــــدِيِّ شَـــــقَّ جُفونَـــــهُ ... دَوالِـــــق[2] أَعنـــــاقِ السُـــــيوفِ الصَـــــوارِمِ
وَمـــا تَـــرَكَ الصُـــوّانُ وَالحَـــبسُ وَالسُـــرى ... لَهـــا مِـــن نِعـــالِ الجِلـــدِ غَيـــرَ الشَـــراذِمِ
لَهُـــنَّ تَـــثَنٍّ فـــي الأَزِمَّـــةِ وَالبُـــرى ... إِذا وَلَـــجَ اليَعفـــورُ[3] حـــامي السَـــمائِمِ[4]
تَـــرى العـــيسَ يَكـــرَهنَ الحَصـــى أَن يَطَأنَـــهُ ... إِذا الجَمـــرُ مِـــن حـــامٍ مِـــنَ الشَـــمسِ جـــاهِمِ
يُـــردِنَ الَّـــذي لا تُبتَغـــى مِـــن وَرائِـــهِ ... وَلا دونَـــهُ الحاجـــاتُ ذاتُ الصَـــرائِمِ[5]
وَلَـــيسَ إِلَيـــهِ المُنتَهـــى فـــي نَجاحِهـــا ... وَفـــي طَرَفَيهـــا لِلقِـــلاصِ الرَواسِـــمِ[6]

صورة جمالية رائعة فيها القافلة الصغيرة التي تقل الفرزدق ومن معه تصعد العوالي وتهبط الأغوار وقد هزلت من طول السير فكانت كالسيوف الهندية كما أن الحجارة تحتها قد أدمت مناسمها كل هذا من أجل بلوغ الممدوح وأن ينال منه المأمول.

وقال فيه أيضاً: (الوافر)

إِلـــى مَلِـــكِ المُلـــوكِ جَمَعـــتُ هَمّـــي ... عَلـــى المُتَرَدَّفـــاتِ مِـــنَ السَـــمامِ [7]
مِـــنَ السَـــنَةِ الَّتـــي لَـــم تُبـــقِ شَـــيئاً ... مِـــنَ الأَنعـــامِ بالِيَـــةَ الثُمـــامِ
وَحَبـــلُ اللهِ حَبلُـــكَ مَـــن يَنَلـــهُ ... فَمـــا لِعُـــرىً إِلَيـــهِ مِـــنِ اِنفِصـــامِ
فَـــإِنّي حامِـــلٌ رَحلـــي وَرَحلـــي ... إِلَيـــكَ لا الوُهـــونِ مِـــنَ العِظـــامِ
عَلـــى سُـــفُنِ الفَـــلاةِ مُرَدَّفـــاتٍ ... جُنـــاةَ الحَـــربِ بِالـــذَكَرِ الحُســـامِ
يَـــداكَ يَـــدٌ رَبيـــعَ النـــاسِ فيهـــا ... وَفـــي الأُخـــرى الشُـــهورُ مِـــنَ الحَـــرامِ
فَـــإِنَّ النـــاسَ لَـــولا أَنـــتَ كـــانوا ... حَصـــى خَـــرَزٍ تَســـاقَطَ مِـــن نِظـــامِ
وَلَـــيسَ النـــاسُ مُجتَمِعـــينَ إِلّا ... لِخِنـــدِفَ فـــي المَشـــورَةِ وَالخِصـــامِ[8]

يشكو الشاعر من السنة الشهباء التي ألمت به وقومه فسار إلى الخليفة من أجل العطاء والرفد.

صورة جمالية في قوله:

عَلـــى سُـــفُنِ الفَـــلاةِ مُرَدَّفـــاتٍ ... جُنـــاةَ الحَـــربِ بِالـــذَكَرِ الحُســـامِ

وسفن الفلاة هي النوق الرواحل فهي كالسفن ولكنها تجري على الفلاة لا على البحر.

ومن الصور أيضاً جمعه بين الكرم وبذل الأمن في بيت جميل:

يَـــداكَ يَـــدٌ رَبيـــعَ النـــاسِ فيهـــا ... وَفـــي الأُخـــرى الشُـــهورُ مِـــنَ الحَـــرامِ

وتشبيه الخليفة بالسلك الذي تنتظم فيه الخرزات بديع فإذا انفرط سقطت الخرزات وتشتت نظامها. ومما قاله أيضا:

1- المنقبة: الطريق الضيق بين دارين لا يستطاع سلوكه والجمع مناقب.
2 - دلق السيف دلوقاً : خرج من غمده من غير أن يسل.
3 - اليعفور: الظبي
4- السمُوْمُ : الريْحُ الحارَّةُ والجمع السمائم.
5 - الصريمة والعزيمة واحد ، وهي الحاجة التي عزمت عليها.
6- الروسم: العلامة حسن أو قبح ، والجمع الرواسم.
7 - السمامة : والجميع السَّمامُ ضربٌ من الطّير دون القَطَا في الْخِلْقَة .
8- ديوان الفرزدق ص 597

وَبَشَّـــــرَتِ السَـــــماءُ الأَرضَ لَمّـــــا ... تَحَـــــــدَّثنا بِإِقبـــــــالِ الإِمـــــــامِ
إِلـــى أَهـــلِ العِـــراقِ وَإِنَّمـــا هُـــم ... بَقايـــا مِثـــلُ أَشـــلاءٍ وَهـــامِ
أَتانـــا زائِـــراً كانَـــت عَلَينـــا ... زِيارَتَـــهُ مِـــنَ الـــنِعَمِ العِظـــامِ
أَميـــرُ المُـــؤمِنينَ بِـــهِ نُعِشـــنا ... وَجُـــذَّ حِبـــالُ آصـــارِ الإِثـــامِ
فَجـــاءَ بِسُـــنَّةِ العُمَـــرَينِ فيهـــا ... شِـــفاءٌ لِلصُـــدورِ مِـــنَ السَـــقامِ
رَآكَ اللهُ أَولـــى النـــاسِ طُـــرّاً ... بِـــأَعوادِ الخِلافَـــةِ وَالسَـــلامِ
إِذا مـــا ســـارَ فـــي أَرضٍ تَراهـــا ... مُظَلَّلَـــةً عَلَيـــهِ مِـــنَ الغَمـــامِ
رَأَيتُـــكَ قَـــد مَـــلَأتَ الأَرضَ عَـــدلاً ... وَضَـــوءًا وَهـــيَ مُلبَسَـــةُ الظَـــلامِ
رَأَيـــتُ الظُلـــمَ لَمّـــا قُمـــتَ جُـــذَّت ... عُـــراهُ بِشَـــفرَتَي ذَكَـــرٍ هُـــذامِ[1]
تَعَـــنَّ فَلَســـتَ مُـــدرِكَ مـــا تَعَنّـــى ... إِلَيـــهِ بِســـاعِدَي جُعَـــلِ الرَغـــامِ
سَـــتَخزى إِن لَقيـــتَ بِغَـــورِ نَجـــدٍ ... عَطِيَّـــةَ بَـــينَ زَمـــزَمَ وَالمَقـــامِ
عَطِيَّـــةَ فـــارِسَ القَســـعاءِ يَومـــاً ... وَيَومـــاً وَهـــيَ راكِـــدَةُ الصِـــيامِ
إِذا الخَطَفـــى لَقيـــتَ بِـــهِ مُعيـــداً ... فَأَيُّهُمـــا يُضَـــمِّرُ لِلضِـــمامِ

والشاعر يؤرخ لزيارة الخليفة أطراف دولته مما يدفع الشعراء للاحتفاء بالحدث والاستفادة منه والفرزدق يستبشر بالزيارة ويصفها بالغيث الهامل على أرض العراق التي بلغ بها البلاء مبلغا حتى صار أهلها (بقايا مثل أشلاء وهام) ثم طفق الشاعر يعدد مزايا الممدوح من الجود والأمن والرخاء ومحبة الناس له.

صورة جمالية تشبيه الظلم بالحبل المجدول العرى

1- الهذام: السيف القاطع والشجاع ويقال سنان هذام حديد وشفرة هذام سريعة القطع.

وقال فيه أيضاً: (الطويل)

فَلَيتَ أَميرِ المُؤمِنينَ قَدِ اِنتَهَت ... إِلَيهِ مِنَ الصُهبِ المَهاري رَسيمُها[2]
عَلَيها اِمرُؤٌ لا يَنقُضُ اللَيلُ عَزمَهُ ... وَلا يُدرِكُ الحاجاتِ إِلّا حَميمُها
بِذِعلِبَةٍ ما مَسَّ إِلّا مُناخُها ... لِنِصفِ صَلاةٍ وَهيَ دامٍ رَثيمُها[3]
لَها الأَرضُ إِلّا أَربَعٌ ثَفِناتُها[1] ... إِذا اللَيلَةُ السَوداءُ ناداهُ بومُها
وَلا يَقتُلُ اللَيلَ المُبَيَّتَ هَمُّهُ ... مِنَ الصُهبِ بِالرُكبانِ إِلّا كُتومُها
وَلَيلَةٍ لَيلٍ قَد حَمَلتُ ثَقيلَها ... عَلى رَحلِ مِذعانٍ بَطيءٍ سُؤومُها
خَبَطتُ بِها الظَلماءَ حَتّى أَضاءها ... عَمودُ ضِياءٍ بِالبَياضِ يَضيمُها
وَلَيلَةِ لَيلٍ مُرجَحِنٍّ ظَلامُها ... سَواءٌ عَلَينا طَلقُها وَغُيومُها
كَأَنَّ بِها الأَيّامَ وَاللَيلَ وَصِلا ... وَظَلماءَ مُسوَدٌّ عَلَيها بَهيمُها
إِذا ما رَجَونا ضَوأَها اِعتَكَرَت لَها ... شَآمِيَّةُ الأَلوانِ ضَوءٌ بَريمُها
فَذَلِكَ مِن لَيلِ الطِوالِ إِذا اِلتَقَت ... عَلَينا بِهِ ظَلماؤه وَعُتومُها
إِذا قُلتُ لِلحُرّاسِ هَل لَيلَتي دَنَت ... مِنَ الصُبحِ أَو كانَت جُنوحاً نُجومُها
يَقولونَ ما يَنزِلنَ إِلّا تَنَزُّلاً ... بَطيئاً وَمُسوَدّاً عَلَينا أَديمُها
فَلَيتَ مَكانَ الأَربَعينَ الَّتي لَها ... بِساقَيَّ آثارٌ مِبينٌ وَشومُها
أَخا نَجدَةٍ عِندي أَخوهُ فَجَعتُهُ ... بِهِ وَالمَنايا جانِياتٌ حُتومُها
فَنازَلَني بِالسَيفِ عَنهُ وَدونَهُ ... مَعَ السَيفِ حِضبُ الأَرضِ بادٍ شَكيمُها[4]

يصف النوق المتجهة إلى الممدوح وما تلاقيه من المشقة وهي صورة نمطية تتكرر كثيراً في شعر الفرزدق وقد تتنوع الصور الجمالية في كل مرة يذكر فيها الرحلة ومشقتها منها صورة الناقة التي لا تستقر باركة إلا لحين صلاة مقصورة تقضى على عجل:

أيضاً يصف الوقت الكئيب الذي يمر بالرحلة في الليل المظلم حتى كأن الدهر كله ظلام:

كأن بها الأيام والليل وصلا وظلماء مسود عليها بهيمها

هذه الأبيات كلها في المشقة الحسية والمعنوية ليشير إلى عظم شأن من تهون المشقات دونه وهو أمير المؤمنين المذكور في أول بيت من هذه الأبيات .

1- الثفنة: واحدة ثفنات البعير، وهى ما يقع على الارض من أعضائه إذا استناخ وغلظ، كالركبتين وغيرهما.
2 - رسمت الناقة ترسم رسيما: أثرت في الأرض من شدة الوطء.
3 - رثيم: الأنف الذي يقطر دما . ديوان الفرزدق ص574
4- ديوان الفرزدق ص 572

وقال فيه أيضاً: (الطويل)

لَعَمري لَئِن لاقَت هِشاماً لَطالَما ... تَمَنَّت هِشاماً أَن يَكونَ اِستِقامُها
إِلَيهِ وَلَو كانَ المُنَهَّتُ[1] دونَهُ ... وَمِن عَرضِ أَجبالٍ عَلَيها قَتامِها
وَقَومٍ يَعَضّونَ الأَكُفَّ صُدورُهُم ... عَلَيَّ وَغارى غَيرُ مُرضىً رِغامُها
نَمَتكَ مَنافٌ ذِروَتاها إِلى العُلى ... وَمِن آلِ مَخزومٍ نَماكَ عِظامُها
أَلَيسَ اِمرُؤٌ مَروانُ أَدنى جُدودَهُ ... لَهُ مِن بَطاحِيٍّ لُؤَيٍّ كِرامُها
أَحَقَّ بَني حَوّاءَ أَن يُدرِكَ الَّتي ... عَلَيهِم لَهُ لا يُستَطاعُ مَرامُها
أَبَت لِهِشامٍ عادَةٌ يَستَعيدُها ... وَكَفٌّ جَوادٍ لا يُسَدُّ اِنثِلامُها
كَما اِنثَلَمَت مِن غَمرِ أَكدَرَ مُفعَمٍ ... فُراتِيَّةٌ يَعلو الصَراةَ[2] اِلتِطامُها
هِشامٌ فَتى الناسِ الَّذي تَنتَهي المُنى ... إِلَيهِ وَإِن كانَت رِغاباً جِسامُها
وَإِنّا لَنَستَحيِيكَ مِمَّن وَراءَنا ... مِنَ الجَهدِ وَالآرامُ تُبلى سِلامُها
فَدونَكَ دَلوي إِنَّها حينَ تَستَقي ... بِفَرغٍ شَديدٍ لِلدِلاءِ اِقتِحامُها
وَقَد كانَ مِتراعاً لَها وَهيَ في يَدي ... أَبوكَ إِذا الأَورادُ طالَ أَوامُها
وَإِنَّ تَميماً مِنكَ حَيثُ تَوَجَّهَت ... عَلى السِلمِ أَو سَلِّ السُيوفِ خِصامُها
هُمُ الإِخوَةُ الأَدنَونَ وَالكاهِلُ الَّذي ... بِهِ مُضَرٌ عِندَ الكِظاظِ اِزدِحامُها
هِشامٌ خِيارُ اللَهِ لِلناسِ وَالَّذي ... بِهِ يَنجَلي عَن كُلِّ أَرضٍ ظَلامُها
وَأَنتَ لِهَذا الناسِ بَعدَ نَبِيِّهِم ... سَماءٌ يُرَجّى لِلمُحولِ غَمامُها
وَأَنتَ الَّذي تَلوي الجُنودُ رُؤوسَها ... إِلَيكَ وَلِلأَيتامِ أَنتَ طَعامُها
إِلَيكَ اِنتَهى الحاجاتُ وَاِنقَطَعَ المُنى ... وَمَعروفُها في راحَتَيكَ تَمامُها[3]

يبدأ بالأهوال التي لاقاها في سفرته وحزن قومه عليه وقلقهم في صورة بديعة من الكناية المستملحة في قوله: فوضع الكف على الصدر كناية عن الخوف والقلق, ثم يأتي إلى المديح فيجعل الخليفة كهفا لكل الرغائب مهما كانت كبيرة فهي تدق أمام جود الخليفة واقتداره, ثم يطلب الفرزدق المنحة ويشير إلى قومه تميم وسلمهم للخليفة وأن سيوفهم جاهزة للقاء عدوه, ثم يختم ببيت بلغ الغاية في رجاء المطلوب:

إِلَيكَ اِنتَهى الحاجاتُ وَاِنقَطَعَ المُنى ... وَمَعروفُها في راحَتَيكَ تَمامُها

(1) المنهت الأسد , ديوان الفرزدق ص554
(2) الصَّرَى ما اجتَمع من الدَّمع واحدَتُه صَرَاة وبه سُمِّيت الصَّرَاة نَهَر معروف بالعراق.
(3) ديوان الفرزدق ص 552

وقال فيه أيضاً: (الطويل)

أَلَـــم تَـــذكُروا يـــا آلَ مَـــروانَ نِعمَـــةً ... لِمَـــروانَ عِنـــدي مِثلُهـــا يَحقُـــنُ الـــدَما
بِهـــا كـــانَ عَنّـــي رَدُّ مَـــروانُ إِذ دَعـــا ... عَلَـــيَّ زِيـــاداً بَعـــدَما كـــانَ أَقسَـــما
لِيَقـــتَطِعَن حَرفَـــي لِســـاني الَّـــذي بِـــهِ ... لِخِنـــدِفَ أَرمـــي عَـــنهُمُ مَـــن تَكَلَّمـــا
وَكُنـــتُ إِلـــى مَـــروانَ أَســـعى إِذا جَنـــى ... عَلَـــيَّ لِســـاني بَعـــدَما كـــانَ أَجرَمـــا
وَمـــا بـــاتَ جـــارٌ عِنـــدَ مَـــروانَ خائِفـــاً ... وَلَـــو كـــانَ مِمَّـــن يَتَّقـــي كـــانَ أَظلَمـــا
يَعُـــدّونَ لِلجـــارِ الـــتَلاءِ[1] إِذا اِلتَـــوى ... إِلـــى أَيِّ أَقتـــارِ البَرِيَّـــةِ يَمَّمـــا
وَقَـــد عَلِمـــوا مـــا كـــانَ مَـــروانُ يَنتَهـــي ... إِذا دَأَبَ الأَقـــوامُ حَتّـــى تُحَكَّمـــا
وَأَيَّ مُجيـــرٍ بَعـــدَ مَـــروانَ أَبتَغـــي ... لِنَفسِـــيَ أَو حَبـــلٍ لَـــهُ حـــينَ أَجرَمـــا
وَلَـــم تَـــرَ حَـــبلاً مِثـــلَ حَبـــلٍ أَخَذتُـــهُ ... كَمَـــروانَ أَنجـــى لِلمُنـــادي وَأَعصَـــما
وَلا جـــارَ إِلّا اللَهُ إِذ حـــالَ دونَـــهُ ... كَمَـــروانَ أَوفـــى لِلجِـــوارِ وَأَكرَمـــا
فَـــلا تُســـلِموني آلَ مَـــروانَ لِلَّتـــي ... أَخـــافُ بِهـــا قَعـــرَ الرَكِيَّـــةِ[2] وَالفَمـــا
وَلا تـــوردوني آلَ مَـــروانَ هُـــوَّةً ... أَخـــافُ بِجـــاري رَحلِكُـــم أَن تُهَـــدَّما
وَمِـــن أَيـــنَ يَخشـــى جـــارُ مَـــروانَ بَعـــدَما ... أَنـــاخَ وَحَـــلَّ الرَحـــلُ لَمّـــا تَقَـــدَّما
وَمِـــن أَيـــنَ يَخشـــى جـــارُكُم وَالحَصـــى لَكُـــم ... إِذا خِنـــدِفٌ هَـــزّوا الوَشـــيجَ المُقَوَّمـــا
فَطـــامَنَ نَفســـي بَعـــدَما نَشَـــزَت بِهـــا ... مَخافَتَهـــا وَالريـــقُ لَـــم يَبلُـــلِ الفَمـــا[3]

أبيات تقطر بالخوف والفرق وطلب الجوار والفرزدق يعترف أن لسانه ربما أورده المهالك بما يجنيه عليه هجاؤه للناس فهو يطلب أن يجيره آل مروان على عدوه وقد أكثر من ذكر مروان وهو والد الخليفة حتى يعطف قلبه عليه:

أبيات قوية أنتجتها عاطفة الخوف فهي صادقة قوية واضحة تعكس الوضع النفسي للشاعر بوضوح وصراحة لا تخلو من لمسات فنية قليلة.

وَمـــا تَرَكَـــت كَفّـــا هِشـــامٍ مَدينَـــةً ... بِهـــا عِـــوَجٌ فـــي الـــدينِ إِلّا تَقَوَّمـــا
يُـــؤَدّي إِلَيـــهِ الخَـــرجَ مَـــن كـــانَ مُشـــرِكاً ... وَيَرضـــى بِـــهِ مَـــن كـــانَ لِلَّهِ مُســـلِما
أَبـــوكُم أَبـــو العاصـــي الَّـــذي كـــانَ يَنجَلـــي ... بِـــهِ الضَـــوءُ عَمَّـــن كـــانَ بِاللَيـــلِ أَظلَمـــا
وَكانَـــت لَـــهُ كَفّـــانِ إِحـــداهُما الثَـــرى ... ثَـــرى الغَيـــثِ وَالأُخـــرى بِهـــا كـــانَ أَنعَمـــا
ضَـــرَبتَ بِهـــا النُكّـــاثَ حَتّـــى اِهتَـــدَوا ... بِهـــا لِمَـــن كـــانَ صَـــلّى مِـــن فَصـــيحٍ وَأَعجَمـــا
بِسَـــيفٍ بِـــهِ لاقـــى بِبَـــدرٍ مُحَمَّـــدٌ ... إِذا مَـــسَّ أَصـــحابَ الضَـــريبَةِ صَـــمَّما

وبعد هدوء نفسه يعود إلى مدح هشام بالجود والنظر إلى أمر الدين وتظهر الجماليات المصورة :

أَبوكُم أَبو العاصي الَّذي كانَ يَنجَلي ... بِهِ الضَوءُ عَمَّن كانَ بِاللَيلِ أَظلَما

1- التلاء: ضمان بالأمن كان يعطاه المسافر لجواز الطريق مكتوبا على سهم أو غيره.
2 - الركيّة : البئر, ديوان الفرزدق ص 520
3- ديوان الفرزدق ص 520

وقال فيه أيضاً: (الطويل)

إِلى خَيرِ أَهلِ الأَرضِ مَن يَستَغِث بِهِ ... يَكُن مِثلَ مَن مَرَّت لَهُ طَيرُ أَسعَدُ
وَلَو أَنَّني أَستَطيعُ سَعياً سَعَيتُهُ ... إِلَيكَ وَأَعناقِ الهَدِيِّ المُقَلَّدِ
خَليفَةُ أَهلِ الأَرضِ أَصبَحَ ضَوءُهُ ... بِهِ كانَ يَهدي لِلهُدى كُلَّ مُهتَدِ
فَإِنَّ أَميرَ المُؤمِنينَ مُحيطَةٌ ... يَداهُ بِأَهلِ الأَرضِ مِن كُلِّ مَرصَدِ
فَلَستُ أَخافُ الناسَ ما دُمتَ سالِماً ... وَلَو أَجلَبَ الساعي عَلَيَّ بِحُسَّدي
سَيَأبى أَميرُ المُؤمِنينَ بِعَدلِهِ ... عَلى الناسِ وَالسَبعَينِ في راحَةِ اليَدِ
وَلا ظُلمَ ما دامَ الخَليفَةُ قائِماً ... هِشامٌ وَما عَن أَهلِهِ مِن مُشَرَّدِ
فَهَل يا بَني مَروانَ تُشفى صُدورُكُم ... بِأَيمانِ صَبرٍ بادِياتٍ وَغُوَّدِ
فَلا رَفَعَت إِن كُنتُ قُلتُ الَّتي رَوَوا ... عَلَيَّ رِدائي حينَ أَلبَسُهُ يَدي
وَنَحنُ قِيامٌ حَيثُ كانَت وَطاءَةً ... لِرِجلِ خَليلِ اللَهِ مِن خَيرِ مَحتِدِ
فَلا تَتَرُكوا عُذري المُضيءَ بَيانَهُ ... وَلا تَجعَلوني في الرَكِيَّةِ كَالرَدي
وَكَيفَ أَسُبُّ النَهرَ لِلَّهِ بَعدَما ... تَرامى بِدَفّاعٍ مِنَ الماءِ مُزبِدِ
إِلى كُلِّ أَرضٍ قادَ دِجلَةَ خالِدٌ ... إِلَيها وَكانَت قَبلَهُ لَم تُقَوَّدِ[1]

يعتذر عن وشاية بلغت الخليفة عن تنقصه آل مروان فهو يقسم أيمانا مغلظة أنه لم يأت الذي روي عنه وفي أثناء اعتذاره يمدح الخليفة وكل آل مروان بالجود والكرم والعدل, إن الشعراء في ذلك الزمان كالصحف في زماننا فمنها التي توالي الحكومة ومنها التي تستأثر بالمعارضة وربما احتاجت بعض الصحف عن الاعتذار عن بعض مقالات كتابها التي فيها شطط وتعد.

ومن الجماليات قوله يكني عن الشلل:

فَلا رَفَعَت إِن كُنتُ قُلتُ الَّتي رَوَوا ... عَلَيَّ رِدائي حينَ أَلبَسُهُ يَدي
وَلَيلَةِ لَيلٍ قَد رَفَعتُ سَناءَها ... بِآكِلَةٍ لِلثاقِبِ المُتَوَقِّدِ
وَدَهماءَ مِغضابٍ [2]عَلى اللَحمِ نَبَّهَت ... عُيوناً عَنِ الأَضيافِ لَيسَت بِرُقَّدِ
إِذا أُطعِمَت أُمَّ الهَشيمَةِ أَرزَمَت ... كَما أَرزَمَت أُمُّ الحُوارِ المُجَلَّدِ[4]
إِذا ما سَدَدنا بِالهَشيمِ فُروجَها ... رَأى كُلُّ سارٍ ضَوءَها غَيرَ مُخمَدِ
وَسارٍ قَتَلتَ الجوعَ عَنهُ بِضَربَةٍ ... أَتانا طُروقاً بِالحُسامِ المُهَنَّدِ
عَلى ساقِ مِقحادٍ[3] جَعَلنا عَشاءَهُ ... شَطائِبَ مِن حُرِّ السَنامِ المُسَرهَدِ
وَطارِقِ لَيلٍ قَد أَتاني وَساقَهُ ... إِلَيَّ سَنا ناري وَكَلبٍ مُعَوَّدِ
وَمُستَنبِحٍ أَوقَدتُ ناري لِصَوتِهِ ... بِلا قَمَرٍ يَسري وَلا ضَوءِ فَرقَدِ
وَنارٍ رَفَعناها لِمَن يَبتَغي القِرى ... عَلى مُشرِفٍ فَوقَ الجَراثيمِ موقَدِ

والأبيات تحفة فنية كأنها مقطوعة عن التي قبلها تبدأ بوصف عجيب للنار في الليل وكيف نبهت وحوش الليل عليها وصوت النار وتشبيهه بصوت الناقة تحن إلى ولدها فأم الهشيمة كناية عن النار وأم الحوار كناية عن الناقة.

1 - ديوان الفرزدق ص 128

2- الدهماء السوداء وأراد بها القدر. المغضاب: التي تغلي جعلها غليانها كالغضب.

3- المقحاد الناقة العظيمة السنام.

4 - الحوار: ولد الناقة. المجلد الذي لا يخاف من ضرب السياط. والمجلد أيضاً الذي لم يبق عليه إلا جلده.

ومن الجماليات جعله الجوع شخصا قتله:

وهنا يقفز إلينا سؤال مفاده: لماذا يبدع الفرزدق حين يتكلم عن نفسه وما يمر به من أحوال في حله وتسفاره, ويكون مبدعا أكثر حينما يمدح من يستحق المدح في نطره؟ في نظري يعود ذلك إلى أنه رجل لا يحب مدح إلا من يستحق المدح فشعره حينئذ ينسال على السجية فتخرج الكلمة من مكامنها سهلة منقادة كديمة ربيع قادها نسيم الصبا.

وقال فيه أيضاً: الطويل

رَأيــــتُ بَنـــــي مَـــــروانَ يَرفَـــعُ مُلكَهُـــــم ... مُلـــــوكٌ شَـــــبابٌ كَالأَســـــودِ وَشـــــيبُها

بِهِـــــم جَمَـــــعَ اللهُ الصَـــــلاةَ فَأَصـــــبَحَت ... قَـــدِ اِجتَمَعَـــت بَعـــدَ اِخـــتِلافٍ شُـــعوبُها

وَمَـــــن وَرِثَ العـــــودَينِ وَالخـــــاتَمَ الَّـــــذي ... لَـــــهُ المُلـــــكُ وَالأَرضُ الفَضـــــاءُ رَحيبُهـــــا

وَكـــــانَ لَهُـــــم حَـــــبلاً قَـــــدِ اِســـــتَكرَبوا بِـــــهِ ... عَراقِـــــيَ دَلـــــوٍ كـــــانَ فـــــاضَ ذَنوبُهـــــا

عَلـــى الأَرضِ مَـــن يَنهَـــز بِهـــا مِـــن مُلـــوكِهِم ... يَفِـــض كَـــالفُراتِ الجَـــونِ عَفـــواً قَليبُهـــا

تُرَدِّدُنـــــي بَـــــينَ المَدينَـــــةِ وَالَّتـــــي ... إِلَيهـــــا قُلـــــوبُ النـــــاسِ يَهـــــوي مُنيبُهـــــا

هِـــيَ القَريَـــةُ الأولـــى الَّتـــي كُـــلُّ قَريَـــةٍ ... لَهـــــا وَلَـــــدٌ يَنمـــــي إِلَيهـــــا مُجيبُهـــــا[1]

انظر إلى المديح المكرور والوصف بالأسود ووراثة الملك كابرا عن كابر وأنهم ينتمون إلى مكة.

صورة جمالية وحيدة وهي وصف مكة.

1- ديوان الفرزدق ص 56

ومما قاله أيضا: (الطويل)

هُـــدوءًا رِكـــابي لا تَـــزالُ نَجيبَـــةً ... إِلـــى رَجُـــلٍ مُلقـــىً تَحِـــنُّ سُـــلوبُها[3]
وَلَـــم يَلـــقَ مـــا لاقَيـــتُ إِلّا صَـــحابَتي ... وَإِلّا رِكـــابٌ لا يُـــراحُ لُغوبُهـــا
أَتَتـــكَ بِقَـــومٍ لَـــم يَـــدَع ســـارِحاً لَهُـــم ... تَتـــابُعُ أَعـــوامٍ أَلَحَّـــت جُـــدوبُها
وَخَوقـــاءِ[1]أَرضٍ مِـــن بَعيـــدٍ رَمَـــت بِنـــا ... إِلَيـــكَ مَـــعَ الصُـــهبِ المَهـــاري سُـــهوبُها[4]
بِمَتَّخِـــذينَ اللَيـــلَ فَـــوقَ رِحـــالِهِم ... بِهـــا جَـــبَلاً قَـــد كـــانَ مَشـــياً خَبيبُهـــا
إِلَيـــكَ بِأَنضـــاءٍ عَلـــى كُـــلِّ نَضـــوَةٍ ... نَجيبَتُهـــا قَـــد أُدرِجَـــت وَنَجيبُهـــا
رَأَيـتُ عُـرى الأَحقـابَ وَالغُـرَضِ[2] اِلتَقَـت ... إِلـــى فُلفُـــلِ الأَطبـــاءِ[5] مِنهـــا دُؤوبُهـــا[6]
كَـــأَنَّ الخَلايـــا فَـــوقَ كُـــلِّ ضَـــريرَةٍ ... تُخَطِّمُـــهُ فـــي دَوسَـــرٍ[7] المـــاءِ نيبُهـــا[8]
أَقـــولُ لِأَصـــحابي وَقَـــد صَـــدَقَتهُمُ ... مِـــنَ الأَنفُـــسِ اللاتـــي جَـــزِعنَ كَـــذوبُها
عَســـى بِيَـــدي خَيـــرِ البَرِيَّـــةِ تَنجَلـــي ... مِـــنَ اللَزَبـــاتِ [9]الغُبـــرِ عَنّـــا خُطوبُهـــا[10]

هنا تظهر نفس الفرزدق حين تروحت بأرواح البادية ورياحها السافيات تعب من الصور الجمالية والتي منها:

بِمَتَّخِـــذينَ اللَيـــلَ فَـــوقَ رِحـــالِهِم ... بِهـــا جَـــبَلاً قَـــد كـــانَ مَشـــياً خَبيبُهـــا

يشبه الليل بالجبل العظيم فالليل وقت انبعاث الهموم والمخاوف كالجبل الثقيل على الصدر لا يرفعه إلا ضوء الفجر.

1- الخوقاء: الواسعة

2- الأحقاب، الواحد حقب: الحزام الذي يلي حقو البعير. الغرض، الواحدة غرضة: التصدير وهو للرحل كالحزام للسرج.

3- السلوب، الواحدة سلب: الناقة التي مات ولدها.

4- السهوب، الواحدة سهب: الرض الواسعة البعيدة الأطراف.

5 - فلفل، من تفلفلت حلمات الضرع: إذا اسودت. الأطباء، الواحد طبي: أراد أخلاف الناقة على الاستعارة لأن الطبي لا يكون إلا لذوات الحوافر.

6 - دؤوبها: جدها في السير واستمرارها عليه.

7- دوسر الماء: شدة جريانه وسيلانه، وربما أراد السراب ودخول الإبل فيه.

8 - نيبها، الواحدة ناب: وهي الناقة المسنة.

9- اللزبات، الواحدة لزبة: الشدة. ديوان الفرزدق ص58

10- ديوان الفرزدق ص57

إذا ذُكِّـرَت نَفسـي إبـنَ مَـروانَ صـاحِبي ... وَمَـروانَ فاضَـت مـاءَ عَينـي غُروبُهـا
هُمـا مَنَعـاني إذ فَـرَرتُ إِلَيهِمـا ... كَمـا مَنَعَـت أَروى الهِضـابِ لُهوبُهـا
فَمـا رُمـتُ حَتّـى مـاتَ مَـن كُنـتُ خائِفـاً ... كَمـا مَنَعَـت أَروى الهِضـابِ لُهوبُهـا
وَهَـل دَعـوَتي مِـن بَعـدِ مَـروانَ وَابنِـهِ ... لَهـا أَحَـدٌ إِذ فارَقاهـا يُجيبُهـا
وَكُنـتُ إِذا مـا خِفـتُ أَو كُنـتُ راغِبـاً ... كَفـانِيَ مِـن أَيـديهِما لـي رَغيبُهـا
بِـأَخلاقِ أَيـدي المُطعِمـينَ إِذا الصَـبا ... تَصَـبَّبَ قُـرّاً غَيـرَ مـاءٍ صَـبيبُها
رَأَيـتُ بَنـي مَـروانَ إِذ شُـقَّتِ العَصـا ... وَهَـرَّ مِـنَ الحَـربِ العَـوانِ كَليبُهـا
شَـفَوا ثـائِرَ المَظلـومِ وَاِستَمسَـكَت بِهِـم ... أَكُـفٌّ رِجـالٍ رُدَّ قَسـراً شَـغوبُها
وَرَثـتَ إِلـى أَخلاقِـهِ عاجِـلَ القِـرى ... وَضَـربَ عَراقيـبِ المَتـالي[1] شَـبوبُها
رَأَيـتَ بَنـي مَـروانَ ثَبَّـتَ مُلكَهُـم ... مَشـورَةُ حَـقٍّ كـانَ مِنهـا قَريبُهـا
جَـزى اللَهُ خَيـراً مِـن خَليفَـةِ أُمَّـةٍ ... إِذا الـريحُ هَبَّـت بَعـدَ نـوءٍ جَنوبُهـا
كَفـى أُمَّـةَ الأُمِّـيَّ كُـلَّ مُلِحَّـةٍ ... مِـنَ الـدَهرِ مَحـذورٍ عَلَينـا شَصـيبُها[2]
عَسَـت هَـذِهِ الـلَأواءُ تَطـرُدُ كَربَهـا ... عَلَينـا سَـماءٌ مِـن هِشـامٍ تُصـيبُها
كَمـا كـانَ أَروى إِذ أَتـاهُم بِأَهلِـهِ ... حُطَيئَـةُ عَـبسٍ مِـن قُرَيـعٍ ذَنوبُهـا
فَهَـب لِـيَ سَـجلاً مِـن سَـجالِكَ يُروِنـي ... وَأَهلـي إِذا الأَورادُ طـالَ لُؤوبُهـا[3]
وَكَـم أَنعَمَـت كَفّـا هِشـامٍ عَلـى اِمـرِئٍ ... لَـهُ نِعمَـةٌ خَضـراءَ مـا يَسـتَثيبُها

يذكر الجوار الذي ناله من آل مروان حين فر إليهم ويصفهم بالجود والمنعة ويطمع أن ينال منهم ما ناله الحطيئة:

كَمـا كـانَ أَروى إِذ أَتـاهُم بِأَهلِـهِ ... حُطَيئَـةُ عَـبسٍ مِـن قُرَيـعٍ ذَنوبُهـا

فهذا المدح مدح خائف يرجو الأمان يرنو إلى مطلبه هو دون مطلب الشعر من الأخيلة والتشخيص وتوليد المعاني والابتكار.

وقال فيه أيضاً: (الطويل)

فَـإِنَّ هِشـاماً إِن تُلاقيـهِ سـالِماً ... تَكـوني كَمَـن بِالغَيـثِ يَنصُـرُ جانِبُـه
لِتَـأتِيَ خَيـرَ النـاسِ وَالمَلِـكِ الَّـذي ... لَـهُ كُـلُّ ضَـوءٍ تَضـمَحِلُّ كَواكِبُـه
تَـرى الـوَحشَ تَستَحيِيهِ وَالأَرضَ إِذ غَـدا ... لَـهُ مُشـرِقاً شَـرقِيُّهُ وَمَغارِبُـه
فُـراتُ هِشـامٍ وَالوَليـدُ يَمُـدُّهُ ... لِآلِ أَبـي العاصـي فُـراتٌ يُغالِبُـه
عَلَيـكَ كِـلا مَوجَيهِمـا لَـكَ يَلتَقـي ... عُبابُهُمـا فـي مُزبِـدٍ لَـكَ ثائِبُـه[4]
فَـإِنَّ هِشـاماً إِن تُلاقيـهِ سـالِماً ... تَكـوني كَمَـن بِالغَيـثِ يَنصُـرُ جانِبُـه
لِتَـأتِيَ خَيـرَ النـاسِ وَالمَلِـكِ الَّـذي ... لَـهُ كُـلُّ ضَـوءٍ تَضـمَحِلُّ كَواكِبُـه
تَـرى الـوَحشَ تَستَحيِيهِ وَالأَرضَ إِذ غَـدا ... لَـهُ مُشـرِقاً شَـرقِيُّهُ وَمَغارِبُـه
فُـراتُ هِشـامٍ وَالوَليـدُ يَمُـدُّهُ ... لِآلِ أَبـي العاصـي فُـراتٌ يُغالِبُـه
إِذا اِجتَمَعـا فـي راحَتَيـكَ كِلاهُمـا ... دُوَيـنَ كُبَيـداتِ [5]السَـماءِ غَوارِبُـه[6]

1- العرقوب: مؤخر القدم. والمتالي: أولاد الناقة عند الفطام. ديولن الفرزدق ص58
2- الشصيب: الفقر. السابق ص58
3- اللؤوب: العطش.
4- الثائب: الراجع
5- كبيدات تصغير كبد، وكَبِدُ السّماء : ما استقبلك من وَسَطها.
6- ديوان الفرزدق ص 81

أبيات تعكس كرم الممدوح والصور فيها تقليدية فالممدوح بحر في الكرم حتى أن الوحش ترجو نواله وهو ضوء تخبو له أضواء الكواكب وهو أيضاً كالغيث الذي طالما شُبه به الممدوحون في التراث الشعري

وَمِـن أَيـنَ أَخشـى الفَقـرَ بَعـدِ الّـذي اِلتَقـى ... بِكَفَّيـكَ مِـن مَعـروفِ مـا أَنـا طالِبُـه
فَـإِنَّ ذُنوبـاً مِـن سِـجالِكَ مـالِئٌ ... حِياضـي فَـأَفرِغ لـي ذُنوبـاً أُناهِبُـه
أُناهِبُـهُ الأَدنَـينَ وَالأَبعَـدَ الَّـذي ... حِياضـي فَـأَفرِغ لـي ذُنوبـاً أُناهِبُـه
وَمـا مِنهُمـا إِلّا يَـرى أَنَّ حَقَّـهُ ... عَلَيـكَ لَـهُ يـا اِبـنَ الخَلائِـفِ واجِبُـه
أَبـى اللَهُ إِلّا نَصـرَكُم بِجُنـودِهِ ... وَلَـيسَ بِمَغلـوبٍ مَـنَ اللَهِ صـاحِبُه
وَكـائِن إِلَـيكُم قـادَ مِـن رَأسِ فِتنَـةٍ ... جُنـوداً وَأَمثـالُ الجِبـالِ كَتائِبُـه
فَمِـنهُنَّ أَيّـامٌ بِصِـفّينَ قَـد مَضَـت ... وَبِـالمَرجِ وَالضَـحّاكُ تَجـري مَقانِبُـه
سَـما لَهُمـا مَـروانُ حَتّـى أَراهُمـا ... جِيـاضَ مَنايـا المَـوتِ حُمـراً مَشـارِبُه
فَمـا قـامَ بَعـدَ الـدارِ قَـوّادُ فِتنَـةٍ ... لِيُشـعِلَها إِلّا وَمُـروانُ ضـارِبُه
أَبـى اللَهُ إِلّا أَنَّ مُلكَكُـمُ الَّـذي ... بِـهِ ثَبَـتَ الـدينُ الشَـديدُ نَصـائِبُه[1]

مقطوعة نصفها في كرم الممدوح ونصفها الآخر في شجاعته وحزمه, وهي تتضمن الإشادة بكرم الممدوح وشجاعته وحزمه, وقد وظف الشاعر بعض الأحداث منها موقعة صفين التي كانت بين علي ومعاوية _رضي الله عنهما- .ويذكر بعض ما جرى بين مروان بن الحكم والضحاك في دمشق بعد تنازل معاوية بن يزيد عن الخلافة, ثم يأتي على يوم الدار مشيرا إلى مقتل عثمان رضي الله عنه, والشاعر يتوسل بكل ما يمكن أن يرضي عنه الممدوح في تهافت لا يمكن أن يصدر عن نفس تميل إلى شيعة علي رضي الله عنه. تسع قصائد مدح بها الفرزدق هشام بن عبدالملك ممايدل على كثرة الأحداث التي وقعت بين الفرزدق وهشام بن عبدالملك .

6. الوليد بن يزيد بن عبد الملك 125هـ - 126هـ

الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم : ولد سنة تسعين فلما احتضر أبوه لم يمكنه أن يستخلفه لأنه صبي فعقد لأخيه هشام و جعل هذا ولي العهد من بعد هشام فتسلم الأمر عند موت هشام في ربيع الآخر سنة خمس و عشرين و مئة .[2]

قال فيه الفرزدق: الطويل

إِنّـي إِلـى خَيـرِ البَرِيَّـةِ كُلِّهـا ... رَحَلـتُ وَمـا ضـاقَت عَلَـيَّ المَطـامِعُ
إِلـى القائِـدِ المَيمـونِ وَالمُهتَـدى بِـهِ ... إِذِ النـاسُ مَتبـوعٌ وَآخَـرُ تـابِعُ
طُبِعـتَ عَلـى الإِسـلامِ وَالحَـزمِ وَالنَـدى ... أَلا إِنَّمـا تُبـدي الأُمـورَ الطَبـائِعُ
فَـداكَ رِجـالٌ أَوقَـدوا ثُـمَّ أَخمَـدوا ... مَنـازِلُهُم مِـن كُـلِّ خَيـرٍ بَلاقِـعُ[3]

في هذه الأبيات يمدح الخليفة ويصفه بخير البرية وأنه قائد ميمون مطبوع على الحزم والإسلام والندى ثم يفديه بأعدائه.ثم انظر إلى هذه الصورة البديعة:

1- ديوان الفرزدق ص82
2- السيوطي, تاريخ الخلفاء, ص199
3- ديوان الفرزدق ص355

وَكـــادَت بَنـــاتُ الـــنَفسِ تَخـــرُجُ وَالحَشـــا وَتَـــنفَضُّ مِـــن وَجـــدٍ عَلَيهـــا الأَضـــالِعُ

بنات النفس كناية عن الأرواح.

وقال فيه أيضاً: الكامل

يـــا خَيـــرَ مَـــن رَفَعَـــت إِلَيـــهِ مَطِيَّـــةٌ بِمُطَـــرَّدٍ جَهَـــدَ المَطِيَّـــةَ مُضـــمَرِ
كَـــم أَدلَجَـــت بـــي سَـــخوَةٌ مِـــن لَيلَـــةٍ شَـــهباءَ أَو سَـــمِعَت زَئيـــرَ المُخـــدِرِ
قَلِقَـــت إِذا اِضـــطَرَبَت بِهـــا أَنســـاعُها قَلَـــقَ المَحالَـــةِ فَـــوقَ مَـــتنِ المِحـــوَرِ
وَتَظَـــلُّ تَحسِـــبَ ظِلَّهـــا شَـــيطانَةً وَتَخـــالُ نـــافِرَةً وَإِن لَـــم تَنفِـــرِ
خَرقـــاءُ خـــالَطَ أُمَّهـــا مِـــن عَـــوهَجٍ وَالأَرحَبِيَّـــةِ ضَـــربُها وَالأَدعَـــرِ
لا تَســـتَطيعُ عَصـــا الغِـــلامِ وَإِن سَـــعى مَسّـــاً لِســـاقِ وَظيفِهـــا المُصـــعَنفِرِ[1]

في هذه الأبيات تتجلى صنعة الفرزدق التي أتقنها في وصف الناقة وما تلاقيه من مشقة في سفر الأمل والرجاء .. لغة فخمة ومفردات بدوية وصور كأنها قدت من صخر الغرابيب السود الشامخة في بوادي الجزيرة, ومثال ذلك صوت الجنادل.

خَرقـــاءُ خـــالَطَ أَمَّهـــا مِـــن عَـــوهَجٍ وَالأَرحَبِيَّـــةِ ضَـــربُها وَالأَدعَـــرِ

1- ديوان الفرزدق ص 290

ويقول أيضا:

إنَّ الوَليـــــدَ وَلِـــــيُّ عَهـــــدِ مُحَمَّـــــدٍ ... كُـــــلَّ المَكـــــارِمِ بِالمَكـــــارِمِ يَشـــــتَري
إنَّ لا تَطلُبـــي بـــي غَيـــرَهُ مِمَّـــن مَشـــى ... إن أَنـــتِ نـــاقَ لَقيتِـــهِ بِـــالقَرقَرِ[2]
ســـيري أَمامَـــكِ إِنَّهـــا قَـــد مُكِّنَـــت ... لِيَدَيـــهِ راحِلَـــةُ الإِمـــامِ الأَكبَـــرِ
وَرِثَ الخِلافَـــةَ سَـــبعَةً آبـــاءَهُ ... عَمِـــروا وَكُلُّهُـــمُ لِأَعلـــى المِنبَـــرِ
رَبٌّ عَلَيـــهِ يَظَـــلُّ يَخطُـــبُ قائِمـــاً ... لِلنـــاسِ يَشـــدَخُهُم بِمُلـــكٍ قَســـوَرِ
وَرِثـــوا مَشـــورَتَها لِعُثمـــانَ الَّتـــي ... كانَـــت تُـــراثَ نَبِيِّنـــا المُتَخَيَّـــرِ
وَعِمـــادُ بَيتِـــكَ فـــي قُـــرَيشٍ رُكِّبَـــت ... فـــي الأَكـــرَمينَ وَفـــي العَديـــدِ الأَكثَـــرِ
لا شَـــيءَ مِثـــلُ يَـــدَيكَ خَيـــرٌ مِنهُمـــا ... حَيـــثُ اِلتَقَـــت بِيَـــدَيكَ فَـــيضُ الأَبحُـــرِ
فَتَـــرَ الرِيـــاحُ عَـــنِ الوَليـــدِ إِذا غَـــدَت ... مَعَـــهُ وَفَـــيضُ يَمينِـــهِ لَـــم يَفتُـــرِ
مَـــن يَـــأتِ رابِيَـــةَ الوَليـــدِ وَدِفأَهـــا ... مِـــن خـــائِفٍ لِجَريـــرَةٍ لا يُضـــرَرِ
الواهِـــبُ المِئَـــةَ المَخـــاضَ وَعَبـــدَها ... لِلمُجتَديـــهِ وَذو الجَنـــابِ الأَخضَـــرِ
فَفَـــداكَ كُـــلُّ مُجـــاوِرٍ جيرانُـــهُ ... وَرَدوا بِذِمَّـــةِ حَبلِـــهِ لَـــم يُصـــدَرِ
حَـــربٌ وَيوسُـــفُ أَفرَغـــا فـــي حَوضِـــهِ ... وَأَبـــو الوَليـــدِ بِخَيـــرِ حَوضَـــي مُقتِـــرِ
حَوضـــا أَبـــي الحَكَـــمِ اللَـــذانِ لِعيصِـــهِ[1] ... وَالمُترَعـــانِ مِـــنَ الفُـــراتِ الأَكـــدَرِ
إِنَّ الَّـــذينَ عَلَـــى اِبـــنِ عَفّـــانٍ بَغَـــوا ... لَـــم يَحقُنوهـــا فـــي السَـــقاءِ الأَوفَـــرِ
قُتِلـــوا بِكُـــلِّ ثَنِيَّـــةٍ وَمَدينَـــةٍ ... صَـــبراً وَمَيـــتُ ضَـــريبَةٍ لَـــم يُصْـــبَرِ[3]

ورث الممدوح الخلافة عن آبائه الغر الميامين منذ عثمان وبيته في قريش بيت مفاخر لا تنتهي ويمدحه بالجود والكرم وهنا صورة جمالية رائعة في قوله:

فَتَـــرَ الرِيـــاحُ عَـــنِ الوَليـــدِ إِذا غَـــدَت ... مَعَـــهُ وَفَـــيضُ يَمينِـــهِ لَـــم يَفتُـــرِ

فيه وصف بالأصالة والكرم وذكر لعثمان رضي الله عنه في أثناء المدح لمحبة الأمويين لذلك إذ بسبب الطرق على مظلومية عثمان صاروا ملوكاً.

وَالنـــاسُ يَعلَـــمُ أَنَّنـــا أَربـــابُهُم ... يَـــومَ اِلتَقَـــى حُجّـــاجُهُم بِالمَشـــعَرِ
وَتَـــرى لَهُـــم بِمِنـــىً بُيـــوتَ أَعِـــزَّةٍ ... رَفَعَـــت جَوانِبَهـــا صُـــقوبَ العَرعَـــرِ[4]
يَقِفـــونَ يَنتَظِـــرونَ خَلـــفَ ظُهورِنـــا ... حَتّـــى نَميـــلَ بِعـــارِضٍ مُثعَنجِـــرِ[5]

هنا صورة جميلة وهي أن الشاعر يفخر بقومه وأن الناس تبع لهم ويصف الناس خلفهم ينتظرون الدفع بعدهم ويصف دفعهم بالسيل الشديد المثعنجر كناية عن كثرتهم وعزهم:

يَقِفـــونَ يَنتَظِـــرونَ خَلـــفَ ظُهورِنـــا ... حَتّـــى نَميـــلَ بِعـــارِضٍ مُثعَنجِـــرِ

وقال فيه أيضاً: الطويل

1- العيص: الشجر الكثير الملتف.

2- القرقر: هو جانب من القُرَيّة، وأظنها بين الفلج ونجران. ديوان الفرزدق ص291, وقيل في شمال اللمملكة والأجدرأنها الأرض المنخفضة, وقيل في حضرموت.

3- ديوان الفرزدق ص291

4- صقوب، الواحد صقب:العمود الأطول في وسط البيت. العرعر: ضرب من الشجر.

5- المثعنجر: الشديد الانصباب.

أَرَجّـــي أميـــرَ المُـــؤمِنينَ لِحاجَـــةٍ بِكَفَّيـــكَ بَعـــدَ اللهِ يُرجـــى قَضـــاؤُها
وَأَنـــتَ سَـــماءُ اللهِ فيهـــا الَّتـــي لَهُـــم مِـــنَ الأَرضِ يُحيِـــي مَيِّـــتَ الأَضِ ماؤُهـــا
كِـــلا أَبَوَيـــكَ اِســـتَلَّ سَـــيفَ جَماعَـــةٍ عَلـــى فِتيَـــةٍ تَلقـــى البَنـــينَ نِســـاؤُها
فَمـــا أُغمِـــدَ حَتّـــى أَنابَـــت قُلـــوبُهُم وَسَـــمَّحَ لِلضَـــربِ الشَـــآمي دِماؤُهـــا
لِـــنِعمَ مُنـــاخُ القَـــومِ حَلّـــوا رِحـــالَهُم وَسَـــمَّحَ لِلضَـــربِ الشَـــآمي دِماؤُهـــا
بَناهـــا أَبـــو العاصـــي وَمَـــروانُ فَوقَـــهُ وَيوسُـــفُ قَـــد مَـــسَّ النُجـــومَ بِناؤُهـــا
فَـــإِن يَبعَـــثِ المَهـــدِيُّ لِـــي نـــاقَتي الَّتـــي يَهـــيجُ لِأَصـــحابي الحَنـــينَ بُكاؤُهـــا
وَإِن يَبعَثوهـــا بِالنَجـــاحِ فَقَـــد مَشَـــت إِلَـــيكُم عَلـــى حَـــوبٍ وَطـــالَ ثَواؤُهـــا
وَإِنَّ عَلَيهـــا إِن رَأَت مِـــن غِمارِهـــا ثَنايـــا بِـــراقٍ أَن يَجِـــدَّ نَجاؤُهـــا[1]

أبيات مستمنح يطلب الرفد دعته الحاجة أن يقدم بين يدي مطلوبه مدحاً يحرك الممدوح ليجود ويتوسل إليه بذكر مجد آبائه وشجاعتهم وحزمهم, ومن الصور الجميلة تشبيهه للملك بالقبة:

بَناهـــا أَبـــو العاصـــي وَمَـــروانُ فَوقَـــهُ وَيوسُـــفُ قَـــد مَـــسَّ النُجـــومَ بِناؤُهـــا

لا ينسى الفرزدق ذكر ناقته أبدا:

وَإِن يَبعَثوهـــا بِالنَجـــاحِ فَقَـــد مَشَـــت إِلَـــيكُم عَلـــى حَـــوبٍ وَطـــالَ ثَواؤُهـــا

فهي بمكانة صاحبه الذي لا يفارقه وأنيسه الذي يلائمه.

وقال فيه أيضاً: الطويل

حَمَلـــنَ مِـــنَ الحاجـــاتِ كُـــلَّ ثَقيلَـــةٍ إِلَيـــكَ عَلـــى فـــانٍ عَرائِكُهـــا حُـــدبِ
إِلـــى خَيـــرِ مَـــأتيً يَطلُـــبُ النـــاسُ خَيـــرُهُ إِلَيـــهِ مِـــنَ الآفـــاقِ مُجتَمَـــعُ الرَكـــبِ
إِلـــى بـــابِ مَـــن لَـــم نَـــأتِ نَطلُـــبُ غَيـــرَهُ بِشَـــرقٍ مِـــنَ الأَرضِ الفَضـــاءِ وَلا غَـــربِ
إِلـــى حَيـــثُ مَـــدَّ المُلـــكُ أَطنـــابَ بَيتِـــهِ عَلـــى اِبـــنِ أَبـــي الأَعيـــاصِ فـــي المَنـــزِلِ الرَحـــبِ
إِذا مـــا رَأَتـــهُ الأَرضَ ظَلَّـــت كَأَنَّهـــا تَزَعـــزَعُ تَســـتَحيِي الإِمـــامَ مِـــنَ الرُعـــبِ
دَعـــي النـــاسَ إِلّا اِبـــنِ الخَليفَـــةِ إِنَّـــهُ مِـــنَ النـــاسِ إِن بَلَّغتِنـــي أَرضَـــهُ حَســـبي
وَلَـــيسَ بِـــلاقٍ مِثلَـــهُ الـــدَهرَ خـــائِفٌ أَتـــاهُ عَلـــى مـــاءٍ يَســـيرُ وَلا تُـــربِ
بِحَـــقٍّ وَلِـــيِّ بَـــينَ يوسُـــفَ عيصُـــهُ وَبَـــينَ أَبـــي العاصـــي وَبَـــينَ أَبـــي حَـــربِ
يُشَـــدُّ بِـــهِ الإِســـلامُ بَعـــدَ وَلِيِّـــهِ أَبيـــهِ فَأَمســـى الـــدينُ مُلتـــئِمَ الشَـــعبِ
قُـــرومٌ أَبـــو العاصـــي أَبـــوهُم كَـــأَنَّهُم إِذا لَبِســـوا صـــيدُ المُعَبَّـــدَةِ الجُـــربِ[2]

لم تأخذ الناقة حظها من المجد في هذه الأبيات وقد كانت الإشارة إليها باهتة باردة.

ومن صوره المبتكرة تلك التي وصف بها رعدة الأرض عند رؤية الممدوح:

إِذا مـــا رَأَتـــهُ الأَرضَ ظَلَّـــت كَأَنَّهـــا تَزَعـــزَعُ تَســـتَحيِي الإِمـــامَ مِـــنَ الرُعـــبِ

1- النجاء: الإسراع . ديوان الفرزدق ص 14
2- ديوان الفرزدق ص 71

ثم يصف الممدوح بالنجدة وحماية الدين. مهما كان الوصف جميلاً فإن تشبيه الممدوح وآله بالجُربِ فيه نوع فساد بائن ينزه سماع الخليفة عنه..

ويقول أيضا :

وَصِـــيَّةَ ثـــاني اِثنَـــينِ بَعـــدَ مُحَمَّـــدٍ ... ضِـــرابَ كِـــرامٍ غَيـــرَ عُـــزلٍ وَلا نُكـــبِ
عَمَـــدتُ بِنَفسِـــي حـــينَ خِفـــتُ مَحيطَـــةً ... إِلَيـــكَ وَمـــالي يـــا اِبـــنَ مَـــروانَ مِـــن ذَنـــبِ
إِلـــى المَعقَـــلِ المَفـــزوعِ مِـــن كُـــلِّ جانِـــبٍ ... إِلَيـــهِ وَلِلغَيـــثِ المَغيـــثِ مِـــنَ الجَـــدبِ
شَـــفيتَ مِـــنَ الـــداءِ العِـــراقَ كَمـــا شَـــفَت ... يَـــدُ اللَهِ بِالفُرقـــانِ مِـــن مَـــرَضِ القَلـــبِ
هُـــوَ المُصـــطَفى بَعـــدَ الصَـــفِيَّينِ لِلهُـــدى ... وَفـــي العـــيصِ مِـــن أَهـــلِ الخِلافَـــةِ وَالقُـــربِ
بِقَـــومٍ أَبـــو العاصـــي أَبـــوهُم سُـــيوفُهُم ... مَعاقِـــلُ إِذ صـــارَ القِتـــالُ إِلـــى الضَـــربِ
رَأَيـــتُ بَنـــي مَـــروانَ تَفسَـــحُ عَـــنهُمُ ... سُـــيوفُهُمُ ضـــيقَ المَقـــامِ مِـــنَ الكَـــربِ
وَتَعـــرِفِ بِالأَبطـــالِ وَقـــعَ سُـــيوفِهِم ... وَآثارَهـــا مِـــن مُنـــدَباتٍ وَمِـــن خَـــدبِ
وَعـــاوٍ عَـــوى حَتّـــى اِستَثارَ عُـــواؤُهُ ... أَبـــا اِثنَـــينِ فـــي عِـــرّيسِ مَأسَـــدَةٍ غُلـــبِ
أَمـــا كـــانَ فـــي قَـــيسِ بـــنِ عَـــيلانَ نـــابِحٌ ... فَيَنـــبَحُ عَـــنهُم غَيـــرُ مُســـتَوفِلِغٍ كَلـــبِ
وَكـــانَ لَهُـــم لَمّـــا عَـــوى الكَلـــبُ دونَهُـــم ... جَريـــرٌ عَلَـــيهِم مِثـــلَ راغِيَـــةَ السَـــقبِ

كلما أحس الفرزدق بضعف في مدحته عمدها ورتقها بذكر عثمان فهو (وصية ثاني اثنين بعد محمد).

أيضاً يصف ممدوحه بإجارة الخائف ومغيث المستغيث ويده بالجود مبسوطة.

جعل الخليفة في مقام القرآن في شفاء أدواء القلوب حين شفا أمراض العراق والتي كانت القبلية بين العرب من جهة والشعوبية من جهة أخرى تعصف به وتلون حياته الثقافية والدينية والاجتماعية بلون القتام.

الخلاصة:

مما يلاحظ أن الفرزدق تدرج في عاطفته نحو بني أمية فمن البغض والتحدي لمعاوية وابنه إلى المديح المتكلف لعبد الملك بن مروان ثم التحول الكبير في مدح الوليد بن عبد الملك حتى اكتملت عاطفته في مديح سليمان بن عبد الملك الذي كان زمانه بعد زمان الحجاج وقد تعلقت به النفوس في فك المسجونين ورد المظالم.

قال في معاوية حين حبس جائزة كان أعطاها عمه الحتات:

مـــا بـــال ميـــراث الحتـــات أخذتـــه	وميـــراث حـــرب جامـــد لـــك ذائبـــه
فلـــو كـــان هـــذا الأمـــر فـــي جاهليـــة	علمـــت مـــن المـــرء القليـــل حلائبـــه
ولوكـــان هـــذا الأمـــر فـــي غيـــر ملككـــم	لأديتـــــه أو غـــص بالمـــاء شـــاربه
وكـــم مـــن أب لـــي يـــا معـــاوي لـــم يكـــن	أبـــوك الـــذي مـــن عبـــد شـــمس يقاربـــه

أما يزيد فقد هجا الفرزدق بني فقيم هجاء مقذعاً فرفعوا أمره إلى يزيد فتوعده فهرب الفرزدق واحتمى بوالي المدينة آنذاك سعيد بن العاص ودعاه يزيد بعد ذلك وقال إنه عفا عنه ولكن الفرزدق الحذر رفض وقال:

دعـــاني يزيـــد للعطـــاء ولـــم أكـــن لأقربـــه مـــا ســـاق ذو حســـب وفـــرا

ولذلك خلي ديوانه من ممادح لهما.

أما مديحه لعبد الملك فقد كان بارداً[1] لا تحس فيه التصوير الفني والجماليات حتى أنه أحيانا يمدحه ضمن قصيدة ليست خالصة له بل في مدح الحجاج مثلاً: (البسيط)

يـــا أيهـــا الراكـــب المزجـــي مطيتـــه	يريـــد مجمـــع حاجـــات الأراكيـــب
إذا أتيـــت أميـــر المـــؤمنين فقـــل	بالنصـــح والعلـــم قـــولاً غيـــر مكـــذوب
أمـــا العـــراق فقـــد أعطتـــك طاعتهـــا	وعـــاد يعمـــر منهـــا كـــل تخريـــب
أرض رميـــت لهـــا وهـــي فاســـدة	بصـــارم مـــن ســـيوف الله مشـــبوب
لا يغمـــد الســـيف إلا مـــا يجـــرده	علـــى قفـــا محـــرم بالســـوق مصـــلوب
إذا الحـــروب بـــدت أنيابهـــا خرجـــت	ســـاقا شـــهاب علـــى الأعـــداء مصـــبوب
فـــالأرض لله ولاهـــا خليفتـــه	وصـــاحب الله فيهـــا غيـــر مغلـــوب[2]

وفي الجملة فالفرزدق "لم يخرج في أسلوبه المدائحي عن الجاهلية إلا قليلاً يقدم القصيدة بالغزل أو ذكر الديار والدمن ويذكر ناقته وما قاست من مشاق وما قطعت من فلوات حتى نهكت وحفيت قبل الوصول إليه وأدمى خفافها طول السرى والتأويب ثم يؤيد حزبهم وفكرتهم كحق إرثهم في الخلافة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه ثم يذكر أهله وكيف فارقهم في جدب وقحط وحاجة ويسترفد العطاء صراحة وهو فيما بين هذا وذاك يحشو المديح

1 - المديح في شعر الفرزدق, نادية سيد البري، ص 44

2- ديوان الفرزدق ص25

فخراً وتعاظماً حتى ليختلط عليك المديح بالفخر"[1]. ونلاحظ أن هشام عبدالملك, وسليمان بن عبدالملك أكقر الخلفاء الذين مدحهم الفرزدق إعجابا بهم ولما لقيه عندهم من جود وسخاء.

صورة الأمير

الأمراء أبناء الخلفاء وأقاربهم من شباب الأسرة المالكة مشمولون بعزة دولتهم وكرم أصلهم والأنظار تشرئب إليهم رجاء أن يكونوا خلفاء يوماً ما ،والفرزدق المشهور بالاستجداء وحب منافسة غيره من الشعراء في التقرب من الولاة والقادة والخلفاء والأمراء دفعه إلى إزجاء مدائحه إلى أمراء الدولة الأموية. ومن هؤلاء الأمراء :

1/ **عمر بن الوليد بن عبد الملك**[2] : الطويل

إِلَيكَ سَمَت يا اِبنَ الوَليدِ رِكابُنا ... وَرُكبانُها أَسمى إِلَيكَ وَأَعمَدُ
إِلى عُمَرٍ أَقبَلنَ مُعتَمِداتِهِ ... سَراعاً وَنِعمَ الرَكبُ وَالمُتَعَمَّدُ
وَلَم تَجرِ إِلّا جِئتَ لِلخَيلِ سابِقاً ... وَلا عُدتَ إِلّا أَنتَ في العودِ أَحمَدُ
اِبنِ الإِمامَينِ اللَذَينِ أَبوهُما ... إِمامٌ لَهُ لَولا النُبُوَّةُ يُسجَدُ
إِذا هُوَ أَعطى اليَومَ زادَ عَطاؤُهُ ... عَلى ما مَضى مِنهُ إِذا أَصبَحَ الغَدُ
بِحَقِّ اِمرِئٍ بَينَ الوَليدِ قَناتُهُ ... وَكِندَةَ فَوقَ المُرتَقى يَتَصَعَّدُ[3]

بداية تقليدية بذكر الركاب والركبان والشوق إلى الوصول إلى الممدوح, ثم ذكر لأبائه وأن عطاءه يزداد كل يوم ثم مدح بشرف الأصل.

ويقول أيضا :

أَقولُ لِحَرفٍ لَم يَدَع رَحلُها لَها ... سَناماً وَتَثويرُ القَطا وَهوَ هُجَّدُ
عَلَيكِ فَتى الناسِ الَّذي إِن بَلَغتِهِ ... فَما بَعدَهُ في نائِلٍ مُتَلَدَّدُ
وَإِنَّ لَهُ نارَينِ كِلتاهُما لَها ... قِرىً دائِمٌ قُدّامَ بَيتَيهِ توقَدُ
فَهَذي لِعَبطِ المُشبَعاتِ إِذا شَتا ... وَهَذي يَدٌ فيها الحُسامُ المُهَنَّدُ
وَلَو خَلَّدَ الفَخرُ اِمرَأً في حَياتِهِ ... خَلَدتَ وَما بَعدَ النَبِيُّ مُخَلَّدُ
وَأَنتَ اِمرُؤٌ عُوِّدتَ لِلمَجدِ عادَةً ... وَهَل فاعِلٌ إِلّا بِما يَتَعَوَّدُ

يخاطب ناقته التي أذاب الرحل وطول الرحلة سنامها وهي تتابع الليل بالنهار، وفي هذا البيت صورة جمالية مختصرة لو أراد كاتب نثرها لبلغت الصفحات والفرزدق أبو البلاغة البدوية فلا تعوزه العبارات ولا التراكيب,

1- نوابغ الفكر العربي (الفرزدق) ، د. ممدوح حقي ،دار المعارف – القاهرة ، الطبعة السادسة ، ص 33

2- عمر بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية أبو حفص الأموي أمه كندية من ولد حجر بن عمرو وكان يقال له : فحل بني مروان وكان يركب معه من ولده ستون لصلبه ؛ ولاه أبوه الوليد الموسم والغزو واستعلمه على الأردن مدة ولايته.مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر, ,تحقيق إبراهيم صالح,دارالفكر,ط1, 1409هـ (19/ 155)

3- ديوان الفرزدق ص 135

ويستمر في مخاطبة ناقته ليخبرها بصفات من تحملت المشاق في السير إليه فيصفه بأنه (فتى الناس) وكلمة الفتى مفردة مفعمة بمعاني القوة والفتوة والكرم والأصالة والعرب إذا أرادت صغر السن قالت غلام أما إذا أرادت الصفات الحميدة قالت فتى ثم يمضي في وصفه بالجود وسخاء النفس وأن الكرم عادته وسجيته لا يتكلفها فهو ماجد أصالة انحدرت إليه من آباء صدق.

ويقول فيه أيضا : (الطويل)

تُســـائِلُني مـــا بـــالُ جَنبِـــكَ جافِيـــاً ... أَهَـــمٌّ جَفـــا أَم جَفـــنُ عَينِـــكَ أَرمَـــدُ

فَقُلـــتُ لَهـــا لا بَـــل عِيـــالٌ أَراهُـــمُ ... وَمـــا لُهُـــمُ مـــا فيـــهِ لِلغَيـــثِ مَقعَـــدُ

فَقالَـــت أَلَـــيسَ اِبـــنُ الوَليـــدِ الَّـــذي لَـــهُ ... يَمـــينٌ بِهـــا الإِمحـــالُ وَالفَقـــرُ يُطـــرَدُ

يَجـــودُ وَإِن لَـــم تَرتَحِـــل يـــا اِبـــنَ غالِـــبٍ ... إِلَيـــــهِ وَإِن لا قَيتَـــــهُ فَهـــــوَ أَجـــــوَدُ

مِـــنَ النيـــلِ إِذ عَـــمَّ المَنـــارَ غُثـــاؤُهُ ... وَمَـــن يَأتِـــهِ مِـــن راغِـــبٍ فَهـــوَ أَســـعَدُ

فَـــإِنَّ اِرتِـــدادَ الهَـــمَّ عَجـــزٌ عَلـــى الفَتـــى ... عَلَيـــــهِ كَمـــــا رُدَّ البَعيـــــرُ المُقَيَّـــــدُ

وَلا خَيـــرَ فـــي هَـــمٍّ إِذا لَـــم يَكُـــن لَـــهُ ... زَمـــاعٌ وَحَبـــلٌ لِلصَـــريمَةِ مُحصَـــدُ

جَـرى اِبـنُ أَبـي العاصـي فَـأَحرَزَ غايَـةً ... إِذا أَحـــرِزَت مَـــن نالَهـــا فَهـــوَ أَمجَـــد

وَكـــانَ إِذا اِحمَـــرَّ الشِـــتاءُ جِفانُـــهُ ... جِفـــانٌ إِلَيهـــا بـــادِئونَ وَعُـــوَّدُ

لَهُـــم طُـــرُقٌ أَقـــدامُهُم قَـــد عَرَفنَهـــا ... إِلَـــيهِم وَأَيـــديهِم مِـــنَ الشَـــحمِ جُمَّـــدُ

وَمـــا مِـــن حَنيـــفٍ آلَ مَـــروانَ مُســـلِمٍ ... وَلا غَيـــــرِهِ إِلّا عَلَيـــــهِ لَكُـــــم يَـــــدُ

إِذا عَـــدَّ قَـــومٌ مَجـــدَهُم وَبُيـــوتَهُم ... فَضَـــلتُم إِذا مـــا أَكـــرَمُ النـــاسِ عُـــدِّدوا[1]

هذه الأبيات فيها توظيف لتقنيتي السرد والحوار ، والحوار فن ينسب إلى القصة فإذا وظف في الشعر أعطاه مسحة من جمال تشد السامع وتجعله يتابع الحوار لما فيه من تشويق ومتعة.

والحوار هنا يمكن أن يكون خيالياً بينه وبين ناقته ويمكن أن يكون صراعا داخليا بينه وبين نفسه فإذا قلنا إنه من باب الصراع الداخلي فإن هذا يقودنا إلى تتبع هذه التقنية في شعر الفرزدق وغيره من الشعراء القدامى لنؤسس لهذا الفن ونستخرج فنياته خاصة وأن التأثر الكبير بالآداب الأخرى لم يبلغ ذروته في عصر الفرزدق مما يجعل توظيف الصراع الداخلي في الشعر من المبتكرات العربية.

1- ديوان الفرزدق ص136

2/ **أيوب بن سليمان بن عبد الملك**[1] :

قال فيه الفرزدق : (الطويل)

أتَصرِفُ عَن لَيلى بِنا أم تَزورُها ... وَما صُرمُ لَيلى بَعدَ ما ماتَ زيرُها

فَإِن يَكُ واراهُ التُرابُ فَرُبَّما ... تَجَرَّعَ مِنّي غَصَّةً لا يُحيرُها

أَلا لِيَلُم مَن ضَنَّ بِالمالِ نَفسَهُ ... إِذا ضِبرِمٌ بانَت بِلَيلٍ خُدورُها

أَلا رُبَّما إِن حالَ لُقمانَ دونَها ... تَرَبَّعَ بَينَ الأَروَتَينِ[2] أَميرُها

مُقابَلَةَ الثاياتِ ثاياتِ ضابِئٍ ... مَراتِعَ مِنها لا تُعَدُّ شُهورُها

بِصَحراءَ مِكماءٍ تُرَدُّ جُناتُها ... إِلَيها الجَنى في ثَوبِ مَن يَستَثيرُها

إِذا هِيَ حَلَّت في خُزاعَةَ وَانتَوَت ... بِها نِيَّةٌ زَوراءُ عَمَّن يَزورُها

فَرُبَّ رَبيعٍ بِالبَلاليقِ قَد رَعَت ... بِمَستَنِّ أَغياثٍ بِعاقٍ ذُكورُها

تَحَدَّرَ قَبلَ النَجمِ مِمّا أَمامَهُ ... مِنَ الدَلوِ وَالأَشراطِ يَجري غَديرُها

وَرَحلٍ حَمَلنا خَلفَ رَحلٍ وَناقَةٍ ... تَرَكنا بِعَطشى لا يُزَجّى حَسيرُها

تَرَكنا عَلَيها الذِئبَ يَلطُمُ عَينَهُ ... نَهاراً بِزَوراءِ الفَلاةِ نُسورُها

وَلَمّا بَلَغنا الجَهدَ مِن ماجِداتِها ... وَبَيَّنَ مِن أَنسابِهِنَّ شَجيرُها

تَجَرَّدَ مِنها كُلُّ صَهباءَ حُرَّةٍ ... لِعَوهَجَ أَو لِلداعِرِيَّ عَصيرُها

مَشى بَعدَما لا مُخَّ فيها بِآدِها ... نَجابَةُ جَدَّيها بِها وَضَريرُها

يَرُدُّ عَلى خَيشومِها مِن ضَجاجِها ... لَها بَعدَ جَذبٍ بِالخَشاشِ جَريرُها

وَمَحذُوَّةٍ بَينَ الحِذاءَ الَّذي لَها ... وَبَينَ الحَصى نَعلاً مُرِشّاً بَصيرُها

طَوَت رِحمَها مِنهُنَّ كُلُّ نَجيبَةٍ ... مِنَ الماءِ وَالتَفَّت عَلَيهِ سُتورُها[3]

يبدأ أبيات مدحته بغزل خفيف ثم يصف رحلته وحال أصحابه وحال النوق مسترسلا في الوصف على سجيته كما تحدرت لغته البدوية فكل شيء في الطريق يمكن وصفه بمفردات غاية في الروعة ومن ذلك :

تَرَكنا عَلَيها الذِئبَ يَلطُمُ عَينَهُ ... نَهاراً بِزَوراءِ الفَلاةِ نُسورُها

انظر إلى هذه الصورة التي يختبط فيها الذئب وهو من بنات الليل والنسر وهو من بنات النهار يختبطان نهاراً على ما تركه الفرزدق وصحبه من بقايا.

مَشى بَعدَما لا مُخَّ فيها بِآدِها ... نَجابَةُ جَدَّيها بِها وَضَريرُها

1- أيوب بن سليمان بن عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي, ولي غزو الصائفة, وكان أبوه قدرشحه لولاية العهد فمات في حياة أبيه, بايع سليمان ابنه في يوم الفطرسنة ست وتسعين وتوفي أيوب يوم السبت, وقيل سنة ثمان وتسغين. (مختصرتاريخ دمشق 119/5)

2- الأروتين: الأروة : الأرض وقد ثناها للشعر. السابق ص216

3- ديوان الفرزدق ص 216

وهذه صورة أخرى وهي أن النوق بعد أن فقدت مخ ساقيها ما زالت سائرة والسبب أنها كريمة الجدين من أصول كريمة ولولا ذلك لطاحت على الأرض بلا حراك انظر كيف صور هذا المعنى بهذا الإبداع في البيت:

أَتَينـــاكَ مِـــن أَرضٍ تَمـــوتُ رِياحُهـــا وَبِالصَـــيفِ لا يُلفـــى دَليـــلٌ يَطورُهـــا
مِـنَ الرَمـلِ رَمـلِ الحَـوشِ يَهلِـكُ دونَـهُ رَواحُ شَـــمالٍ نَيـــرَجٍ[1] وَبُكورُهـــا
قَضَـت نـاقَتي مـا كُنـتُ كَلَّفـتُ نَحبَهـا مِـنَ الهَـمِّ وَالحـاجِ البَعيـدِ نَعورُهـا
إِذا هِـيَ أَدَّتنـي إِلـى حَيـثُ تَلتَقـي طَوالِـبُ حاجـاتٍ بَعيـدٍ مَسـيرُها
إِلـى المُصـطَفى بَعـدَ الـوَلِيِّ الّـذي لَـهُ عَلى الناسِ نُعمى يَملَءُ الأَرضَ نورُها
وَكَـم مِـن صُـعودٍ دونَهـا قَـد مَشـيتُها وَهابِطَـــةٍ أَخـــرى يُقـــادُ بَعيرُهـــا
وَما أَمَرَتني النَفسُ في رِحلَةٍ لَها فَيَـــأمُرَني إِلّا إِلَيـــكَ ضَـــميرُها
وَلَـم تَـدنُ حَتّـى قُلـتُ لِلرَكـبِ إِنَّكُـم لَآتـونَ عَـينَ الشَـمسِ حَيـثُ تَغورُهـا
فَلَمّـــا بَلَغنـــا أَرجَـــعَ اللَهُ رِحلَتـــي وَشُـــقَّت لَنـــا كَـــفٌّ تَفـــيضُ بُحورُهـــا
نَزَلنـــا بِـــأَيّوبٍ وَلَـــم نَـــرَ مِثلَـــهُ إِذا الأَرضُ بِالنـاسِ اِقشَـعَرَّت ظُهورُهـا
أَشَـدَّ قُـوى حَبـلٍ لِمَـن يَسـتَجيرُهُ وَأَطـوَلَ إِذ شَـرُّ الحِبـالِ قَصـيرُها
جَعَلـتَ لَنـا لِلعَـدلِ بَعـدَكَ ضـامِناً إِذا أَمَّـةٌ لَـم يُعـطِ عَـدلاً أَميرُهـا
أَقَمـتَ بِـهِ الأَعنـاقَ بَعـدَكَ فَاِنتَهَـت إِلَيـكَ بِأَيـدي المُسـلِمينَ مُشـيرُها

وكما قلت سابقاً فإن الفرزدق في مدحته هذه كان صافي النفس فخرجت كلماته يكسوها الجمال وحسن الرونق بادية حليتها مستترة ضمائرها وهاهنا يمدح الأمير بالجود ولنأخذ بعض الجماليات من أبياته.

وَمـــا أَمَرَتنـــي الـــنَفسُ فـــي رِحلَـــةٍ لَهـــا فَيَـــــأمُرَني إِلّا إِلَيـــــكَ ضَـــــميرُها

استخدم الاستثناء بعد النفي ليقصر كل حاجته المضمرة على الأمير فلا تتشوف نفسه إلى غيره فالنفس تحرك للرحلة والضمير يوجه للأمير الممدوح.

نَزَلنـــا بِـــأَيّوبٍ وَلَـــم نَـــرَ مِثلَـــهُ إِذا الأَرضُ بِالنـــاسِ اِقشَـــعَرَّت ظُهورُهـــا

انظر كيف وصف جدب الأرض وصفا يقشعر له جلد السامع وهو يقول إن الممدوح لم ير مثله مجيراً في حال الفقر والجدب والجوع.

1- النيرج : الرياح العاصفة / ديوان الفرزدق ص217

3/ "**العباس بن الوليد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم**, أبو الحارث ويقال أبو الوليد الأموي, فارس سخي شجاع, يقال له : فارس بني مروان, فتح حصونا كثيرة من بلاد الروم, وله مواقف وحروب وغزوات وفتوحات, مات العباس بن الوليد في سجن مروان بن محمد "[1]

قال فيه الفرزدق: (البسيط)

كَـمْ للمُـلاءَةِ مِـنْ طَيْـفٍ يُـؤرّقُني ... وَقَـد تجَـرْثمَ هـادي اللّيـلِ وَاعتكَـرَا
وَقَـدْ أكَلّـفُ هَمّـي كُـلَّ نَاجِيَـةٍ، ... قَـد غـادَرَ الـنّصُّ فـي أبصَـارِها سَـدَرَا
كَأنّهَـا بَعْـدَمَا انْضَـمّتْ ثَمائِلُهـا ... بـرَأسِ بَيْنَـةَ فَـرْدٌ أخْطَـأ البَقَـرَا
حَتـى تُنَـاخَ إلـى جَـزْلٍ مَوَاهِبُـهُ، ... مَـا زَالَ مِـن رَاحَتَيـهِ الخيـرُ مُبتَـدَرَا
قَـرْم يُبَـارى شَـماطيطُ الرّيَـاحِ بِـهِ ... حَتـى تَقَطّـعَ أنْفَاسـاً وَمَـا فَتَـرَا
وَمَـا بجُـودِ أبـي الأشْـبَالِ مـن شَـبَهٍ ... إلاّ السّـحَابُ وَإلاّ البَحـرُ إذ زَخَـرَا
كِلْتـا يَدَيْـهِ يَمـينٌ غَيـرُ مُخْلِفَـةٍ، ... تُزْجـي المَنَايَـا وَتَسقي المُجدبَ المطـرَا[2]

بدأ بالغزل ثم ذكر ناقته وبعد ذلك مدح الأمير بأنه بحر وسحاب وهي أوصاف تقليدية ولكنه وظف ثقافته الدينية في قوله (كِلْتا يَدَيْهِ يَمينٌ غَيرُ مُخْلِفَةٍ،) فقد وردت هذه الكلمة في حديث يصف فيه الرسول ‘ الله عز وجل « إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل وكلتا يديه يمين الذين يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا ».[3]

ومما قاله أيضا :

إن تُـذعَرِ الـوَحشُ مِـن رَأسـي وَلِمَّتِـهِ ... فَقَـد أصـيدُ بِهـا الغِـزلانَ وَالبَقَـرا
قُلـتُ لِمَـوتى وَخـوصٍ إذ وَقَعـنَ بِهِـم ... يَصـرِفنَ جَهـداً وَلَـم تَسـتَطعِمِ الجِـرَرا
إنَّ النَـدى وَيَـدَ العَبّـاسِ فَـارتَحِلوا ... مِثـلُ الفُـراتِ إذا مـا مَوجُـهُ زَخَـرا
إن تَبلُغـوهُ تَكونـوا مِثـلَ مُنتَجِـعٍ ... غَيثـاً يَمُـجُّ ثَـآهُ المـاءَ وَالزَهَـرا
إلَيـكَ أرحِلَـتِ الأحقـابُ وَاختَلَطَـت ... بِهـا الغُـروضُ وَلاقـى الأعـيُنُ السَـهَرا
وَمـا جَلَـونَ لَنـا عَينـاً فَنُطعِمَهـا ... بِـالنَومِ إلّا مَـعَ الإصـباحِ إذ حَشَـرا
إذ وَقَعَـت كَوُقـوعِ الطَيـرِ وَانجَـدَلَت ... رُكبانُهـا حـينَ لاقـى الأزرُعُ القَصَـرا
مِثـلَ الجَـراثيمِ مَـوتى حـينَ حَـلَّ بِهِـم ... طـولُ السُـرى رَكِبـوا أعضـادَها اليُسُـرا
إنَّ أبـا الحـارِثِ العَبّـاسِ نائِلُـهُ ... مِثـلُ السِـماكِ الّـذي لا يُخلِـفُ المَطَـرا
يَـداهُ هَـذي حَيـاً لِلنـاسِ يَعصِـمُهُم ... وَيَجعَـلُ اللهُ فـي الأخـرى لَـهُ الظَفَـرا

1- ابن عساكر, مختصرتاريخ دمشق,تحقيق رومية النحاس,دار الفكر,دمشق,ط1, 1402هـ (12/ 10)
2 - ديوان الفرزدق ص196
3- أخرجه مسلم في كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل حديث رقم (4825)

يـــا أكـــرَمَ النـــاسِ إذ هَـــزّوا عَـــوالِيَهُم ... وَأطيَـبَ النـاسِ عِنـدَ الخُبـرِ مُعتَصَـرا
إنّـــي سَـــمِعتُ بِجَـــيشٍ أَنـــتَ قائِـــدُهُ ... وَوَقعَـــةٍ رَفَعَـــت أَيّامُهـــا مُضَـــرا
لَمّـا اِلتَقـى النـاسُ يَـومَ البَـأسِ كُنـتَ لَهُـم ... ضَـوءًا وَمِـردى حُـروبٍ يَهـدِمُ الحَجَـرا
وَأَنـتَ وَالنـاسُ يَـومَ البَـأسِ قَـد عَلِمـوا ... كَالنـارِ حـينَ أَطـارَ الجـاحِمُ الشَـرَرا
وَلَـــو لَقيـــتَ الّـــذي تُكنـــى بِكُنيَتِـــهِ ... فَاِسـطاعَ مِنـكَ أَبـا الأَشـبالِ لَاِنجَحَـرا
يـا اِبـنَ الخَلائِـفِ إِنَّ الخَيـلَ قَـد عَلِمَـت ... إِذا أَثـــارَت عَلـــى أَبطالِهـــا القَتَـــرا
أَنَّـــكَ أَوَّلُهُـــم طَعنـــاً وَأَعطَفُهُـــم ... وَراءَ مُرهَـــقِ أَخـــراهُم إِذا جَـــأَرا
وَصـابِرٍ بِـكَ لَـولا مـا رَأى صَـنَعَت ... يَـداكَ بِالخَيـلِ وَالأَبطـالِ مـا صَـبَرا
إِنَّ الوَليـــدَ أَبـــا العَبّـــاسِ أَورَثَـــهُ ... مِـنَ المَكـارِمِ مِنهـا الـرُجَّحُ الكُبَـرا
وَجَفنَـةً مِثـلَ حَـوضِ البِئـرِ مُترَعَـةً ... تَطـرُدُ عَمَّـن أَتاهـا الجـوعَ وَالخَصَـرا
جَوفـــاءَ شـــيزِيَّةً مَـــلأى مُكَلَّلَـــةً ... مِـنَ السَـنامِ تَـرى مِـن حَولِهـا عَكَـرا
مِـنَ الرِجـالِ وَأَيفـاعٍ قَـدِ اِحتُمِلـوا ... مُـؤَزَّرينَ وَمِثـلَ الـبَهمِ مـا اِتَّـزَرا
كِلاهُمـــا مُشـــبَعٌ رَيّـــانُ وارِدُهُ ... الأَيّبـــونَ إِلَيهـــا وَالّـــذي بَكَـــرا
إِنَّ النَـدى صـاحِبَ العَبّـاسِ حالَفَـهُ ... وَالجـودَ هُـم إِخـوَةٌ قَـد أَغرَقـوا البَشَـرا
حَثيـــاً بِأَيـــديهِمِ المَعـــروفَ نائِلُـــهُ ... تَفتُـرُ عَنـهُ الصَـبا وَالجـودُ مـا فَتَـرا
إِنّـــا أَتَينـــاكَ إِذ حَلّـــت بِســـاحَتِنا ... مِـنَ السِـنينَ عَضـوضٌ تَفلِـقُ الحَجَـرا
مُنتَجِعيـكَ اِنتِجـاعَ الغَيـثِ إِذ وَقَعَـت ... أَشـراطُهُ بِحَيـاً يُحيِـي بِـهِ الشَـجَرا
إِنّـا وَإِيّـاكَ كَالـدَلوِ الّتـي وَقَعَـت ... عَلـى يَـدَي مـائِحٍ بِالحَمـدِ مـا شَـعَرا
مِـن مـاتِحٍ لَـم يَجِـد دَلـواً فَيورِدَهـا ... عَلَيـهِ إِلّا مِـنَ الحَمـدِ الّـذي ظَهَـرا
يـا اِبـنَ الوَليـدِ أَلَـيسَ النـاسُ قَـد عَلِمـوا ... أَنَّـكَ وَالسَـيفَ إِسـلامٌ لِمَـن كَفَـرا
مِـن نـازِعٍ طاعَـةً حَتّـى تَكـونَ لَـهُ ... بَعـدَ العَمـى مِـن فُـؤادٍ ناكِـثٍ بَصَـرا
لَأَمـــدَحَنَّكَ مَـــدحاً لا يُوازِنُـــهُ ... مَـدحٌ إِذا أَنشَـدَ الـراوي بِـهِ هَـدَرا
وَالقَـومُ لَـو بـادَروكَ المَجـدَ لَاِعتَرَفـوا ... عَلَـيهِمُ فـي يَـدَيكَ الشَـمسَ وَالقَمَـرا
مـا اِقتَسَـمَ النـاسُ مِـن ميـراثِ مُقتَسَـمٍ ... عِنـدَ التُـراثِ إِذا فـي قَبـرِهِ اِنحَـدَرا
مِثـلَ تُـراثِ أَبـي العَبّـاسِ أَورَثَـهُ ... مِـنَ الطِعـانِ وَبَـينَ الأَعـيُنِ الغُـرَرا
وَالعَـبطُ لِلنيـبِ حَتّـى لا تَهُـبَّ لَهـا ... ريـحٌ وَيَقتُـلُ بِالمَأدومَـةِ القِـرَرا
يـا اِبـنَ السَـوابِقِ إِن مَـدّوا إِلـى حَسَـبٍ ... وَالأَعظَمـينَ إِذا مـا خـاطَروا خَطَـرا
وَالغـابِقينَ مِـنَ المَحضَـينِ جـارَتَهُم ... وَالزائِـديها إِلـى اِسـتِحيائِها خَفَـرا
وَلَـيسَ مَتبِـعَ مَعـروفٍ تَنـولُ بِـهِ ... يَـداهُ مَنّـاً إِذا أَعطـى وَلا كَـدَرا

1- ديوان الفرزدق ص297

هذه من أجمل وأطول الممادح التي مدح بها أمير وقد مدح الفرزدق مدحته فقال:

لَأَمـــــدَحَنَّكَ مَـــــدحاً لا يُوازِنُـــــهُ مَـــــدحٌ إذا أَنشَـــــدَ الـــــراوي بِـــــهِ هَـــــدَرا

فهو أعرف بشعره ويعلم جيده وما هو دون ذلك وهو يمدحه بالشجاعة والكرم والأصالة وأخيراً ينزهه عن المن بالعطية وهي سجية كريمة قل أن يتصف بها أحد:

وَلَـــيسَ مَتبِـــعَ مَعـــروفٍ تَنـــولُ بِـــهِ يَـــداهُ مَنّـــاً إذا أعطـــى وَلا كَـــدَرا

ومماقاله أيضا : (الطويل)

لَقَـد كُنـتُ أحيانـاً صَـبوراً فَهـاجَني مَشـاعِفَ بِالـدَيرَينِ رُجـحُ الـرَوادِفِ
نَـواعِمُ لَـم يَـدرينَ مـا أَهـلُ صِـرمَةٍ عِجـافٍ وَلَـم يَتـبَعنَ أَحمـالَ قـائِفِ
وَلَـم يَـدَّلِج لَـيلاً بِهِـنَّ مُعَـزِّبٌ شَـقِيٌّ وَلَـم يَسـمَعنَ صَـوتَ العَـوازِفِ
وَقُلـنَ لِلَيلـى حَـدِّثينا فَلَـم تَكَـد تَقـولُ بِـأَدنى صَـوتِها المُتَهـانِفِ
رَواعِـفُ بِالجـادِيِّ كُـلَّ عَشِـيَّةٍ ذا سُـفنَهُ سَـوفَ الهِجـانِ الرَواشِـفِ
بَنـاتُ نَعـيمٍ زانَهـا العَـيشُ وَالغِنـى يَمِلـنَ إذا مـا قُمـنَ مِثـلَ الأَحـاقِفِ
تَبَـيَّن خَليلـي هَـل تَـرى مِـن ظَعـائِنٍ لِمَيَّـةَ أَمثـالِ النَخيـلِ المَخـارِفِ
تَواضَـعُ حَتّـى يَـأتِيَ الآلُ دونَهـا مِـراراً وَتَزهاهـا الضُـحى بِالأَصـالِفِ
إذا عَرَضَـت مَـرَّت عَلـى اللُـجِّ جارِيـاً خـالُ بِهـا مَـرُّ السَـفينِ النَواصِـفِ
يَجـورُ بِهـا المَـلّاحُ ثُـمَّ يُقيمُهـا وَتَحفِزُهـا أَيـدي الرِجـالِ الجَـوازِفِ
إِلَيكَ اِبـنَ خَيـرِ النـاسِ حَمَّلـتُ حـاجَتي عَلـى ضُـمَّرٍ كُلِّفـنَ عَـرضَ السَـنائِفِ
بَنـاتِ المَهـاري الصُـهبِ كُـلِّ نَجيبَـةٍ جُمالِيَّـةٍ تَبـري لِأَعـيَسَ راجِـفِ
يَظَـلُّ الحَصـى مِـن وَقعِهِـنَّ كَأَنَّمـا تَرامـى بِـهِ أَيـدي الأَكُـفِّ الحَـواذِفِ
إذا رَكِبَـت دَوِّيَّـةً مُدلَهِمَّـةً وَصَـوَّتَ حاديهـا لَهـا بِالصَفاصِـفِ
تَغـالَينَ كَالجِنّـانِ حَتّـى تَنوطَـه سُـراها وَمَشـيُ الراسِـمِ المُتَقـاذِفِ
عِتـاقٌ تَغَشَّـتها السُـرى كُـلَّ لَيلَـةٍ وَرُكبانُهـا كَالمَهمَـهِ المُتَجـانِفِ
كَـأَنَّ عَصـيرِ الزَيـتِ مِمّـا تَكَلَّفَـت تَحَلَّـبَ مِـن أَعناقِهـا وَالسَـوالِفِ
وَكَـم مِـن كَـريمٍ يَشـتَكي ضَـعفَ عَظمِـهِ أَقَمـتَ لَـهُ مـا يَشـتَكي بِالسَـقائِفِ
وَآمَنتَـهُ مِمّـا يَخـافُ إذا أَوى إِلَيـكَ فَأَمسـى آمِنـاً غَيـرَ خـائِفِ
وَأَنـتَ غِيـاثُ المُحِلـينَ إذا شَـتَوا وَنـورُ هُـدىً يـا اِبـنَ المُلـوكِ الغَطـارِفِ
ثَنـائي عَلـى العَبّـاسِ أَكـرَمِ مَـن مَشـى إذا رَكِبـوا ثُـمَّ اِلتَقـوا بِـالمَواقِفِ
تَـراهُم إذا لاقـاهُمُ يَـومَ مَشـهَدٍ يَغُضّـونَ أَطـرافَ العُيـونِ الطَـوارِفِ
وَمـا وَلَـدَت أُنثـى مِـنَ النـاسِ مِثلَـهُ وَلا لَفَّـهُ أَظـآرُهُ فـي اللَفـائِفِ

وَلَمّا دَعا الداعونَ وَاِنشَقَّتِ العَصا ... وَلَم تَخبُ نيرانُ العَدُوِّ المُقاذِفِ

فَزِعنا إِلى العَبّاسِ مِن خَوفِ فِتنَةٍ ... وَأَنيابِها المُستَقدِماتِ الصَوارِفِ

وَكَم مِن عَوانٍ فَيلَقٍ قَد أَبَرتَها ... بِأُخرى إِلَيها بِالخَميسِ المُراجِفِ

فَقَد أَوقَعَ العَبّاسُ إِذ صارَ وَقعَةً ... نَهَت كُلَّ ذي ضِغنٍ وَداءٍ مُقارِفِ

وَأَغنَيتَ مَن لَم يَغنَ مِن أَبطَأِ السُرى ... وَقَوَّمتَ دَرءَ الأَزوَرِ المُتَجانِفِ

وَأَنتَ الَّذي يُخشى وَيُرمى بِكَ العِدى ... إِذا أَحجَمَت خَيلُ الجِيادِ المَخالِفِ

سَمَوتَ فَلَم تَترُك عَلى الأَرضِ ناكِثاً ... وَآمَنتَ مِن أَحيائِنا كُلَّ خائِفِ

أَبَرتَ زُحوفَ المُلحِدينَ وَكِدتَهُم ... بِمُستَنصِرٍ يَتلو كِتابَ المَصاحِفِ

تَأَخَّرَ أَقوامٌ وَأَسرَعتَ لِلَّتي ... تُغَلِّلُ نُشّابَ الكَمِيِّ المُزاحِفِ

وَأَنتَ إِلى الأَعداءِ أَوَّلُ فارِسٍ ... هُناكَ وَوَقّافٌ كَريمُ المَواقِفِ

بِضَربٍ يَزيلُ الهامَ عَن مُستَقَرِّهِ ... وَطَعنٍ بِأَطرافِ الرِماحِ الجَوائِفِ

سَبَقتَ بِأَهلِ الكوفَةِ المَوتَ بَعدَما ... أَريدَ بِإِحدى المُهلِكاتِ الجَوالِفِ

فَلَم يُغنِ مَن في القَصرِ شَيئاً وَصَيَّحوا ... إِلَيكَ بِأَصواتِ النِساءِ الهَواتِفِ

أَخو الحَربِ يَمشي طاوِياً ثُمَّ يَقتَدي ... مُدِلّاً بِفُرسانِ الجِيادِ المَتالِفِ

يُغادِرنَ صَرعى مِن صَناديدَ بَينَها ... بِسوراءَ في إِجرائِها وَالمَزاحِفِ

وَما طَعِمَت مِن مَشرَبٍ مُذ سَقَيتَها ... بِتَدمُرَ إِلّا مَرَّةً بِالشَفائِفِ[1]

يبدو أن العباس بن الوليد له مكانة خاصة عند الفرزدق فقد كانت أطول القصائد في مدحه وأكثرها صوراً جمالية والسبب في ذلك أنه كان قائد جيش إلى الكوفة أخمد فتنتها وظهرت شجاعته وحنكته الحربية فيها والفرزدق كسائر الأعراب يحبون القائد الشجاع القوي الباطش بأعدائه الكريم مع أصفيائه ولنأخذ بعض الصور:

فَزِعنا إِلى العَبّاسِ مِن خَوفِ فِتنَةٍ ... وَأَنيابِها المُستَقدِماتِ الصَوارِفِ

يصف الفتنة بوصف مخيف فهي تشبه حيواناً خرافياً ذا أنياب والمفزع منه كان العباس فهو كهف الخائفين.

أَنتَ إِلى الأَعداءِ أَوَّلُ فارِسٍ ... هُناكَ وَوَقّافٌ كَريمُ المَواقِفِ

جمع له الشجاعة وكرم النفس في بيت واحد وهما عنوان الأصالة والسؤدد.

معاوية بن هشام

1- ديوان الفرزدق ص 374

"معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان، أبو شاكر: جد أمراء الأندلس من بني أمية.كان أنبل أولاد أبيه: جواداً غازياً ممدحاً. ولي الغزو مرات. وتوفى في حياة أبيه."1

قال فيه الفرزدق: (الكامل)

أَبلِـــغ مُعاوِيَـــةَ الّـــذي بِيَمينِـــهِ ... أَمـــرُ العِـــراقِ وَأَمـــرُ كُـــلِّ شَـــآمِ
إِنَّ الهُمـــومَ وَجَـــدتَها حـــينَ اِلتَقَـــت ... فـــي الصَـــدرِ طـــارِقِهُنَّ غَيـــرُ نِيـــامِ
يَســـهَرنَ مَـــن طَـــرَقَ الهُمـــومُ فُـــؤادَهُ ... وَيَـــرومُ وارِدُهُـــنَّ كُـــلَّ مَـــرامِ
يَـــأمُرنَني بِنَـــدى مُعاوِيَـــةَ الّـــذي ... قـــادَ اِبـــنُ خَمسَـــتِهِ لِكُـــلِّ لُهـــامِ
أَو يَســـتَقيمَ إِلـــى أَبيـــهِ فَإِنَّـــهُ ... ضَـــوءُ النَهـــارِ جَـــلا دُجـــى الأَظـــلامِ
غَمَـــرَ الخَلائِـــفَ قَبلَـــهُ وَهُـــوَ الّـــذي ... قَتَـــلَ النِفـــاقَ أَبـــوهُ بِالإِســـلامِ
وَرِثـــوا تُـــراثَ مُحَمَّـــدٍ كـــانوا بِـــهِ ... أَولـــى وَكـــانَ لَهُـــم مِـــنَ الأَقســـامِ
لَمّـــا تُخوصِـــمَ فـــي الخِلافَـــةِ بِالقَنـــا ... وَبِكُـــلِّ مُختَضَـــبِ الحَديـــدِ حُســـامِ
كانَـــت خِلافَتُهـــا لِآلِ مُحَمَّـــدٍ ... لِأَبـــي الوَليـــدِ تُراثُهـــا وَهِشـــامِ
أَخلِـــص دُعـــاءَكَ تَـــنجُ مِمّـــا تَتَّقـــي ... لِلَّهِ يَـــومَ لِقائِـــهِ بِسَـــلامِ
وَهُـــوَ الّـــذي اِبتَـــدَعَ السَـــماءَ وَأَرضَـــها ... وَرَســـولَهُ وَخَليفَـــةَ الآنـــامِ
مَلِـــكٌ بِـــهِ قُصِـــمَ المُلـــوكُ وَعِنـــدَهُ ... عِلـــمُ الغُيـــوبِ وَوَقـــتُ كُـــلِّ حِمـــامِ
أَرجـــو الـــدُعاءَ مِـــنَ الّـــذي تَـــلَّ اِبنَـــهُ ... لِجَبينِـــهِ فَفَـــداهُ ذو الإِنعـــامِ
إِســـحاقُ حَيـــثُ يَقـــولُ لَمّـــا هابَـــهُ ... لِأَبيـــهِ حَيـــثُ رَأى مِـــنَ الأَحـــلامِ
أَمضـــي وَصَـــدِّق مـــا أُمِـــرتَ فَـــإِنَّني ... بِالصَـــبرِ مُحتَسِـــباً لِخَيـــرُ غُـــلامِ
إِنَّ المُبـــارَكَ كـــانَ حَيـــثُ جَعَلتَـــهُ ... غَيـــثَ الفَقيـــرِ وَنـــاعِشَ الأَيتـــامِ
وَلَـــتَعلَمَنَّ مَـــنِ الكَـــذوبُ إِذا اِلتَقَـــى ... عِنـــدَ الإِمـــامِ كَلامُهُـــم وَكَلامـــي
قـــالَ الّـــذي يَـــروي عَلَـــيَّ كَلامَهُـــم ... الطارِحـــاتِ بِـــهِ عَلـــى الأَقـــدامِ
هَـــل يَنتَهـــي زَجَـــلٌ وَلَـــم تَعمِـــد لَـــهُ ... مِثـــلَ الّـــذي وَقَعَـــت بِـــذي الأَهـــدامِ
شَـــنعاءُ جادِعَـــةُ الأَنـــوفِ مُذِلَّـــةٌ ... كانَـــت لَـــهُ نَزَلَـــت بِكُـــلِّ غَـــرامِ(2)

يشكو همومه للأمير وفي غضون ذلك يمدحه بممادح جمة ومكارم كثيرة من جود وكرم وأصالة وسؤدد وشجاعة يتوسل إلى كل ذلك بثقافة دينية وعلم بالأنساب ولغة جزلة لنمثل لجمالياتها ببعض الأمثلة:

غَمَـــرَ الخَلائِـــفَ قَبلَـــهُ وَهُـــوَ الّـــذي ... قَتَـــلَ النِفـــاقَ أَبـــوهُ بِالإِســـلامِ

1- الزركلي,خيرالدين محمود, الأعلام, دارالعلم للملايين,ط15, 2002م, (263/7)
2- ديوان الفرزدق ص 592

لكثرة فضائله صار الخلفاء قبله كالمغمورين ثم انظر استخدام الفعل قتل في معنى المحو والإزالة في استعارة تشع بالجمال.

أَرجـــو الـــدُعاءَ مِـــنَ الّـــذي تَـــلَّ اِبنَـــهُ لِجَبينِـــــــــهِ فَفَـــــــــداهُ ذو الإنعـــــــــامِ

هنا توظيف للثقافة الإسلامية فالذي تل ابنه هو إبراهيم عليه السلام لكنه يختار قول من قال أن الذبيح هو إسحاق بينما الأكثرين على أنه إسماعيل, ويختم مدحته في الرد على الوشاة الذين وشوا به إلى الأمير فيقول:

وَلَـــــتَعلَمَنَّ مَـــــنِ الكَـــــذوبُ إِذا اِلتَقَـــــى عِنـــــدَ الإِمـــــامِ كَلامُهُـــــم وَكَلامـــــي

الخلاصة أن الأمير في نظر الفرزدق هو جزء من المنظومة الكبرى وهي الخلافة الإسلامية الأموية ينتمي إلى آباء صدق وأمهات مغرقات في النسب الطيب فكان نتيجة ذلك أن يكون الأمير شجاعاً كريماً سخيّ النفس مانعاً لما وراء ظهره مع كونه حسن الطلعة وسيما حسن الجوار يحب المدح ويطرب له.

صورة الولاة

عاش الفرزدق في دولة بني أمية ،وهي الدولة التي تمثل أول ملك عضوض في بواكير تاريخ الإسلام ،وفيها بدأ التلاقح الحضاري بين الإسلام والحضارات الأخرى بأخذ النظم السياسية والإدارية والمالية والاجتماعية التي لا تتنافى مع روح الإسلام، وقد ازدهر الأدب في دولة بني أمية بسبب الاستقرار ،وزيادة دخل الفرد ،وما طرأ على الحياة من التأنق والحضارة ،وكان الشعر سيد الساحة الأدبية.

طرق الشعر أغراضاً متعددة منها القديم ومنها الجديد ،ومن تلك الأغراض التي سلكها الشعراء مدح الخلفاء والولاة والقادة من أجل الرفد والاستجداء تارة، ومن أجل الإعجاب بهم وبسيرهم تارة أخرى، والفرزدق لم يكن بدعاً من شعراء زمانه ؛فقد مدح الخلفاء والولاة والقادة من بني أمية بالرغم من ميله إلى شيعة آل البيت وحبهم بيد أنه لم يكن رافضياً، وقصيدته في مدح علي بن الحسين زين العابدين مشهورة ومعروفة.

كان الولاة يمثلون حكومات مصغرة في نطاق ولاياتهم لهم مطلق الحرية في التصرف مع الرجوع إلى المركز في المسائل الكبيرة ولذلك كثرت أموالهم وبنوا القصور ووفد إليهم الشعراء يمدحونهم وصاروا يمدون الشعراء بالأموال والإقطاعات كان مدحهم يدور حول محوري الشجاعة والكرم اللذين يقدسهما العربي في جاهليته وإسلامه ومن الذين مدحهم الفرزدق من الولاة:

1. **أسد بن عبد الله القسري[1] (والي خراسان) ومماقاله فيه: الطويل**

وَأَرعَـــنَ[2] جَـــرّارٍ إذا مـــا تَطَلَّقَـــت كَتائِبُـــهُ خَـــرَّت لَـــهُ الجِـــنُّ سُـــجَّدا
لَـــهُ كَوكَـــبٌ تَعشـــى بِـــهِ الشَمسُ واضِـــحاً تَـــرى فيـــهِ أَبنـــاءَ المَنِيَّـــةِ رُوَّدا
يَقـــودُ أَبـــو الأَشـــبالِ رَيعـــانَ خَيلِـــهِ بِـــدارِ المَنايـــا بادِيـــاتٍ وَعُـــوَّدا
علـــى كُـــلِّ مِـــذعانِ السُـــرى [3]غَيـــرِ مُجمِـــرٍ تُقـــادُ إِلـــى الأَعـــداءِ مَثنـــىً وَمَوحَـــدا[4]

وقول الفرزدق: أبو الأشبال يريد الممدوح، تشبيه بالأسد في شجاعته وثباته وهيبته وهو يقود جيشاً أرعن والأرعن الجيش الجرار الذي تخر له الجن بعظيم خلقها سجداً وهي صورة تبعث الرهبة والخوف وتمنح الممدوح هيبة في أعين من يستمعون إلى هذه القصيدة .

1- أسد بن عبد الله القسري البجلي: أمير، من الأجواد الشجعان. ولد ونشأ في دمشق .وولاه أخوه (خالد بن عبد الله) خراسان سنة 108 هـ فأقام فيها زمناً، وجدد بناء بلخ وأنزل بها جيشه، ثم اختارها لإقامته. وكان دهاقنة الفرس راضين عنه وعن حكمه، وأسلم على يديه سامان (جد السامانيين) وسمى ابنه أسداً، على اسمه. وفي أيامه جاشت الترك بخراسان (سنة 117 هـ وأغاروا حتى أتوا مرو الروذ، فسار إليهم أسد، فكانت له معهم وقائع انتهت بهزيمتهم .توفي في بلخ . (الأعلام للزركلي.دارالعلم للملايين.ط15, 2002 ((298|1))

2- أرعن : الجيش العظيم / ديوان الفرزدق ص132

3- المذعان: السهلة القياد، وهي صفة الناقة المضمرة. السرى: السير ليلاً. السابق ص132

4- ديوان الفرزدق ص 132

وقال فيه أيضاً: الطويل

تَـــزَوَّد فَمـــا نَفـــسٌ بِعامِلَـــةٍ لَهـــا ... إذا مـــا أَتاهـــا بِالمَنايـــا حَديـــدُها
فَيوشِـــكَ نَفـــسٌ أَن تَكـــونَ حَياتُهـــا ... وَإِن مَسَّـــها مَـــوتٌ طَـــويلاً خُلودُهـــا
وَسَـوفَ تَـرى الـنَفسَ الَّتـي اِكتَـدَحَت لَهـا ... إِذا الـــنَفسُ لَـــم تَنطِـــق وَمـــاتَ وَريـــدُها

ويصفه بالكرم والجود فيقول:

وَكَـم لِأَبـي الأَشـبالِ مِـن فَضـلِ نِعمَـةٍ ... بِكَفَّيـــهِ عِنـــدي أَطلَقَتنـــي سُـــعودُها
فَأَصـبَحتُ أَمشـي فَـوقَ رِجلَـيَّ قائِمـاً ... عَلَيهـا وَقَـد كانَـت طَـويلاً قُعودُهـا
وَكَـم يـا اِبـنَ عَبـدِ اللَهِ مِـن فَضـلِ نِعمَـةٍ ... بِكَفَّيـكَ عِنـدي لَـم تُغَيَّـب شُـهودُها

ويصفه بالشجاعة والقوة فيقول :

وَكَـم لَكُـمُ مِـن قُبَّـةٍ قَـد بَنَيـتُمُ ... يَطـولُ عِمـادَ المُبتَنـينَ عِمودُهـا
بَنَتهـا بِأَيـديها بَجيلَـةُ خالِـدٍ ... وَنـالَ بِهـا أَعلـى السَـماءِ يَزيـدُها
وَجَـدتُكُمُ تَعلـونَ كُـلَّ قُبَيلَـةٍ ... إِذا اِعتَـزَّ أَقـرانَ الأُمـورِ شَـديدُها
وَكانَـت إِذا لاقَـت بَجيلَـةُ غـارَةً ... فَمِـنكُم مُحاميهـا وَمِـنكُم عَميـدُها[2]
وَكُنـتُم إِذا عـالى النِسـاءُ ذُيولَهـا ... لِيَسـعَينَ مِـن خَـوفٍ فَمِـنكُم أُسـودُها
وَمـا أَصـبَحَت يَومـاً بَجيلَـةُ خالِـدٍ ... وَإِلّا لَكُـم أَو مِـنكُمُ مَـن يَقودُهـا
إِذا هِـيَ ماسَـت[1] فـي الـدُروعِ وَأَقبَلَـت ... إِلـى البـاسِ مَشـياً لَـم تَجِـد مَـن يَـذودُها
لَعَمـري لَـئِن كانَـت بَجيلَـةُ أَصـبَحَت ... قَـدِ اِهتَضَـمَت [3]أَهـلَ الجُـدودِ جُـدودُها[4]

وإذا كانت الأبيات السابقة تجعل الممدوح يرتجف فرقا وخوفا ففي هذه الأبيات تهدأ النفس, وتنساب اللغة السلسة؛ لأن الكلام عن النعم التي أسداها الممدوح للشاعر والتي كانت سبباً في بعث الأمل في نفسه, وحتى عندما تكلم عن شجاعة قبيلة الممدوح كان النفس هادئاً من أثر العطاء الذي ناله الشاعر من الممدوح. وقال فيه أيضاً: البسيط

كَـم لِلمُـلاعَةِ مِـن طَيـفٍ يُـؤَرِّقُني ... وَقَـد تَجَـرثَمَ هـادي اللَيـلِ وَاِعتَكَـرا
وَقَـد أُكَلِّـفُ هَمّـي كُـلَّ ناجِيَـةٍ ... قَـد غـادَرَ الـنَصُّ فـي أَبصـارِها سَـدَرا
كَأَنَّهـا بَعـدَما اِنضَـمَّت ثَمائِلُهـا ... بِـرَأسِ بَينَـةَ فَـردٌ أَخطَـأَ البَقَـرا
حَتّـى تُنـاخَ إِلـى جَـزلٍ مَواهِبُـهُ ... مـا زالَ مِـن راحَتَيـهِ الخَيـرُ مُبتَـدَرا
قَـرمٌ يُيـارِي شَـماطيطُ الرِيـاحِ بِـهِ ... حَتّـى تَقَطَّـعَ أَنفاسـاً وَمـا فَتَـرا
وَمـا بِجـودِ أَبـي الأَشـبالِ مِـن شَـبَهٍ ... إِلّا السَـحابُ وَإِلّا البَحـرُ إِذ زَخَـرا
كِلتـا يَدَيـهِ يَمـينٌ غَيـرُ مُخلِفَـةٍ ... تُزجـي المَنايـا وَتَسـقي المُجـدَبَ المَطَـرا[5]

1- ماس: الميس والميسان: التبختر.
2- العميد: السيد المعتمد عليه في الأمور أو المعمود إليه.
3 - اهتضمت: هضمه حقه واهتضمه، إذا ظلمه وكسر عليه حقه.
4- ديوان الفرزدق ص 137
5- السابق ص 196

هنا يبدو الممدوح سيداً فحلاً وهو القرم يقف للرياح من أي ناحية هبت ولا يشبه ندى كفيه شيء سوى السحاب الممطر, والبحر الذخار, وقال أيضاً: الطويل

وَطارِقِ لَيلٍ مِن عُلَيَّةَ زارَنا ... وَقَد كادَ عَنّي اللَيلُ يَنفَدُ آخِرُه
فَقُلتُ لَهُ هَذا مَبيتٌ وَعِندَنا ... قِرى طارِقٍ مِنّا قَريبٍ أَواصِرُه
كَريمٍ عَلَينا زارَنا عَن حَنابَةٍ[1] ... بِهِ اللَيلُ إِذ حَلَّت عَلَينا عَساكِرُه
فَباتَ وَبِتنا نَحسِبُ اللَيلَ مُصبِحاً ... بِها عِندَنا حَتّى تَجَرَّمَ غابِرُه
فَلَو لَم تَكُن رُؤياً لَأَصبَحَ عِندَنا ... كَريمٌ مِنَ الأَضيافِ عَفٌّ سَرائِرُه
فَيا لِعِبادِ اللَهِ كَيفَ تَخَيَّلَت ... لَنا باطِلاً لَمّا جَلا اللَيلَ نائِرُه
إِلى أَسَدٍ سيري فَإِنَّ لِقاءَهُ ... حَيا الغَيثِ يُحيي مَيِّتَ الأَرضِ ماطِرُه
إِلَيكَ أَبا الأَشبالِ سارَت وَخاطَرَت ... عَوادِيَ لَيلٍ كانَ تُخشى بَوادِرُه
لِتَلقى أَبا الأَشبالِ وَالمُستَغيثُهُ[2] ... مِنَ الفَقرِ أَوخَوفٍ تُخافُ جَرائِرُه
كَفاهُ الَّذي تَخشى مِنَ الخَوفِ نَفسُهُ ... وَسُدَّت بِإِعطاءِ الأُلوفِ مَفاقِرُه
دَعاني أَبو الأَشبالِ وَالنيلُ دونَهُ ... وَأَيُّ مُجيبٍ إِذ دَعاني وَزائِرُه
وَما زالَ مُذ كانَ الخُماسِيَّ[3] يَشتَري ... غَوالِيَ مِن مَجدٍ عِظامٍ مَآثِرُه
يَعودُ عَلى المَولى نَداهُ وَمالُهُ ... وَقَد عَزَّ وَسطَ القَومِ مَن هُوَ ناصِرُه
عَلَت كَفُّكَ اليُمنى طِعاناً وَنائِلاً ... يَدَي كُلِّ مِعطاءٍ وَقِرنٍ تُساوِرُه
وَأَنتَ الَّذي تُسْتَهْزَمُ الخَيْلُ باسمِهِ ... إذا لحِقَتْ وَالطّعْنُ حُمْرٌ بَصَائِرُهْ
وَدَاعٍ حَجَزْتَ الخَيْلَ عنهُ بطَعنةٍ ... لهَا عَانِدٌ لا تَطْمَئِنّ مسابِرُهْ
وَقَد عَلِمَ الدّاعِيكَ أنْ ستُجيبُهُ ... بحَاجِزَةٍ، وَالنّقْعُ أكْدَر ثَائِرُهْ
عطَفْتَ عليهِ الخيلَ من خَلفِ ظهرِهِ ... وَقَدْ جاءَ بالمَوْتِ المُظلِّ مَقادِرُهْ
رَدَدْتَ لَهُ الرّوحَ الذي هوَ قَدْ دَنَا ... إلى فِيهِ مِنْ مَجْرٍ إلَيْهِ يُبَادِرُهْ
وَأَنتَ امْرُؤٌ يَبْتَاعُ بالسّيْفِ ما غَلا ... وَبالرّمح لمّا أكْسَدَ الطّعْنَ تَاجِرُهْ
مَكارِمَ يُغْلِيها الطِّعَانُ إذا التَقَتْ ... عَوالٍ مِنَ الخَطّيّ، صُمٌّ مكاسِرُهْ
وَأَنتَ ابنُ أمْلاكٍ وَكانتْ إذَا دَعَا ... إلَيْها نِسَاءُ الحَيّ تَسْعَى حرَائِرُهْ
يَداكَ يَدٌ إحداهُما النّيلُ وَالنّدى، ... ورَاحَتُهَا الأخْرَى طِعَانٌ تُعاوِرُهْ
ولَوْ كانَ لاقاهُ ابنُ مامَةَ لانتَهَى ... وَجُودُ أبي الأشبالِ يَعلُوهُ زَاخِرُهْ
فَما أحيَ لا أجعَلْ لساني لِغَيْرِكُمْ، ... وَلا مِدَحي مَا حَيّ للزّيتِ عاصِرُهْ

1- حنابة: لعله من حنب انحنى واحدودب.
2 - المستغيثه: المستجير به
3- الخماسي: الغلام طوله خمسة أشبار، أراد مذ كان طفلاً.

بواعث المديح وأسبابه:

فَلَــوْلا أَبُــو الأَشْــبَالِ أَصْــبَحْتُ نَائِيــاً ... وَأَصْــبَحَ فــي رِجْلَــيَّ قَيْــدٌ أُحَــاذِرُهْ
تَــدارَكَني مِــنْ هُــوّةٍ كــانَ قَعْرُهَــا ... بَعِيــداً وَأَعْلاهــا كَــؤودٌ مَصَــادِرُهْ
فَلَــوْلا أَبُــو الأَشْــبَالِ أَصْــبَحْتُ نَائِيــاً ... وَأَصْــبَحَ فــي رِجْلَــيَّ قَيْــدٌ أُحَــاذِرُهْ
تَــدارَكَني مِــنْ هُــوّةٍ كــانَ قَعْرُهَــا ... بَعِيــداً وَأَعْلاهــا كَــؤودٌ مَصَــادِرُهْ
فَأَصْــبَحْتُ مِثْــلَ الظَّبْــيِ أفلــتَ بعــدما ... مــنَ الحَبــلِ كانَــتْ أعلَقَتــهُ مَرَائِــرُهْ
طَلِيقــاً لِــرَبِّ العــالَمِينَ، وَللّــذِي ... يَمُــنّ عَلــى الأَسْــرَى وَجَــارٍ يُجــاوِرُهْ
طَلِيــقَ أبــي الأَشْــبَالِ، أَصْــبَحَ جَــارُهُ ... علــى حَيــثُ لا يــدنو مــن الطَّــوْدِ طَــائِرُهْ
فَمَــا أَنَــا إلاّ مِــنْكُمُ مَــا تَعَلّقَــتْ ... حَيَــاتي إلــى اليَــوْمِ الّــذي أَنَــا صَــائِرُهْ
وَمَــا لــي شَــيْءٌ كَــانَ يُــوفي بِنِعْمَــةٍ ... عَلــيّ لَكُــمْ مِــنْ فَضْــلِ مــا أنــا شــاكِرُهْ
وَلَــوْ أنّ نَفْســاً لــي تَمَنّــتْ سِــوَى الــذي ... لَقِيــتُ لَكَــانَ الــدّهْرُ بــي ذَلّ عــاثِرُهْ[1]

في هذه القصيدة الرائعة يبلغ المدح منتهاه حيث يصف الشاعر الممدوح بأن مجرد لقائه يشبه (حيا الغيث) وهاتان الكلمتان فيهما بلاغة متجذرة برغم كثرة ورودهمافي أشعار الأقدمين فلم يقل الشاعر مثلا (صوب المطر) فإن الحيا فيه الحياة والغيث فيه انتشال من وهدة الموت، ثم يمضي الشاعر في المديح يؤمن المستغيث بأبي الأشبال وهي كنية الممدوح من خوف الفقر ومن العدو المتربص, ومن المواضع الجميلة قوله(تستهزم الخيل باسمه) من شجاعته، ورعب العدو منه ،والخيل هنا مجاز أريد به راكبي الخيل. ومن المواضع الرفيعة أيضاً تفضيل الممدوح على كعب بن مامة في الجود وحسن الجوار حيث قال:

ولَــوْ كــانَ لاقــاهُ ابــنُ مامَــةَ[2] لانتَهَــى ... وَجُــودُ أبــي الأشــبالِ يَعلُــوهُ زَاخــرُهْ

وقال فيه أيضاً: الطويل

إِلَيــكَ أَبــا الأَشــبالِ ســارَت مَطِيَّتــي ... تُبــاري حَراجيجــاً تَبــورُ ضُــفورُها[4]
تَلاقَــت عُراهــا فَــوقَ لازِقَــةِ الــذُرى ... إِلَيــكَ لَهــا رَوحاتُهــا وَبُكورُهــا
تُقاتِــلُ بِــالأَفواهِ عَنهــا رِكابُنــا ... إِذا مــا خَلَــت لِلواقِعــاتِ ظُهورُهــا
تَــرى كُــلَّ حَرجــوجِ[3] تَخِــرُّ نِعالُهــا ... إِذا خَلَــفَ كــورِ الرَحــلِ[5] أُردِفَ كورُهــا
إِلــى أَسَــدٍ ســارَت بِرَحلــي وَخــاطَرَت ... عَــوادِيَ مِــن غُلــبٍ يَكــادُ زَئيرُهــا
تَصَــدَّعُ مِنــهُ الأَرضُ وَهــيَ صَــحيحَةٌ ... إِذا سَــمِعَتهُ أَو تَقَلَّــعَ قورُهــا[6]
وَكُنــتُ إِذا جــاءَ البَريــدُ سَــأَلتُهُ ... عَلــى دَهَــشٍ وَالــنَفسُ يَخشــى ضَــميرُها
حَــوادِثَ أَخشــى أَن يَمَسَّــكَ بَعضُــها ... إِذا التِــركُ لاقــى المُســلِمينَ مُغيرُهــا
وَأَنــتَ اِمــرُؤٌ فــي النــاسِ مــا مِــن قَبيلَــةٍ ... تُحالِفُهــا إِلّا يَعِــزُّ نَصــيرُها[7]

1- ديوان الفرزدق ص 241
2- هو كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الإيادي يضرب به المثل في حسن الجوار. / ديوان الفرزدق ص 243
3- حرجوج: الناقة الطويلة، وقيل الضامرة، وقيل الوقادة الحادة القلب.
4- الضفور، الواحد ضفر: ما عظم من الرمل وتجمع، ولعله حزام الرحل./ السابق ص 244
5 - الكور: الرحل بأداته.
6- القور: الجبال الصغيرة، الواحدة قارة.
7- ديوان الفرزدق ص 244

في هذا المقطع يستحث الفرزدق خطى ناقته عبر الأهوال والمخاطر وهي تزأر من أجل لقاء الممدوح ولا يخفي خوفه عليه من الحوادث ذلك أن الممدوح هلكه ليس هلك واحد بل يهلك بهلكه أمم من المكرمين والخائفين.

وقال فيه أيضاً:

لعَمــــرِيَ لا أنســـــى أيـــــادِيَ أصـــــبَحَت ... عَلَـــيَّ وَلا الفَضـــلَ الّـــذي أنـــا شـــاكِرُه
دَعـــاني أَبـــو الأَشـــبالِ لَمّـــا تَقاذَفَـــت ... بِمُطَّـــرَحِ الأَرجـــاءِ مـــا أَنـــا حـــاذِرُه
فَأَنقَـــذَني مِنهـــا وَقَـــد خِفـــتُ أَن أَرى ... رَهينَـــةَ أَمـــرٍ مـــا تُـــرامُ تَراتِـــرُه[1]
وَلَسـتُ بِنـاسٍ مِنـهُ نُعمـاهُ إِذ جَلَـت ... عَشـا بَصَـرٍ مـا كـانَ يُسـفِرُ حـائِرُه[2]

في هذه الأُبيّاتِ يكشف الشاعر عن حفظه للجميل الذي ناله من الممدوح وأياديه البيضاء لما كان في سوء حال، وقُلة مال.

وقال فيه: الطويل

لَـــم أرَ جـــاراً لِإمـــرِئٍ يَســـتَجيرُهُ ... كَجـــارِيَ أوفـــى لـــي جِـــواراً وَأمنَعـــا
رَمـــى بـــي إِلَيـــهِ الخَـــوفُ حَتّـــى أَتَيتُـــهُ ... وَقَـــد يَمنَـــعُ الحـــامي إِذا مـــا تَمَنَّعـــا
فَشَـــمَّرَ عَـــن ســـاقَيهِ حَتّـــى تَطامَنَـــت ... أَنابيـــبُ نَفســـي وَاِســـتَقَرَّت بِهـــا مَعـــا
بِـــهِ حَطَـــمَ اللَهُ القُيـــودَ وَأومِنَـــت ... مَخافَـــةُ نَفـــسٍ طومِنَـــت أَن تَفَزَّعـــا
كَمَنـــعِ أَبـــي لَيلـــى عِيـــاضَ بـــنَ دَيهَـــثٍ[3] ... عَشِـــيَّةَ خـــافَ القَـــومُ أَن يَتَمَزَّعـــا
فَمـــا يَحـــيَ لا أَخـــشَ العَـــدُوَّ وَلا أَزَل ... عَلـــى النـــاسِ أَعلـــو مِـــن ذُرى المَجـــدِ مَفرَعـــا
جَـــزى اللَهُ جـــاري خَيـــرَ مـــا كـــانَ جازِيـــاً ... مِـــنَ النـــاسِ جـــاراً يَـــومَ بِنـــتُ مُوَدِّعـــا[4]

الشاعر يحمد للممدوح حسن جواره له ويشبهه بجوار النعمان بن المنذر لما أجار عياض بن ديهث ويعلن أنه لن يخشى عدوا ما دام الممدوح حياً.

1-التراتر: الشدائد.

2-ديوان الفؤزدق ص 246

3- عياض بن ديهث أحد بني عمرو بن سعد بن زيد مناة. لما غارت بنو مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض على ماله في الجاهلية استنصر الحارث بن ظالم./ المرزباني,معجم الشعراء,تعليق ف.كرنكو,مكتبة المقدسي,دارالكتب العلمية,بيروت,ط2, ص368

4- ديوان الفرزدق ص 366

وقال فيه كذلك: (الطويل)

عَسَى أسدٌ أنْ يُطْلِقَ اللهُ لي بِهِ ... شَبَا حَلَقٍ مُستَحكِمٍ فوْقَ أسْوُقي
وَكَمْ يا ابن عَبد الله عَني من العُرَى ... حَلَلْتَ وَمِنْ قَيْدٍ بساقيّ مُغْلَقِ
فَلَمْ يَبْقَ مني غَيْرَ أنّ حُشَاشَةً ... مَتى ما أُذَكَّرْ ما بساقيّ أفْرَقِ
أسَدَّ لَكُمْ شُكْراً وَخَيرَ مَوَدّةٍ، ... إذا ماالتَقَتْ رُكبانُ غَرْبٍ ومشرقِ
فإنّ لِعَبْدِ الله وابْنَيْهِ مَادِحاً ... كَريماً فَما يُثْنِ عَلَيْهِمْ يُصَدَّقِ
مِنَ المُحْرِزِينَ السّبْقَ يَوْمَ رِهَانِهِ ... سَبُوقٍ إلى الغايات غَيرَ مُسَبَّقِ
هُمُ أهلُ بيتِ المجدِ حيثُ ارْتقتْ بهمْ ... بَجِيلَةُ فوْقَ النّاسِ من كلّ مُرْتَقِ[2]
مَصَاليتُ[1] حَقّانُونَ للدّمِ، وَالّتي ... يَضِيقُ بهَا ذَرْعاً يَدُ المُتَدَفِّقِ
وَمَنْ يَكُ لَمْ يُدرِكْ بحَيثُ تَناوَلَتْ ... بَجِيلَةُ مِنْ أحسابها حَيْثُ تَلْتَقي
بَجِيلَةُ عنْدَ الشّمسِ أوْ هي فَوْقَها، ... وإذْ هيَ كالشّمسِ المُضِيئَةِ، يُطرِقِ
لَئِنْ أسَدٌ حَلّتْ قُيُودِي يَمِينُهُ ... لَقَدْ بَلَغَتْ نَفْسي مكانَ المُخَنَّقِ
بهِ طَامَن اللهُ الّذِي كَانَ نَاشِزاً، ... وَأرْخَى خِناقاً عن يَديْ كلّ مُرْهَقِ
نَوَاصٍ مِنَ الأيْدِي إذا ما تَقَلّدَتْ ... يَشِيبُ لِا مِنْ هَوْلها كُلُّ مَفْرَقِ
أرى أسَداً تُسْتَهْزَمُ الخَيْلُ باسْمِهِ ... إذا لحِقَتْ بِالعَارِضِ المُتَأَلِّقِ
إذا فَمُ كَبْشِ القَوْمِ كانَ كَأنّهُ ... لَهُ فَمُ كَلاّحٍ مِنَ الرّوْعِ أرْوَقِ[3]

في هذه القصيدة يمدح الفرزدق أسداً وأباه وقبيلته (بجيلة) كلها لأن أسداً قد فك قيده من الأسر فكانت يداً أسداها إليه فعزم الفرزدق على مدحة كريمة فكانت هذه القصيدة.

وقال فيه:

لا فَضلَ إلّا فَضلُ أمٍّ عَلى اِبنِها ... كَفَضلِ أبي الأشبالِ عِندَ الفَرزدَقِ
تَدارَكَني مِن هُوَّةٍ كانَ قَعرُها ... ثَمانينَ باعاً لِلطَويلِ العَشَنَّقِ
إذا ما تَرامَت بِامرِئٍ مُشرِفاتُها ... إلى قَعرِها لَم يَدرِ مِن أَينَ يَرتَقي
طَليقُ أَبي الأَشبالِ أَصبَحتُ شاكِراً ... لَهُ شِعرُ نُعمى فَضلُها لَم يُرَنَّقِ
أَبَعدَ الَّذي حَطَّمتَ عَنّي وَبَعدَما ... رَأَيتُ المَنايا فَوقَ عَينَيَّ تَلتَقي
حَطَمتَ قُيودي حَطمَةً لَم تَدَع لَها ... بِساقَيَّ إِذ حَطَّمتَها مِن مُعَلَّقِ
لَعَمري لَئِن حَطَّمتَ قَيدي لَطالَما ... مَشَيتُ بِقَيدي راسِفاً غَيرَ مُطلَقِ
سَتَسمَعُ ما أُثني عَلَيكَ إِذا اِلتَقَت ... غَرائِبُ تَأتي كُلَّ غَربٍ وَمَشرِقِ
فَأَنتَ سَواءٌ وَالسِماكُ إِذا اِلتَقى ... عَلى مُمحِلٍ بِالوائِلِ المُتَعَسِّقِ[4]
وَلَستُ بِناسٍ فَضلَ رَبّي وَنِعمَةً ... خَرَجتُ بِها مِن كُلِّ مَوتٍ مُحَدِّقِ
وَما مِن بَلاءٍ مِثلُ نَفسٍ رَدَدتَها ... إِلى حَيثُ كانَت وَهيَ عِندَ المُخَنَّقِ
وَإِنَّ أَبا الأَشبالِ أَلبَسَني لَهُ ... عَلَيَّ رِداءَ الأَمنِ لَم يَتَخَرَّقِ
وَفَضلُ أَبي الأَشبالِ عِندي كَوابِلٍ ... عَلى أَثَرِ الوَسمِيِّ لِلأَرضِ مُغدِقِ
وَإِنَّ أَبا أُمّي وَجَدّي أَبا أَبي ... وَلَيلى عَلَوا بي ساعِدَي كُلَّ مُرتَقي[5]

1- المصاليت: الشجعان.
2- مرتق: المرتقي الصاعد.
3- ديوان الفرزدق ص 402
4- الوائل: اللاجيء. المتعسق: اللاصق بالشيء.
5- ديوان الفرزدق ص 409

إن إطلاق الفرزدق من الحبس بواسطة أسد القسري جعله يتدفق شاعرية في مدحه فهو يجعله (سواء والسماك) ،وفضله كالغيث العميم (وَفَضلُ أَبي الأَشبالِ عِندي كَوابِلٍ عَلى أَثَرِ الوَسمِيِّ لِلأَرضِ مُغدِقِ) ويجعل فضله عليه كفضل الأم على ابنها وهي مكانة رفيعة جليلة تعكس مدى الامتنان الذي يكنه الفرزدق تجاه ممدوحه.

وقال فيه أيضاً مقدما بين يدي مدحه بالوصف التقليدي للراحلة, بيد أنها هنا سفينة شراعية : الطويل

لَفَلجٌ وَصَحراواهُ لَو سِرتُ فيهِما ... أَحَبُّ إِلَينا مِن دُجَيلٍ وَأَفضَلُ
وَراحِلَةٍ قَد عَوَّدوني رُكوبَها ... وَما كُنتُ رَكّاباً لَها حينَ تَرحَلُ
قَوائِمُها أَيدي الرِجالِ إِذا اِنتَحَت ... وَتَحمِلُ مَن فيها قُعوداً وَتُحمَلُ
إِذا ما تَلَقَّتها الأَواذِيُّ[1] شَقَّها ... لَها جُؤجُؤٌ[2] لا يَستَريحُ وَكَلكَلُ[3]
إِذا رَفَعوا فيها الشِراعَ كَأَنَّها ... قَلوصٌ[4] نَعامٍ أَو ظَليمٌ شَمَردَلُ[5]

ثم يبدأ الفرزدق بالمديح فيقول :

تُريدُ اِبنَ عَبدِ اللَهِ إِيّاهُ يَمَّمَت ... يَقولُ إِذا قالَ الصَوابَ وَيَفعَلُ
إِذا ماءَةٌ زادوا عَلَيها رِهانَهُم ... يَجيءُ إِلى غاياتِها وَهوَ أَوَّلُ
لَعَمري لَإِحياءُ النَفوسِ الَّتي دَنَت ... إِلى المَوتِ مِن إِعطاءِ نابَينِ أَفضَلُ
تَدارَكَني مِن هُوَّةٍ قَد تَقاذَفَت ... بِرِجلَيَّ ما في جولِها مُتَرَجَّلُ
أَلا كُلُّ شَيءٍ في يَدِ اللَهِ بالِغٌ ... لَهُ أَجَلٌ عَن يَومِهِ لا يُحَوَّلُ
وَإِنَّ الَّذي يَغتَرَّ بِاللَهِ ضائِعٌ ... وَلَكِن سَيُنجي اللَهُ مَن يَتَوَكَّلُ
تُبَيِّنُ ما يَخفي عَلى اللَهِ غَيبُهُ ... لَيالٍ وَأَيّامٌ عَلى النَاسِ دُوَّلُ
يُبينُ لَكَ الشَيءَ الَّذي أَنتَ جاهِلٌ ... بِذَلِكَ عَلّامٌ لَهُ حينَ تَسأَلُ
أَلا كُلُّ نَفسٍ سَوفَ يَأتي وَراءَها ... إِلى يَومِ يَلقاها الكِتابُ المُؤَجَّلُ[6]

في هذه القصيدة يذكر الفرزدق رحلته إلى ممدوحه على ظهر سفينة شراعية يصفها وصفا جميلا بليغا :

إِذا رَفَعوا فيها الشِراعَ كَأَنَّها ... قَلوصُ نَعامٍ أَو ظَليمٌ شَمَردَلُ

ثم يدلف إلى مدحه ويصفه بالصدق وإنجاز الوعد وإحياء النفوس بالرفد والعفو ثم يختم القصيدة بأبيات رائعة من الحكمة :

وَإِنَّ الَّذي يَغتَرَّ بِاللَهِ ضائِعٌ ... وَلَكِن سَيُنجي اللَهُ مَن يَتَوَكَّلُ

هذا وقد بلغ عدد القصائد التي مدح بها الفرزدق أسد بن عبد الله القسري عشر قصائد وهذا يعني مدى حب الفرزدق لأسد وإعجابه به, ولا غرابة في ذلك فلقد كانت مواقفه معه وأياديه عليه جديرة بكل ثناء ومدح. أما الصفات التي مدحه بها: الشجاعة والكرم والمروءة وصدق الحديث وإنجاز الوحد وإجارة المستغيث, وفك العاني, وإطلاق الأسير.

1- الأواذي: الأمواج
2- الجؤجؤ: الصدر
3- الكلكل: لحم الصدر
4- قلوص: ناقة
5- الظليم: ذكر النعام. والشمردل: الطويل.
6- ديوان الفرزدق ص 430

2. **الحجاج بن يوسف الثقفي[1] - (والي العراق)**

يقول فيه: (الوافر)

أَميـــــرَ المُـــــؤمِنينَ وَقَـــــد بَلَونـــــا ... أَمـــــورَكَ كُلَّهـــــا رُشـــــداً صَـــــوابا
تَعَلَّـــــم إِنَّمـــــا الحَجّـــــاجُ سَـــــيفٌ ... تُجَـــــذُّ بِـــــهِ الجَمـــــاجِمَ وَالرِقابـــــا
هُـــوَ السَـــيفُ الَّـــذي نَصَـــرَ اِبـــنَ أَروى ... بِـــهِ مَـــروانُ عُثمـــانَ المُصـــابا
إِذا ذَكَـــرَت عُيـــونُهُمُ اِبـــنَ أَروى ... وَيَـــومَ الـــدارِ أَســـهَلَتِ اِنسِـــكابا
عَشِـــيَّةَ يَـــدخُلونَ بِغَيـــرِ إِذنٍ ... عَلـــى مُتَوَكِّـــلٍ وَقّـــى وَطابـــا
خَليـــلِ مُحَمَّـــدٍ وَإِمـــامِ حَـــقٍّ ... وَرابِـــعِ خَيـــرِ مَـــن وَطِـــئَ التُرابـــا
فَلَـــيسَ بِزائِـــلٍ لِلحَـــربِ مِـــنهُم ... شِـــهابٌ يُطفِـــؤونَ بِـــهِ شِـــهابا
بِـــهِ تُبنـــى مَكـــارِمُهُم وَتُمـــرى ... إِذا مـــا كـــانَ دِرَّتُهـــا اِعتِصـــابا
وَخاضِـــبِ لِحيَـــةٍ غَـــدَرَت وَخانَـــت ... جَعَلـــتَ لِشَـــيبِها دَمَـــهُ خِضـــابا
وَمُلحَمَـــةٍ شَـــهِدتَ لِيَـــومَ بَـــأسٍ ... تَزيـــدُ المَـــرءَ لِلأَجَـــلِ اِقتِرابـــا
تَـــرى القَلعِـــيَّ وَالمـــاذِيَّ فيهـــا ... عَلـــى الأَبطـــالِ يَلتَهِـــبُ اِلتِهابـــا
شَـــدَختَ[2] رُؤوسَ فِتيَتِهـــا فَـــداخَت[3] ... وَأَبصَـــرَ مَـــن تَرَبَّصَـــها فَتابـــا
رَأَيتُـــكَ حـــينَ تَعتَـــرِكُ المَنايـــا ... إِذا المَرعـــوبُ لِلغَمَـــراتِ هابـــا
وَأَذلَقَـــهُ النِفـــاقُ وَكـــادَ مِنـــهُ ... وَجيـــبُ القَلـــبِ يَنتَـــزِعُ الحِجابـــا
تَهـــونُ عَلَيـــكَ نَفسُـــكَ وَهـــوَ أَدنـــى ... لِنَفسِـــكَ عِنـــدَ خالِقِهـــا ثَوابـــا
فَمَـــن يَمـــنُن عَلَيـــكَ النَصـــرَ يَكـــذِب ... سِـــوى اللَهِ الَّـــذي رَفَـــعَ السَـــحابا
تَفَـــرَّد بِـــالبَلاءِ عَلَيـــكَ رَبٌّ ... إِذا نـــاداهُ مُختَشِـــعٌ أَجابـــا
وَلَـــو أَنَّ الَّـــذي كَشَّـــفتَ عَـــنهُم ... مِـــنَ الفِـــتَنِ البَلِيَّـــةَ وَالعَـــذابا
جَـــزوكَ بِهـــا نُفوسَـــهُمُ وَزادوا ... لَـــكَ الأَمـــوالَ مـــا بَلَغـــوا الثَوابـــا
فَـــإِنّي وَالَّـــذي نَحَـــرَت قُـــرَيشٌ ... لَـــهُ بِمِنـــىً وَأَضـــمَرَتِ الرِكابـــا
إِلَيـــهِ مُلَبِّـــدينَ[4] وَهُـــنَّ خـــوصٌ ... لِيَســـتَلِموا الأَواسِـــيَ وَالحِجابـــا
لَقَـــد أَصـــبَحتُ مِنـــكَ عَلَـــيَّ فَضـــلٌ ... كَفَضـــلِ الغَيـــثِ يَنفَـــعُ مَـــن أَصـــابا
وَلَـــو أَنّـــي بِصـــينِ اِستـــانَ أَهلـــي ... وَقَـــد أَغلَقـــتُ مِـــن هَجـــرَينِ بابـــا
عَلَـــيَّ رَأَيـــتُ يـــا اِبـــنَ أَبـــي عَقيـــلٍ ... وَرائـــي مِنـــكَ أَظفـــاراً وَنابـــا
فَعَفـــوُكَ يـــا اِبـــنَ يوسُـــفَ خَيـــرُ عَفـــوٍ ... وَأَنـــتَ أَشَـــدُّ مُنـــتَقِمٍ عِقابـــا
رَأَيـــتُ النـــاسَ قَـــد خـــافوكَ حَتّـــى ... خَشـــوا بِيَـــدَيكَ أَو فَرَقـــوا الحِســـابا[5]

الحجاج بن يوسف الأمير المشهور يمدحه الفرزدق بين الخوف والرجاء ، يفتتح قصيدته بذكر النوار زوجته ثم يذكر الشيب وما يعاب به وبعدها يمدح نفسه ثم يحمد اختيار أمير المؤمنين للحجاج ويذكر شدة بأسه وخوف

1- الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي، أبو محمد: قائد، داهية، سفاك، خطيب. ولد ونشأ في الطائف (بالحجاز) وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع نائب عبد الملك بن مروان فكان في عديد شرطته، ثم ما زال يظهر حتى قلده عبد الملك أمر عسكره، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير، فزحف إلى الحجاز بجيش كبير وقتل عبد الله وفرق جموعه، فولاه عبد الملك مكة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق. الأعلام للزركلي (1|167)

2- شدخت: كسرت

3- داخت: لانت وذلت.

4- الملبدون، من التلبيد: وهو أن يجعل المحرم على رأسه شيئاً من الصمغ ليتلبد شعره. ديوان الفرزدق ص 77

5 - ديوان الفرزدق ص 75

الأعداء بل رعبهم منه, وتعد هذه القصيدة من أهم ما مدح الفرزدق به الحجاج وفيها يشيد بجهوده في استقرار الخلافة للأمويين وقطع دابر الفتن والتصدي لدعاة التخريب والتفرق.

وقال فيه:

لَـــو أَنَّ طَيـــراً كُلِّفَـــت مِثـــلَ سَـــيرِهِ ... إِلـــى واسِـــطٍ مِـــن إِيلِيـــاءَ لَكَلَّـــتِ
سَـــما بِالمَهـــارى مِـــن فِلَسـطينَ بَعـــدَما ... دَنـــا الفَـــيءُ مِـــن شَـــمسِ النَهـــارِ فَوَلَّـــتِ
فَمـــا عـــادَ ذاكَ اليَـــومُ حَتّـــى أَناخَهـــا ... بِمَيســـانَ[1] قَـــد حُلَّـــت عُراهـــا وَمَلَّـــتِ
كَـــأَنَّ قُطامِيّـــاً عَلـــى الرَحـــلِ طاوِيـــاً ... إِذا غَمـــرَةُ الظَلمـــاءِ عَنـــهُ تَجَلَّـــتِ
وَقَـــد عَلِـــمَ الأَقـــوامُ أَنَّ اِبـــنُ يوسُـــفٍ ... قَطـــوبٌ[2] إِذا مـــا المَشـــرَفِيَّةُ سُـــلَّتِ[3]

إن الخوف من الحجاج حين يستولي على النفوس تأتي الممادح على قدر ذلك وهنا الفرزدق يصف سير الحجاج من دمشق بلغة كالصخور الصم تناسب بطش الحجاج والخوف المستكن في القلوب منه.

وقال فيه أيضاً:

إِنَّ اِبـــنَ يوسُـــفَ مَحمـــودٌ خَلائِقُـــهُ ... ســـيانِ مَعروفُـــهُ فـــي النـــاسِ وَالمَطَـــرُ
هُـــوَ الشِـــهابُ الَّـــذي يُرمـــى العَـــدُوُّ بِـــهِ ... وَالمَشـــرَفِيُّ الَّـــذي تُعصـــى بِـــهِ مُضَـــرُ
لا يَرهَـــبُ المَـــوتَ إِنَّ الـــنَفسَ باسِـــلَةٌ ... وَالـــرَأيُ مُجتَمِـــعٌ وَالجـــودُ مُنتَشِـــرُ
أَحيـــا العِـــراقَ وَقَـــد ثَلَّـــت دَعائِمَـــهُ ... عَميـــاءُ صَـــمّاءُ لا تُبقـــي وَلا تَـــذَرُ[4]

إن ما قام به الحجاج من إزهاق الفتن بالعراق جعل كثيرا من الناس يحمدون له ذلك ومنهم الشعراء وما ذلك إلا لشدة بأسه ومضاء عزمه, وفي قول الفرزدق (لا تبقي ولا تذر) تأثر واضح بأسلوب القرآن.

1- ميسان: كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان. ديوان الفرزدق ص108
2- قطوب: عابس.
3- ديوان الفرزدق ص 108
4- السابق ص 301

وقال فيه: الطويل

إذا وَعَـــدَ الحَجّـــاجُ أَو هَـــمَّ أَســـقَطَت ... مَخافَتُـــهُ مـــا فـــي بُطـــونِ الحَوامِـــلِ
لَـــهُ صَـــولَةٌ مَـــن يوقَهـــا أَن تُصـــيبَهُ ... يَعِـــش وَهـــوَ مِنهـــا مُســـتَخَفُّ الخَصـــائِلِ
وَلَـــم أَرَ كَالحَجّـــاجِ عَونـــاً عَلـــى التُقـــى ... وَلا طالِبـــاً يَومـــاً طَريـــدَةَ تابِـــلِ
وَمـــا أَصـــبَحَ الحَجّـــاجُ يَتلـــو رَعِيَّـــةً ... بِســـيرَةِ مُختـــالٍ وَلا مُتَضـــائِلِ
وَكَـــم مِـــن عَشـــي العَينَـــينِ أَعمـــى فُـــؤادُهُ ... أَقَمـــتَ وَذي رَأسٍ عَـــنِ الحَـــقِّ مائِـــلِ
بِسَـــيفٍ بِـــهِ لِلَّهِ تَضـــرِبُ مَـــن عَصـــى ... عَلـــى قَصَـــرِ الأَعنـــاقِ فَـــوقَ الكَواهِـــلِ
شَـــفَيتَ مِـــنَ الـــداءِ العِـــراقَ فَلَـــم تَـــدَع ... بِـــهِ رَيبَـــةً بَعـــدَ اِصـــطِفاقِ الـــزَلازِلِ
وَكـــانو كَـــذي داءٍ أَصـــابَ شِـــفاءهُ ... طَبيـــبٌ بِـــهِ تَحـــتَ الشَراســـيفِ[1] داخِـــلِ
كَـــوى الـــداءَ بِـــالمُكواةِ حَتّـــى جَـــلا بِهـــا ... عَـــنِ القَلـــبِ عَينَـــي كُـــلِّ جِـــنٍّ وَخابِـــلِ[2]

في البيت الأول من الأبيات السابقة لا يخلو من المبالغة الفنية؛ حيث يرى الفرزدق أن الحجاج إذا وعد أو همّ بوعد فالخوف منه يسقط ما في بطون الحوامل, ويرى أيضا أن الحجاج خير معين على تقوى الله, وهو السيف الذي يشفي الداء من العراق, ثم يصفه بالترفع عن أكل الأموال بالباطل, وهذا ملمح مهم في المدح فيقول :

وَكُنّـــا بِـــأَرضٍ يـــا اِبـــنَ يوسُـــفَ لَـــم يَكُـــن ... يُبـــالي بِهـــا مـــا يَرتَشـــي كُـــلُّ عامِـــلِ
يَـــرَونَ إِذا الخَصـــمانِ جـــاءا إِلَـــيهِمُ ... أَحَقَّهُمـــا بِـــالحَقِّ أَهـــلَ الجَعائِـــلِ[3]
وَمـــا تُبتَغـــى الحاجـــاتُ عِنـــدَكَ بِالرُشـــى ... وَلا تُقتَضـــى إِلّا بِمـــا فـــي الرَســـائِلِ
رَســـائِلِ ذي الأَســـماءِ مَـــن يَدعُـــهُ بِهـــا ... يَجِـــد خَيـــرَ مَســـؤولٍ عَطـــاءً لِســـائِلِ

1- الشراسيف، الواحد شرسوف: طرف الضلع المشرف على البطن
2- الخابل: فاقد الرشد والعقل.
3- الجعائل: الضرائب من المال.

ثم ينتقل إلى وصف الممدوح بالبطل الشجاع فيقول :

وَهُـــم لَيلَـــةَ الأَهـــوازِ حـــينَ تَتَـــابَعوا ... وَهُـــم بِجُنـــودٍ مِـــن عَـــدُوٍّ وَخـــاذِلِ
كَفـــاكَ بِحَـــولٍ مِـــن عَزيـــزٍ وَقُـــوَّةٍ ... وَأَعطـــى رِجـــالاً حَظَّهُـــم بِالشَـــمائِلِ
فَأَصـــبَحتَ قَـــد أَبـــرَأتَ مـــا فـــي قُلـــوبِهِم ... مِـــنَ الغِـــشِّ مِـــن أَفنـــاءِ تِلـــكَ القَبائِـــلِ
فمـــا النـــاسُ إِلّا فـــي سَـــبيلَينِ مِنهُمـــا ... سَـــبيلٌ لِحَـــقٍّ أَو سَـــبيلٌ لِباطِـــلِ
فَجَـــرَّد لَهُـــم سَـــيفَ الجِهـــادِ فَإِنَّمـــا ... نُصِـــرتَ بِتَفـــويضٍ إِلـــى ذي الفَواضِـــلِ
وَلا شَـــيءَ شَـــرٌّ مِـــن شَـــريرَةِ خـــائِنٍ ... يَجـــيءُ بِهـــا يَـــومَ اِبـــتِلاءَ المَحاصِـــلِ
هِـــيَ العـــارُ فـــي الـــدُنيا عَلَيـــهِ وَبَيتُـــهُ ... بِهـــا يَـــومَ يَلقـــى اللَهَ شَـــرُّ المَـــداحِلِ[1]
أَظُـــنُّ بَنـــاتِ القَـــومِ كُـــلَّ حَبيـــةٍ ... سَـــيَمنَعنَ مِـــنهُم كُـــلَّ وِدٍّ وَنائِـــلِ
فَبَـــدَّلَهُم مـــا فـــي العِيـــابِ إِذا اِنتَهـــوا ... إِلَـــيكُنَّ وَاِســـتَبدَلنَ عَقـــدَ المَحامِـــلِ[2]
سُـــيوفَ نَعـــامٍ غَيـــرَ أَنَّ لِحـــاهُمُ ... عَلـــى ذَقَـــنِ الأَحنـــاكِ مِثـــلُ الفَلائِـــلِ[3]
عَســـى أَن يَـــذُدنَ النـــاسُ عَـــنكُم إِذا اِلتَقَـــت ... أَســـابِيُّ مِجـــرٍ لِلقِتـــالِ وَنـــازِلِ
وَمـــا القَـــومُ إِلّا مَـــن يُطـــاعِنُ فـــي الـــوَغى ... وَيَضـــرِبُ رَأسَ المُســـتَميتِ المُنـــازِلِ
فِـــدىً لَـــكَ أُمّـــي اِجعَـــل عَلَـــيهِم عَلامَـــةً ... وَحَـــرِّم عَلَـــيهِم صـــالِحاتِ الحَلائِـــلِ
نُزَيِّـــلُ بَـــينَ المُـــؤمِنينَ وَبَيـــنَهُم ... إِذا دَخَلـــوا الأَســـواقَ وَســـطَ المَحافِـــلِ
فَـــلا قَـــومَ شَـــرٌّ مِـــنهُمُ غَيـــرَ أَنَّهُـــم ... تَظُـــنُّهُمُ أَمثـــالَ تُـــركٍ وَكابُـــلِ
تَـــرى أَعـــيُنَ الهَلكـــى إِلَيـــهِ كَأَنَّهـــا ... عُيـــونُ الصِـــوارِ حُوَّمـــاً بِالمَناهِـــلِ
يُـــراقِبنَ فَيّاضـــاً كَـــأَنَّ جِفانَـــهُ ... جَـــوابي زَرودَ المُترَعـــاتِ العَـــدامِلِ
وَقائِلَـــةٍ لـــي مـــا فَعَلـــتَ إِذا اِلتَقَـــت ... وَراءَكَ أَبـــوابُ المَنايـــا القَواتِـــلِ
فَقُلـــتُ لَهـــا مـــا بِاِحتِيـــالٍ وَلا يَـــدٍ ... خَرَجـــتُ مِـــنَ الغُمّـــى وَلا بِالجَعائِـــلِ
وَلَكِـــنَّ رَبّـــي رَبُّ يـــونُسَ إِذ دَعـــا ... مِـــنَ الحـــوتِ فـــي مَـــوجٍ مِـــنَ البَحـــرِ سـائِلِ
دَعـــا رَبَّـــهُ وَاللَهُ أَرحَـــمُ مَـــن دَعـــا ... وَأَدنـــاهُ مِـــن داعٍ دَعـــا مُتَضـــائِلِ
وَمـــا بَـــيَّنَ الأَيّـــامَ إِلّا اِبـــنُ لَيلَـــةٍ ... رُكوبـــاً لَهـــا وَالـــدَهرُ جَـــمُّ التَلاتِـــلِ
لَـــهُ لَيلَـــةُ البَيضـــاءِ إِذ أَنـــا خـــائِفٌ ... لِـــذَنبي وَإِذ قَلبـــي كَثيـــرُ البَلابِـــلِ
فَمـــا حَيَّـــةٌ يُرقـــى أَشَـــدَّ شَـــكيمَةً ... وَلا مِثـــلَ هَـــذا مِـــن شَـــفيعٍ مُناضِـــلِ
يَجِـــدُّ إِذا الحَجّـــاجُ لانَ وَإِن يَخَـــف ... لَـــهُ غَضَـــباً يَضـــرِب بِرِفـــقِ المُحـــاوِلِ[4]

مازال الفرزدق يمدح الحجاج بصولته وقوته على أهل الباطل والفتنة ويذكر له هنا خصلة محمودة وهي أنه لا يرتشي ومن المبالغة قوله:

إِذا وَعَـــدَ الحَجّـــاجُ أَو هَـــمَّ أَســـقَطَت ... مَخافَتُـــهُ مـــا فـــي بُطـــونِ الحَوامِـــلِ

1- المداحل، الواحد مدحل: البيت والأصل الكوة الضيقة المدخل الواسعة القعر.
2- المحامل، واحده محمل: وهو سير السيف.
3- الفلائل، واحدة فليلة: الخصلة من الشعر.
4- ديوان الفرزدق ص 474

وقال فيه: الطويل

لَقَـــد ضَـــرَبَ الحَجّـــاجُ ضَـــربَةَ حـــازِمٍ. كَبـــا جُنـــدُ إبلـــيسٍ لَهـــا وَتَضَعضَـــعوا
أَضـــاءَ لَهـــا مـــا بَـــينَ شَـــرقٍ وَمَغـــرِبٍ. بِنـــورٍ مُضـــيءٍ وَالأَسِـــنَّةُ شُـــرَّعُ
وَخَـــرَّت شَـــياطينُ الـــبِلادِ كَأَنَّهـــا مَخافَـــةُ أُخـــرى فـــي الأَزِمَّـــةِ خُضَّـــعُ
فَلَـــم يَـــدَعِ الحَجّـــاجُ مِـــن ذي عَـــداوَةٍ. مِـــنَ النـــاسِ إِلّا يَســـتَكينُ وَيَضـــرَعُ
إِذا حـــارَبَ الحَجّـــاجُ أَيَّ مُنـــافِقٍ. عَـــلاهُ بِسَـــيفٍ كُلَّمـــا هُـــزَّ يَقطَـــعُ[1]

والفرزدق يصف الحجاج بضرب اللهازم, وسفك دماء الأعداء, وبث الرعب الذي لم ينجُ منه جنود إبليس.

وقال فيه:

إِذا مـــا بَـــدا الحَجّـــاجُ لِلنـــاسِ أَطرَقـــوا. وَأَســـكَتَ مِـــنهُم كُـــلَّ مَـــن كـــانَ يَنطِـــقُ
فَمـــا هُـــوَ إِلّا بائِـــلٌ مِـــن مَخافَـــةٍ وَآخَـــرَ مِـــنهُم ظَـــلَّ بِـــالريقِ يَشـــرَقُ
وَطـــارَت قُلـــوبُ النـــاسِ شَـــرقاً وَمَغرِبـــاً فَمـــا النـــاسُ إِلّا مُهجِـــسٌ[2] أَو مُلَقلِـــقُ[3]

هنا تظهر الصورة التي يرسمها الفرزدق للحجاج؛ صورة من يخرج فيكف الناس عن الكلام ،ومنهم من يبول من الخوف ،ومنهم يشرق بريقه ،جعل قلوب الناس تطير وتكتنفهم الهواجس وتضطرب ألسنتهم، فهل هذه صورة مثالية للممدوح ؟, ولكن تعد هذه مبالغات في المديح.

1-ديوان الفرزدق ص 359
2-مهجس: المتوسوس . ملقلق: المضطرب الذي يهذي هذيان من فقد رشده. ديوان الفرزدق ص410
3- السابق ص 410

3. **أبان بن الوليد بن مالك البجلي[1] (والي على بلدة بسواد العراق) يقول فيه الفرزدق: (الطويل)**

وَهُـــم لَيلَـــةَ الأَهـــواز حـــينَ تَتـــابَعوا ... وَهُـــم بِجُنـــودٍ مِـــن عَـــدُوٍّ وَخـــاذِلِ
إِلَيـــكَ أَبـــانَ بـــنَ الوَليـــدِ تَغَلغَلَـــت ... صَـــحيفَتِيَ المُهـــدى إِلَيـــكَ كِتابُهـــا
وَأَنـــتَ اِمـــرُؤٌ نُبِّئـــتُ أَنَّـــكَ تَشـــتَري ... مَكـــارِمَ وَهّـــابُ الرِجـــالِ يَهابُهـــا
بِإِعطائِـــكَ البـــيضَ الكَواعِـــبَ[2] كَالـــدُمى ... مَـــعَ الأَعوَجِيّـــاتِ[3] الكِـــرامِ عِرابُهـــا
وَشَـــهباءَ تُعشـــي النـــاظِرينَ إِذا اِلتَقَـــت ... تَـــرى بَينَهـــا الأَبطـــالَ تَهفـــو عُقابُهـــا[4]
وَسَـــلَّةَ سَـــيفٍ قَـــد رَفَعـــتَ بِهـــا يَـــداً ... عَلـــى بَطَـــلٍ فـــي الحَـــربِ قَـــد فُـــلَّ نابُهـــا
رَأَيـــتُ أَبـــانَ بـــنَ الوَليـــدِ نَمَـــت بِـــهِ ... إِلـــى حَيـــثُ يَعلـــو فـــي السَـــماءِ سَـــحابُها
رَأَيـــتُ أُمـــورَ النـــاسِ بِـــاليَمَنِ اِلتَقَـــت ... إِلَـــيكُم بِأَيـــديها عُراهـــا وَبابُهـــا
وَكُنـــتُم لِهَـــذا النـــاسِ حـــينَ أَتـــاهُمُ ... رَســـولُ هُـــدى الآيـــاتِ ذَلَّـــت رِقابُهـــا
لَكُـــم أَنَّهـــا فـــي الجاهِلِيَّـــةِ دَوَّخَـــت ... لَكُـــم مِـــن ذُراهـــا كُـــلَّ قَـــرمٍ صِـــعابُها
أَخَـــذتُم عَلـــى الأَقـــوامِ ثِنتَـــينِ أَنَّكُـــم ... مُلـــوكٌ وَأَنـــتُم فـــي العَديـــدِ تُرابُهـــا
وَجَـــدتُ لَكُـــم عادِيَّـــةً فَضَـــلَت بِهـــا ... مُلـــوكٌ لُكُـــم لا يُســـتَطاعَ خِطابُهـــا
فَمـــا أَحـــيَ لا تَنفَـــكُّ مِنّـــي قَصـــيدَةٌ ... إِلَيـــكَ بِهـــا تَأتيـــكَ مِنّـــي رِكابُهـــا
فَـــدونَكَ دَلـــوي يـــا أَبـــانُ فَإِنَّـــهُ ... سَـــيَروي كَثيـــراً مِلؤُهـــا وَقُرابُهـــا
رَحيبَـــةُ أَفـــواهِ المَـــزادِ سَـــجيلَةٌ ... ثَقيـــلٌ عَلـــى أَيـــدي السُـــقاةِ ذِنابُهـــا
أَعِنّـــي أَبـــانَ بـــنَ الوَليـــدِ بِدَفقَـــةٍ ... مِـــنَ النيـــلِ أَو كَفَّيـــكَ يَجـــري عُبابُهـــا[5]

الفرزدق يتدفق شاعرية عذبة وهو يمدح أبان بن الوليد البجلي يصفه بالجود والعطاء,ويشبهه بالبحروالنيل في الجود, ويعدد ما تجود به كفه من الجواري البيض الجميلات والخيول والسيوف الباترة, ثم يصفه بالشجاعة وأنه يخوض غمرات الحرب بنفسه لا يتكل على القواد والأبطال ثم يبين الفرزدق أن هذه الأشياء ليست بمستغربة عن الممدوح؛لأن قومه ممن يضرب بهم المثل في الجاهلية بطولة وشجاعة.

1- أبان بن الوليد بن مالك الزيدي، من بني زيد بن الغوث، البجلي: والٍ، مدحه الفرزدق و الكميت. كان من أشراف بجيلة في العراق، أيام ولاية خالد بن عبد الله القسري. وكان حياً حين وصول يوسف بن عمر الثقفي والياً على العراق سنة 120 هـ وله خبر معه في وساطة بينه وبين نائب خالد القسري في الكوفة.لقي إياس بن معاوية وكانت بينهما محاورة توفي حوالي سنة 105 ه الأعلام للزركلي (27|1)

2-الكواعب، الواحدة كاعب: الناهد.

3 -الأعوجيات، الواحد أعوجي: نسبة إلى أعوج وهو فرس كريم لبني هلال.

4-عقابها: أراد بها الراية.

5 -ديوان الفرزدق ص 55

وقال فيه أيضاً: الطويل

إِلَيــــكَ أَبـــــانَ بـــــنَ الوَلِيـــدِ تَجـــاوَزَت ... قُـــــرىً وَرِجـــــالاً مِـــــنهُمُ المُتَخَيَّـــــرُ
لِنَلقـــــاكَ وَاللاقيـــــكَ يَعلَـــــمُ أَنَّـــــهُ ... سَـــيَلقى فُراتـــاً وَهـــوَ مَـــلآنُ أَكـــدَرُ
فَـــدونَكَ هَـــذي يـــا زِيـــادُ فَإِنَّهـــا ... هِـــيَ المَـــدحُ وَالشِـــعرُ الَّـــذي هُـــوَ أَشـــعَرُ
أَنـــا اِبـــنُ تَمـــيمٍ وَالَّـــذي لِـــيَ عِزُّهـــا ... عَلـــى النـــاسِ بَـــذّاخٌ مِـــنَ العِـــزِّ مُدسَـــرُ
وَمَـــن يَلقَنـــا مِـــن شـــانِئٍ يَلقَـــهُ لَنـــا ... عَلـــى النـــاسِ مَعـــروفٌ كَثيـــرٌ وَمُنكَـــرُ
وَقَـــد عَلِـــمَ النـــاسُ الَّـــذينَ أَبـــوهُمُ ... لِحَـــوّاءَ أَنّـــا مِـــن حَصـــى التُـــربِ أَكثَـــرُ
وَإِنّـــا لَضَـــرّابونَ لِلهـــامِ فـــي الـــوَغى ... إِذا لَـــم يَكُـــن غَيـــرَ الأَسِـــنَّةِ مَفخَـــرُ[1]

الفرزدق في هذه المقطوعة يمدح أبانا ويصفه بالفرات من كثرة جوده ثم يدلف إلى نفسه مادحاً ومفتخراً بعز قومه بني تميم وكثرتهم ونفعهم للمحب وضرهم للعدو الشانيء وشدة بأسهم في الحروب وافتخارهم بذلك وفي كل هذا فخر للممدوح حيث يمدحه و هو في الذروة من السؤدد.

1- ديوان الفرزدق ص 264

وقال فيه كذلك: الوافر

وَكَـــمْ مِـــنْ نَـــاذِرِينَ دَمِـــي رَمَـــتْهُمْ ... إلَيْـــكَ عَلـــى مَخَـــافَتِهِمْ وَفَقْـــرِ
لِتَلْقَـــى ابـــنَ الوَلِيـــدِ ولا تُبـــالي ... إذا لَقِيَـــتْ نَـــدَاهُ، بَنَـــاتِ دَهْـــرِ
أتَيْتُـــكَ بِـــالجَرِيضِ[1]، وَقَـــدْ تَلاقَـــتْ ... عُـــرى الأنْســـاعِ مِـــنْ حَقَـــبٍ وَضَـــفْرِ[3]
وَكَـــمْ خَبَطَـــتْ بِأرْســـاغٍ[2]، وَجَـــرّتْ ... نَعـــالَ الجِلْـــدِ، وَهْـــيَ إلَيـــكَ تَسْـــرِي
وَتَلْقَـــى ابـــنَ الوَلِيـــدِ، وَإنْ أُنِيخَـــتْ ... إلـــى مُغْلَوْلِـــبٍ[4]، بِنَـــداهُ غَمْـــرِ
تَكُـــنْ مِثْـــلَ التـــي مُطِـــرَتْ وَكانَـــتْ ... بِـــأعْوَامٍ، قَـــوائِظُهُنّ، غُبْـــرِ
وُجِـــدْتُمْ يـــا بَنـــي زَيْـــدٍ نُجُومـــاً ... يَنُـــؤْنَ مِـــنَ السّـــمَاءِ بِكُـــلّ قَطْـــرِ
بِهِـــنّ المُـــدْلِجُونَ بَـــدَوْا وَسَـــارُوا ... وَإيّـــاهُنّ يَتْبَـــعُ كُـــلُّ مَجْـــرِ
حَلَفْـــتُ بِكَعْبَـــةٍ يَهْـــوِي إلَيْهَـــا ... مِـــنَ الآفَـــاقِ مِـــنْ يَمَـــنٍ وَمِصْـــرِ
إلَيْهَـــا لِلْمَسَـــاجِدِ كُـــلُّ وَجْـــهٍ ... وَإيّاهَـــا يُوَجِّـــهُ كُـــلُّ قَبْـــرِ
لأقْـــتَلِعَنْ صَـــفَاةَ الشِّـــعْرِ عَنْـــهُ ... فَمَـــا أنَـــا مِـــنْ دَوَامِغِـــهِ بِغُمْـــرِ
كَـــأنّ مَوَاقِـــعَ الآثَـــارِ مِنْهَـــا ... مَوَاقِـــعُ مِـــنْ صَـــوَارِمَ ذاتِ أُثْـــرِ
رَأيْتُـــكَ يَـــا أبَـــانُ تَمَمْـــتَ لَمّـــا ... بَلَغْـــتَ الأرْبَعِـــينَ، تَمَـــامَ بَـــدْرِ
أضَـــاءَ الأرْضَ، وَالأخْـــرَى عَلَيْهَـــا ... مِـــنَ السَّـــبْعِ الطِّبَـــاقِ بِكُـــلّ شَـــهْرِ
رَأيْـــتُ بُحُـــورَ أقْـــوَامٍ نُضُـــوباً ... وَبَحْـــرُكَ يـــا أبَـــانُ يَفِـــيضُ يَجْـــرِي
تُبَـــارِي مِـــنْ بَجِيلَـــةَ مُزْبِـــداتٍ ... إلـــى غُلْـــبٍ غَـــوَارِبُهُنّ، كُـــدْرِ
إلـــى مُغْلَوْلِـــبٍ لأبـــي أبَـــانٍ ... يُحَطِّـــمُ كُـــلَّ قَنْطَـــرَةٍ وَجِسْـــرِ
وَقَـــدْ عَلِمَـــتْ بَجِيلَـــةُ أنّ مِـــنْكُمْ ... فَوَارِسَـــهَا وَصَـــاحِبَ كُـــلّ ثَغْـــرِ
وَحَمّـــالَ العَظَـــائِمِ حِـــينَ ضَـــاقَتْ ... صُـــدُورُهُمُ الرّحَـــابُ بِكُـــلّ أمْـــرِ
إذا اسْـــتَبَقُوا المَكَـــارِمَ أدْرَكُوهَـــا ... بِأيْـــدٍ مِـــنْ بَجِيلَـــةَ غَيْـــرِ عُسْـــرِ
وَمَـــنْ يَطْلُـــبْ مَسَـــاعِيكُمْ يُكَلَّـــفْ ... ذُرَى شَـــعَفٍ عَلَـــى الأقْـــوَامِ وَعْـــرِ
وَكَـــمْ لِلْمُسْـــلِمِينَ أسَـــحْتَ يَجْـــرِي ... بِـــإذْنِ اللهِ مِـــنْ نَهْـــرٍ وَنَهْـــرِ
فَمِـــنْهُنّ المُبَـــارَكُ، حِـــينَ ضَـــاقَتْ ... بِـــهِ الأنْهَـــارُ لَيْلَـــةَ فَـــاضَ يَسْـــرِي
جَمَعْـــتُ لِطَيْبِـــةَ الحَاجَـــاتِ، لَمّـــا ... تَلاقَـــتْ حِـــينَ ضَـــاقَ بِهِـــنّ صَـــدْرِي
فَقُلْـــتُ: ابـــنُ الوَلِيـــدِ هُـــوَ المُرَجّـــى ... لِحَاجَـــاتٍ يَنُـــوءُ بِهِـــنّ ظَهْـــرِي
حَلَفْـــتُ، لَـــئِنْ ضَـــمَمْتَ إلـــيّ أهْلـــي ... بِمَالِـــكَ، لا يَـــزَالُ الـــدّهْرَ شِـــعْرِي
يُجِـــدُّ لَكُـــمْ بَنـــي زَيْـــدٍ ثَنَـــائي ... ثَنَـــاءً حَامِـــداً مـــع كُـــلّ سَـــفْرِ
وَأيّـــةُ سِـــلْعَةٍ إنْ أطْلَقَتْهَـــا ... حِبَالُـــكَ لـــي كَطَيْبَـــةَ غَيْـــرِ نَـــزْرِ
حِبَـــالٌ أُكّـــدَتْ بِيَـــدَيْ أبِيهَـــا ... بِأيْمَـــانٍ لَـــهُ وَأشَـــدِّ نَـــذْرِ[5]

الفرزدق يستجير بأبان هارباً إليه من أقوام نذروا أن يسفكوا دمه فكان في حال أقرب إلى الموت إلا أنه حرك ناقته ولما بلغت أباناً أمّنها فارتاحت ووجدته نهراً غمراً من الجود والندي, ثم طفق الفرزدق يمدح آل أبان:

وُجِـــدْتُمْ يـــا بَنـــي زَيْـــدٍ نُجُومـــاً ... يَنُـــؤْنَ مِـــنَ السّـــمَاءِ بِكُـــلّ قَطْـــرِ

1-الجريض: الغاص بريقه
2- الأرساغ، واحده رسغ: وهو موصل الكف إلى الساعد والقدم إلى الساق.
3- الأنساع: حبال الرحل. الحقب والضفر: من حبال الرحل.
4- المغلولب: الغالب
5 -ديوان الفرزدق ص 292

ثم شبه الفرزدق ممدوحه عند بلوغ الأربعين بالبدر عند تمامه فهو في قمة الإضاءة, وهذه أوصاف حسية أجاد في وصفها الفرزدق, والممدوح في قمة مكارم الأخلاق وعلى رأسها الكرم والجود والسخاء، والفرزدق يطلب من ممدوحه بعد كل هذا الكلام البارع من المديح أن يرجع له زوجه طيبة وهي التي تزوجها بعد النوار.

وقال فيه: الطويل

مَضَـــتْ سَـــنَةٌ لَـــم تُبـــقِ مـــالاً وَإِنَّنـــا ... لِنَـــنهَضُ فـــي عـــامٍ مِـــنَ المَحـــلِ رادِفِ
فَقُلـــتُ أَبـــانُ بـــنُ الوَليـــدِ هُـــوَ الَّـــذي ... يُجيـــرُ مِـــنَ الأَحـــداثِ نِضـــوَ المَتـــالِفِ
فَتـــىً لَـــم تَـــزَل كَفّـــاهُ فـــي طَلَـــبِ العُلـــى ... تَفيضـــانِ سَـــحّاً مِـــن تَلَيـــدٍ وَطـــارِفِ
لَعَمـــرُكَ مـــا أَصـــبَحتُ أَنثـــو عَزيمَتـــي ... وَلا مُخـــدِرٌ بَـــينَ الأُمـــورِ الضَـــعائِفِ[1]

حين تترادف سنين المحل والجدب تتوجه المطي والركائب إلى من يجير فكان توجه الفرزدق إلى أبان يمدحه ويستجديه .

4. خالد بن عبد الله القسري[2] (والي مكة والعراق) يقول فيه الفرزدق (الطويل)

أَلا مَـــن لِمُعتـــادٍ مِـــنَ الحُـــزنِ عائِـــدي ... وَهَـــمٍّ أَتـــى دونَ الشَراســـيفِ عامِـــدي
وَكَـــم مِـــن أَخٍ لـــي ســـاهِرِ اللَيـــلِ لَـــم يَـــنَم ... وَمَســـتَثقِلٍ عَنّـــي مِـــنَ النَـــومِ راقِـــدِ
وَمـــا الشَـــمسُ ضَـــوءَ المُشـــرِقينِ إِذا بَـــدَت ... وَلَكِـــنَّ ضَـــوءُ المُشـــرِقينِ بِخالِـــدِ
سَتَســـمَعُ مـــا تُثنـــي عَلَيـــكَ إِذا اِلتَقَـــت ... عَلـــى حَضـــرَمَوتٍ جامِحـــاتُ القَصـــائِدِ
أَلَـــم تَـــرَ كَفَّـــي خالِـــدٍ قَـــد أَدَرَّتـــا ... عَلـــى النـــاسِ رِزقـــاً مِـــن كَثيـــرِ الرَوافِـــدِ
وَكـــانَ لَـــهُ النَهـــرُ المُبـــارَكُ فَـــارِتَمى ... بِمِثـــلِ الزَوابـــي مُزبِـــداتٍ حَواشِـــدِ
فَمـــا مِثـــلُ كَفَّـــي خالِـــدٍ حـــينَ يَشـــتَري ... بِكُـــلِّ طَريـــفٍ كُـــلَّ حَمـــدٍ وَتالِـــدِ
فَـــزِد خالِـــداً مِثـــلَ الَّـــذي فـــي يَمينِـــهِ ... تَجِـــدهُ عَـــنِ الإِســـلامِ مِـــن خَيـــرِ ذائِـــدِ
كَـــأَنّي وَلا ظُلمـــاً أَخـــافُ لِخالِـــدٍ ... مِـــنَ الشـــامِ داراً أَو سِـــمام[3] الأَســـاوِدِ
وَإِنّـــي لَأَرجـــو خالِـــداً أَن يَفُكَّنـــي ... وَيُطلِـــقَ عَنّـــي مُـــثقِلاتِ الحَدائِـــدِ
هُـــوَ القائِـــدُ المَيمـــونُ وَالكاهِـــلُ الَّـــذي ... يَثـــوبُ إِلَيـــهِ النـــاسُ مِـــن كُـــلِّ وافِـــدِ
بِـــهِ تُكشَـــفُ الظَلمـــاءُ مِـــن نـــورِ وَجهِـــهِ ... بِضَـــوءِ شِـــهابٍ ضَـــوؤُهُ غَيـــرُ خامِـــدِ
أَلا تَـــذكِرونَ الـــرِحمَ أَو تُقرِضـــونَني ... لَكُـــم خُلُقـــاً مِـــن واسِـــعِ الحِلـــمِ ماجِـــدِ
فَـــإِن يَـــكُ قَيـــدي رَدَّ هَمّـــي فَرُبَّمـــا ... تَرامـــى بِـــهِ رامـــي الهُمـــومِ الأَباعِـــدِ[4]

لقد كان خالد بن عبد الله القسري من الذين مدحهم الفرزدق وهجاهم وفي هذه القصيدة يمدحه مدحاً رائقاً انظر إلى قوله:

أَلَـــم تَـــرَ كَفَّـــي خالِـــدٍ قَـــد أَدَرَّتـــا ... عَلـــى النـــاسِ رِزقـــاً مِـــن كَثيـــرِ الرَوافِـــدِ

1-ديوان الفرزدق ص 380

2- خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد القسري، من بجيلة، أبو الهيثم: أمير العراقين، وأحد خطباء العرب وأجوادهم. يماني الأصل، من أهل دمشق. ولي مكة سنة 89هـ للوليد بن عبد الملك، ثم ولاه هشام العراقين (الكوفة والبصرة) سنة 105 هـ فأقام بالكوفة. وطالت مدته إلى أن عزله هشام سنة 120هـ وولي مكانه يوسف بن عمر الثقفي وأمره أن يحاسبه، فسجنه يوسف وعذبه بالحيرة، ثم قتله في أيام الوليد بن يزيد سنة 126 وكان خالد يرمى بالزندقة. الأعلام للزركلي (2|297)

3 - السمام: السم

4 - ديوان الفرزدق ص 122

ففي هذا البيت يجعل الناس كلهم تأتيهم أرزاقهم من خالد وقوله أدرتا فيه استعارة حيث شبه كفه بالضرع الذي لا ينقطع ورمز له بالدر. ومن مبالغاته في ممدوحه قوله:

فَـــزِد خالِـــداً مِثـــلَ الّـــذي فـــي يَمينِـــهِ تَجِـــدهُ عَـــنِ الإِســـلامِ مِـــن خَيـــرِ ذائِـــدِ

كيف ذلك وقد رمي خالدا بالزندقة والازورار عن جادة الدين, ثم يمضي في وصفه بخصال الخير من الكرم وإجارة المستجير وقيادة الناس بالحكمة والسؤدد وانتظار الناس رفده وخيره مع رغبة الشاعر أن يفك الممدوح قيده الذي أرقه وأقض مضاجعه.

وقال فيه أيضاً: (الكامل)

يـا لَيـتَ شِـعري هَـل أُسَـيِّبُ ضُـمَّرا [1] أُكِلَـت عَـرائِكُهُنَّ بِـالأَكوارِ [2]
مِثـلَ الـذِئابِ إِذا غَـدَت رُكبانُهـا يَعسِـفنَ بَـينَ صَـرائِمٍ وَصَـحاري
أُعطـي خَليفَتُنـا بِقُـوَّةِ خالِـدٍ نَهـراً يَفـيضُ لَـهُ عَلـى الأَنهـارِ
إِنَّ المُبـارَكَ كَاسِـمِهِ يُسـقى بِـهِ حَـرثُ الطَعـامِ وَلاحِـقُ الجَبّـارِ
أَسـقاهُ مِـن سَـيحِ الفُـراتِ وَغَيـرِهِ كُـدراً غَوارِبُـهُ مِـنَ التَيّـارِ
لَمّـا تَـدارَكَ لِلمُبـارَكِ مَـدُّهُ رَخُـصَ الطَعـامُ لِمـانِحٍ وَتِجـارِ [3]
وَلَـوَ أَنَّ دِجلَـةَ أُنبِـأَت عَـن خالِـدٍ باتَـت مَخافَتُـهُ عَلـى الأَقتـارِ
يـا دِجـلَ إِنَّـكِ لَـو عَصَـيتِ لِخالِـدٍ أَمـراً سُـقيتِ بِـأَملَحِ الأَمـرارِ
يـا دِجـلَ كُنـتِ عَزيـزَةً فيمـا مَضـى فَلَقَـد أَصـابَكِ خالِـدٌ بِصِـغارِ
اللَهُ سَـخَّرَها بِكَفَّـي خالِـدٍ وَلَقَـد تَكـونُ عَزيـزَةَ الأَضـرارِ
حَتّـى رَأَيـتُ تُـرابَ دِجلَـةَ خارِجـاً تَخِـدُ[4] الرِكـابُ عَلَيـهِ بِالأَوقـارِ [5]
يَجتـازُ دِجلَـةَ لا يَخـافُ خِياضَـها مَـن كـانَ يَقطَعُهـا عَلـى المِعبـارِ
إِنّـي هَتَفـتُ بِخالِـدٍ وَلَقَـد دَنَـت نَفسـي لِثُغـرَةِ نَحرِهـا لِحِظـارِ
أَنـتَ المُجِيـرُ وَمَـنْ تُجِـرْ تَعْقِـدْ لَـهُ عِنْـدَ الجِـوَارِ أَشَـدّ عَقْـدِ جِـوَارِ
مَـا زِلْـتُ فـي لهَـوَاتِ لَيْـثٍ مُخْـدِرٍ حَتـى تَـدَارَكَني أَبُـو سَـيّارِ
أَلْقَـى إِلـيّ عَلـى شَـقَائِقِ هُـوّةٍ، حَـبْلاً شَـدِيداً، غَـارَةَ الإِمْـرَارِ
حَـبْلاً أَخَـذْتُ بِـهِ، فَنَجّـاني بِـهِ رَبّـي بِنِعْمَـةِ مُـدْرِكٍ غَفّـارِ
أَرْجُـو الخُـرُوج بخَالِـدٍ، وَبخَالِـدٍ يُجْلـى العَشَـا لِكَوَاسِـفِ الأَبْصَـارِ
إِنـي وَجَـدْتُ لِخَالِـدٍ فـي قَوْمِـهِ ضَـوْءَيْنِ قَـدْ ذَهَبَـا بِكُـلّ نَهَـارِ
فـي الشّـرْكِ قَـدْ سَـبَقَا بكُـلّ كَرِيمَـةٍ تَعْلُـو القَبَائِـلَ كُـلَّ يَـوْمِ فَخَـارِ
أَمّـا البُيُـوتُ، فَقَـدْ بَنَيْـتُمْ فَوْقَهـا بَيْتـاً بِـأَطْوَلِ أَدْرُعٍ وَسَـوارِي
بَيْتـاً بِـهِ رَفَـعَ المُعَلّـى مَجْـدَهُمْ لِبَنِيـهِ، يَـوْمَ تَفَاضُـلِ الأَخْطـارِ [6]

وأكثر هذه القصيدة في مدح خالد على حفره نهر (المبارك) وما نال الناس بسبب ذلك من الخير والبركة والنماء، ثم أخذ الشاعر يمدحه بإغاثة الملهوف وبذل جواره للمستغيث، ثم تسير القصيدة على هذا النسق من مدح أجداد خالد القسري وتالد مجدهم وطريفه.

1- أسيب: السائبة الناقة التي لا تركب. الضمر: النوق.
2 - العرائك، واحدته عريكة: وعريكة الجمل والناقة: بقية سنامها. وقيل: هو السنام كله. الأكوار جمع كور وهو الرحل.
3 - المانح: المنفق. والتاجر: البائع.
4- تخد: الوخد سعة الخطو.
5 - الأوقار، واحده وقر: وهو حمل البغل أو الحمار ويستعمل في البعير.
6 - ديوان الفرزدق ص 236

5. **عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي[1] (والي سجستان) (الطويل)**

أبـــا حـــاتِمٍ مـــا حـــاتِمٌ فـــي زَمانِـــهِ ... وَلا النَيـــلُ تَرمـــي بِالسَـــفينِ غَوارِبُـــه
بِـــأَجوَدَ عِنـــدَ الجـــودِ مِنـــكَ وَلا الَّـــذي ... عَـــلا بِغُثـــاءٍ ســـورَ عانَـــةَ غارِبُـــه
يَـــداكَ يَـــدٌ يُعطـــي الجَزيـــلَ فَعالُهـــا ... وَأُخـــرى بِهـــا تَســـقي دَمـــاً مَـــن تُحارِبُـــه
وَلَـــو عُـــدَّ مـــا أَعطَيـــتَ مِـــن كُـــلِّ قَينَـــة ... وَأَجـــرَدَ خِنذيـــذٍ طِـــوالٍ ذَوائِبُـــه
لِـــيَعلَمَ مـــا أَحصـــاهُ فـــيمَن أَشَـــعتَهُ ... جَميعـــاً إِلـــى يَـــومِ القِيامَـــةِ حاسِـــبُه
وَأَنـــتَ اِمـــرُؤٌ لا نايِـــلُ اليَـــومِ مـــانِعٌ ... مِـــنَ المـــالِ شَـــيئاً غَـــدٍ أَنـــتَ واهِبُـــه
وَمـــا عَـــدَّ ذو فَضـــلٍ عَلـــى أَهـــلِ نِعمَـــةٍ ... كَفَضـــلُكَ عِنـــدي حـــينَ عَبَّـــت عَواقِبُـــه
تَـــدارَكَني مِـــن خالِـــدٍ بَعـــدَما اِلتَقَـــت ... وَراءَ يَـــدي أَنيابُـــهُ وَمَخالِبُـــه
وَكَـــم أَدرَكَـــت أَســـبابَ حَبلَـــكَ مِـــن رَدٍ ... عَلـــى زَمَـــنٍ بـــاداكَ وَالمَـــوتُ كارِبُـــه
مَـــدَدتَ لَـــهُ مِنهـــا قِـــوىً حـــينَ نالَهـــا ... تَـــنَفَّسَ فـــي رَوحٍ وَأَســـهَلَ جانِبُـــه
وَثَغـــرٍ تَحامـــاهُ العَـــدُوُّ كَأَنَّـــهُ ... مِـــنَ الخَـــوفِ ثَـــأرٌ لا تَنـــامُ مَقانِبُـــه
وَقَـــومٌ يَهُـــزّونَ الرِمـــاحَ بِمُلتَقـــىً ... أَســـاوِرُهُ مَرهوبَـــةٌ وَمَزارِبُـــه
تَـــرى بِثَنايـــاهُ الطَلاِيـــعِ تَلتَقـــي ... عَلـــى كُـــلِّ ســـامي الطَـــرفِ ضـــافٍ سَـــبابِبُه
كَـــأَنَّ نَســـا عُرقوبِـــهِ مُتَحَـــرِّفٌ ... إِذا لاحَـــهُ المِضـــمارُ وَاِنضَـــمَّ حالِبُـــه
لَـــهُ نَسَـــبٌ بَـــينَ العَنـــاجيجِ[2] يَلتَقـــي ... إِلـــى كُـــلِّ مَعـــروفٍ مِـــنَ الخَيـــلِ ناسِـــبُه
رَكِبـــتُ لَـــهُ سَـــهلَ الأُمـــورِ وَحَزنَهـــا ... بِـــذي مِـــرَّةٍ حَتّـــى أُذِلَّـــت مَراكِبُـــه[3]

وعبيد الله بن أبي بكرة ضرب بجوده المثل وسارت به الركبان, فلا غرو أن يدلو الفرزدق بدلوه مع من يمدح هذا الجواد الكبير الذي قال فيه الذهبي" ...وقيل: كان ينفق على أهل مئة وستين داراً من جيران داره.ويعتق في كل عيد مئة مملوك.وقيل: إن المهلب طلب منه لبن بقر، فبعث إليه بسبع مئة بقرة ورعاتها ووصل ابن مفرغ الشاعر بخمسين ألفا."[4] والفرزدق يفضله على حاتم الطائي المضروب به المثل في الجود بل يفضله على النيل الهادر الأمواج الذي يحيي به الله ما اغبر من الأرض. وقد جمع الفرزدق له الجود والشجاعة في قوله:

يَـــداكَ يَـــدٌ يُعطـــي الجَزيـــلَ فَعالُهـــا ... وَأُخـــرى بِهـــا تَســـقي دَمـــاً مَـــن تُحارِبُـــه

1- عبيد الله بن أبي بكرة الثقفي، أبو حاتم:. تابعي ثقة. من أهل البصرة. كان أمير سجستان، وليها وعزل عنها. ثم وليها في إمرة الحجاج. وولي قضاء البصرة. وهو ابن الصحابي " أبي بكرة " نفيع بن الحارث ، وكانت لعبيد الله ثروة واسعة، فاشتهر بأخبار من الجودوالإنفاق تشبه الخيال توفي سنة 79وقيل 80هـ . / ابن عساكر,مختصرتاريخ دمشق ج16 ص5

2- العناجيج، الواحد عنجوج: الفرس الطويل.

3- ديوان الفرزدق ص 51

4 - الذهبي,شمس الدين, سير أعلام النبلاء,تحقيق بإشراف أرناؤوط,دارالرسالة, 1405 (4|138)

6. الجراح بن عبد الله الحكمي[1] (والي البصرة وخراسان)

يقول فيه الفرزدق مبتدئا بوصف الراحلة : الوافر

كَـــأَنَّ فَريـــدَةً سَـــفعاءَ راحَـــت ... بِرَحلـــي أو بَكَـــرتُ بِهـــا اِبتِكـــارا
لَهـــا بِـــدُخولِ حَومَـــلَ بَحزَجِـــيٌّ[2] ... تَـــرى فـــي لَـــونِ جُدَّتِـــهِ اِحمِـــرارا
كَلَـــونِ الأَرضِ يَرقُـــدُ حَيـــثُ يُضـــحي ... بِـــأَعلى التَلـــعِ أَضـــمَرَتِ الحِـــذارا
عَلَيـــهِ فَلَـــم يَئِـــل وَرَأى خَليـــعٌ ... قَليـــلُ الشَـــيءِ يَتَّبِـــعُ القِفـــارا
تَحَرّيهـــا إِلَيـــهِ وَحَيـــثُ تَنـــأى ... بِشَـــوقِ الـــنَفسِ تَرهَـــبُ أَن يُضـــارا
إِذا جَمَعَـــت لَـــهُ لَبَنـــاً أَتَتـــهُ ... بِضَـــهلٍ وَتينِهـــا تَخشـــى الغِـــرارا
فَـــأَوجَسَ سَـــمعُها مِنـــهُ فَأَصـــغَت ... غَمـــاغِمَ بِالصَـــريمَةِ[4] أَو خُـــوارا
فَطافَـــت بِـــالهَبيرِ[3] بِحَيـــثُ كانَـــت ... بِـــدِرَّتِها تَعَهَّـــدُهُ مِـــرارا
فَلاقَـــت حَيـــثُ كـــانَ دَمـــاً وَمَســـكاً ... حَـــديثَ العَهـــدِ قَـــد سَـــدِكَ الغُبـــارا
فَراحَـــت كَالشِـــهابِ رَمـــى عِشـــاءً ... بِـــهِ الغُلمـــانُ تَقـــتَحِمُ الخَبـــارا
فَتِلـــكَ كَـــأَنَّ راحِلَتـــي اِســـتَعارَت ... قَوائِمَهـــا الخَوانِـــفَ[5] وَالفَقـــارا
وَإِنّـــا أَهـــلُ بادِيَـــةٍ وَلَســـنا ... بِأَهـــلِ دَراهِـــمٍ حَضَـــروا القَـــرارا
أُزَكّـــي عِنـــدَ إِبـــراهيمَ مـــالي ... وَأَغـــرِمَ عَـــن عُصـــاةِ بَنـــي نَـــوارا
فَـــإِلّا يَـــدفَعُ الجَـــرّاحُ عَنّـــي ... أَكُـــن نَجمـــاً بِغَـــربِ الأَرضِ غـــارا
فَلَـــوْلا أَنْـــتَ قَـــدْ هَبَطَـــتْ رِكـــابي ... مِـــنَ الأَوْدَاةِ أَوْدِيَـــةً قِفَـــارَا
قَوَاصِـــدَ للإِمـــام مُقَلِّصَـــاتٍ، ... يَصِـــلْنَ بِلَـــيْلِهِنّ بِنَـــا النّهَـــارَا
كَـــأَنّ نَعَائِمـــاً تَعْـــوِي بُرَاهَـــاً، ... إِذا سَـــفَرَتْ مَحازِمُهـــا الضِّـــفَارَا
وَمَـــنْ يَرَنَـــا، وَأَرْحُلُنَـــا عَلَيْهَـــا، ... يُخَيِّـــلْ أَنّ ثَـــمّ بِهِـــا نَفَـــارَا
بِأَرْحُلِنَـــا يَخِـــدِنَ، وَقَـــدْ جَعَلْنَـــا ... لِكُـــلّ نَجيبَـــةٍ مِنْهَـــا زِيَـــارَا
وَلَـــوْلا مَوْقِـــعُ الأَحْنَـــاءِ مِنْهَـــا، ... ومَـــسُّ حِبالِهَـــا، حُسِـــبتْ صُـــواراَ
نُضَـــارُ الدّاعِرِيَّـــةِ إِنَّ مِنْهَـــا ... إِذا نُسِـــبَتْ أَسِـــرّتُهَا، نُضَـــارَا
كَـــأَنّ نَجَـــاءَ أَرْجُلِهِـــنّ لَمّـــا ... ضَـــرَحْنَ المَـــرْوَ يَقتَـــدحُ الشّـــرَارَا
كَـــأَنّ نِعَـــالَهُنّ مُخَـــدَّمَاتٍ ... عَلَـــى شَـــرَكِ الطّرِيـــقِ إِذا اســـتَنارَا

1- الجراح بن عبد الله الحكمي، أبو عقبة: أمير خراسان، وأحد الاشراف الشجعان، دمشقي الأصل والمولد. ولي البصرة للحجاج، ثم خراسان وسجستان لعمر بن عبد العزيز، وعزله لشدة بلغته عنه، فأقام إلى أن ولاه يزيد بن عبد الملك إمارة أرمينية وأذربيجان، فانصرف إليها بجيش كثيف، وغزا الخزر وغيرهم، فافتتح حصن بلنجر وحصوناً أخرى. ومات يزيد، فأقره هشام بن عبد الملك زمنا، ثم عزله سنة 108 هـ وأعاده سنة 111 هـ فانصرف إلى الغزو والفتح، فاستشهد غازياً بمرج أردبيل سنة 112ه، قتله الخزر. ورثاه كثير من الشعراء. قال الزرقي: كان الجراح يد الله على خراسان كلها، حربها وصلاتها ومالها. وقال الواقدي: كان البلاء بمقتل الجراح على المسلمين عظيماً فبكوا عليه في كل جند. الأعلام للزركلي (115|2)

2- الدخول وحومل مواضع بين إمرة وأسود العين. البحزجي: ولد البقرة الوحشية.

3- الهبير: المطمئن في الرمل، وقيل الهبير: رمل زرود في طريق مكة.

4 - الصريمة: القطعة المنقطعة من معظم الرمل.

5 - الخوانف، الواحد خانف: البعير يميل رأسه إلى راكبه في عدوه.

تَســـــاقُطُ رِيـــــشِ غَادِيَـــــةٍ وَغَـــــادٍ، حَمـــــامَيْ قَفْـــــرَةٍ وَقَعَـــــا فَطَـــــارَا
تَبِعْنَـــــا مَوْقِـــــعَ النّسْـــــرَينِ[1] حَتـــــى تَرَكْنَـــــا مُـــــخَّ أسْـــــمَنِهِنّ رَارَا
إذاً لأقَمْـــــتُ أعْنَـــــاقَ المَطَايَـــــا إلـــــى مَلِـــــكٍ، إلَيـــــهِ المُلْـــــكُ صَـــــارَا
أغَـــــرَّ تَنَظَّـــــرُ الآفَـــــاقُ مِنْـــــهُ غُيُومـــــاً، غَيـــــرَ مُخْلِفَـــــةٍ غِـــــرَارَا
تُرَاثـــــاً غَيـــــرَ مُغْتَصَـــــبٍ، وَلِكـــــنْ لِعَـــــدْلِ مَشُـــــوَرَةٍ كَـــــانُوا خِيَـــــارَا
هُـــمُ وَرِثُـــوا الخلافـــةَ حَيـــثُ شُـــقّتْ عَصَـــا الإسْـــلامِ وَاشـــتغرَ اشـــتغارَا[2]
قُلُـــوبُ مُنـــافِقِينَ طَغَـــوْا وَشَـــبّوا بِكُـــلّ ثَنِيّـــةٍ بِـــالأرْضِ، نَـــارَا
وَلَكِنّـــي اطْمَـــأنّ حَشَـــايَ لَمّـــا عَقَـــدْتَ لَنَـــا بـــذِمّتِكَ الجِـــوَارَا
وَمَـــنْ تَعْقِـــدْ لَـــهُ بيَـــدَيْكَ حَـــبْلاً فَقَـــدْ أخَـــذَتْ يَـــداهُ لَـــهُ الخِيَـــارَا
وَمـــا تَـــكُ يـــا ابـــنَ عَبْـــدِ الله فِينَـــا فَـــلا ظُلْمـــاً نَخـــافُ وَلا افْتِقَـــارَا
سَـــيَبْلُغُ مَـــا جَزَيتُـــكَ مـــن ثَنَـــائي بِمَكّـــةَ، مَـــنْ أقَـــامَ بهَـــا وَسَـــارَا
ثَنَـــاءً لَسْـــتُ كَاذِبَـــهُ، كَفَتْنـــي يَـــداكَ نَوَائِـــبَ الحَـــدَثِ الكِبَـــارَا

وتشبيه الخليفة الذي تنتظم فيه الخرزات بديع فإذا انفرط سقطت الخرزات وتشتت نظامها. ومما قاله أيضا:

وَبَشَّـــرَتِ السَـــماءُ الأَرضَ لَمّـــا تَحَـــدَّثنا بِإقبـــالِ الإمـــامِ
إِلـــى أَهـــلِ العِـــراقِ وَإِنَّمـــا هُـــم بَقايـــا مِثـــلُ أَشـــلاءٍ وَهـــامِ
أَتانـــا زائِـــراً كانَـــت عَلَينـــا زِيارَتَـــهُ مِـــنَ الـــنِعَمِ العِظـــامِ
أَميـــرُ المُـــؤمِنينَ بِـــهِ نُعِشـــنا وَجُـــدَّ جِبـــالُ آصـــارِ الإِثـــامِ
فَجـــاءَ بِسُـــنَّةِ العُمَـــرَينِ فيهـــا شِـــفاءٌ لِلصُـــدورِ مِـــنَ السَـــقامِ
رَآكَ اللَهُ أَولـــى النـــاسِ طُـــرّاً بِـــأَعوادِ الخِلافَـــةِ وَالسَـــلامِ
إِذا مـــا ســـارَ فـــي أَرضٍ تَراهـــا مُظَلَّلَـــةً عَلَيـــهِ مِـــنَ الغَمـــامِ
رَأَيتُـــكَ قَـــد مَـــلَأتَ الأَرضَ عَـــدلاً وَضَـــوءًا وَهـــيَ مُلبَسَـــةُ الظَـــلامِ
رَأَيـــتُ الظُلـــمَ لَمّـــا قُمـــتَ جُـــذَّت عُـــراهُ بِشَـــفرَتَي ذَكَـــرٍ هُـــذامِ
تَعَـــنَّ فَلَســـتَ مُـــدرِكَ مـــا تَعَنّـــى إِلَيـــهِ بِســـاعِدَي جُعَـــلِ الرَغـــامِ
سَـــتَخزى إِن لَقيـــتَ بِغَـــورِ نَجـــدٍ عَطِيَّـــةَ بَـــينَ زَمـــزَمَ وَالمَقـــامِ
عَطِيَّـــةَ فـــارِسَ القَســـعاءِ يَومـــاً وَيَومـــاً وَهـــيَ راكِـــدَةُ الصِـــيامِ
إِذا الخَطَفـــى لَقيـــتَ بِـــهِ مُعيـــداً فَأَيُّهُمـــا يُضَـــمِّرُ لِلضِـــمامِ

1- النسرين: ورد أبيض عطري قوي الرائحة واحدته نسرينة.
2- اشتغرت الإبل: كثرت واختلفت.

بداية المديح :

وَمَـــنْ يَعْقِـــدْ لَـــهُ الجَـــرّاحُ حَـــبْلاً ... فَـــــلا يَخْشَـــــى لِذِمّتِـــــهِ غِـــــرَارَا
إذا قَحْطَـــــانُ بِـــــالخَيْفَينِ لاقَـــــتْ، ... إذا احتَصَـــــرَتْ مَناسِـــــكَها نِـــــزَارَا
رَأوْا لَـــكَ غُـــرّةً فَضَـــلَتْ عَلَـــيْهِمْ ... مِـــنَ الأحْســـاب وَالعَـــدَدِ الكُثَّـــارَا
إذا قَـــزِعَ النّسَـــاءُ فَـــلا تُبَـــالي ... لهَـــا سُـــوقاً خَـــرَجْنَ وَلا خِمَـــارَا
خَفَضْـــنَ إذا رَأيْنَـــكَ كُـــلَّ ذَيْـــلٍ ... وَوَارَيـــنَ الخَلاخِـــلَ وَالسّـــوَارَا[1]

يبدع الفرزدق في مدحه وقد بدأ القصيدة بوصف ناقته وسرعة سيرها وتقلبات أحوالها وذلك على عادة الجاهليين في ذكر النوق وسيرها وهذا لأنها دابتهم التي تبلغهم المأمول من أصحاب الرفد بخلاف الخيل التي تذكر عند القتال ومعاركة الأبطال.ثم يذكر أنه غارم لبعض عصاة قبيلته وليس له سوى الجراح من ملجأ يفرج كربه ويدفع عنه غائلة ما تحمل, ثم يعود إلى ذكر النوق وصفاتها ثم يتبع ذلك بذكر الممدوح كلما سنحت له سانحه.

7. **جرير بن عبد الله البجلي[2]) – (والي همذان) يقول فيه الفرزدق: الطويل**

لَـــولا جَريـــرٌ لَـــم تَكـــوني قَبيلَـــةً ... بَجيـــلٌ وَلَكِـــن جَـــدُّهُ بِـــكِ أَصـــعَدا
بِـــهِ جَمَـــعَ اللهُ التَشَـــتُّتَ مِـــنكُمُ ... كَمـــا جَمَعَـــت ريـــحٌ جَهامـــاً مُبَـــدَّدا
وَنَهنَـــهَ كَلبـــاً عَـــنكُمُ بَعـــدَما سَـــمَت ... لِخالِـــدِها فـــي يَـــومِ ضَـــنكٍ فَعَـــرَّدا
لَيـــالِيَ يَـــدعو اِبنَـــي نِـــزارٍ لِنَصـــرِهِ ... إِلـــى النَسَـــبِ الأَدنـــى إِلَيـــهِ فَأَيَّـــدا
وَلَـــم يَـــدعُ مَـــن كانَـــت بَجيلَـــةُ قَبلَـــهُ ... إِلـــى النَسَـــبِ المَغمـــورِ لَكِـــن تَمَعـــدَدا[3])
أَخالِـــدُ لَـــو حـــافَظتُمُ وَشَـــكَرتُمُ ... عَـــرَفتُم لِعَبـــدِ القَـــيسِ عِنـــدَكُمُ يَـــدا
هُـــمُ مَنَعـــوكُم بَعـــدَما قَـــد غَنيـــتُمُ ... إِمـــاءً لِعَبـــدِ القَـــيسِ دَهـــراً وَأَعبُـــدا[4])

هذه قصيدة مدح أشبه بالهجاء فالفرزدق يعرض بقبيلة بجيلة في معرض مدحه جرير بن عبد الله البجلي رضي اللهُ عنه الصحابي الجليل.

1- ديوان الفرزدق ص 171

2- أبو عمرو جرير بن عبد الله البجلي - وقد قيل كنيته أبو عبد الله - وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دنا من المدينة أناخ راحلته وحل عيبته ولبس حلته فأقبل والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقد قال لهم: يطلع عليكم رجل من اليمن به مسحة ملك، وألقى له رداءه وقال: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه، ما حجبه رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلم ولا رآه إلا تبسم في وجهه، خرج إلى قرقيسيا من الكوفة وسكنها، وتوفي بها سنة إحدى وخمسين. الأنساب للسمعاني'تحقيق عبدالرحمن المعلمي,مجلس دائرة المعارف العثمانية,ط1,1962 (1|284) . صحب رسول الله وروى عنه أحاديث صالحة./ مختصرتاريخ دمشق,ج6ص 27

3- انتسب إلى معد بن عدنان.

4- ديوان الفرزدق ص 141

8. بشر بن مروان[1] (والي الكوفة والبصرة) يقول فيه الفرزدق : الطويل

لــولا يــدا بشــرِ بــنِ مــروانَ لــمْ أبــلْ ... تشــكَّر غــيظٍ فــي فــؤادِ الملهــبِ
فــإنْ تغلــقِ الأبــوابَ دونــي وتحتجــبْ ... فمــا لــيَ مــنْ أمٍ بغــافٍ ولا أبِ
ولكــنّ أهــلَ القــريتينِ عشيــرتي ... وَلَيسـوا بــوَادٍ مِــنْ عُمــانَ مَصَــوّبِ
غَطــارِيفُ مــن قَــيسٍ مَتــى أدْعُ فــيهِمِ ... وخنــدفَ[2] يــأتوا للصــريخِ المثــوبِ[3]
ولا نشــرَ الجــاني ثباتــاً أمامهــا ... وَلا انتَقلــتْ مــن رَهبــةٍ سَــيلَ مِــذنَبِ
ولا أرقــصَ الرّاعــي إليهــا معجّــلاً ... بِوَطْــبِ لَقَــاحٍ أوْ سَــطيحَةِ مُعــزِبِ[4]

وقال فيه أيضاً:

لِبِشْــرِ بــنِ مَــرْوَانٍ عَلــى كُــلّ حَالَــةٍ ... مــن الــدّهرِ فضْــلٌ فــي الرَّخــاء وفــي الجَهــدِ
قريــعُ قــريشٍ والــذي بــاعَ مالــهُ ... ليكســبَ حَمــداً حِــينَ لا أحــدٌ يُجــدي
ينــافسُ بشــرٌ فــي الســماحةِ والنــدى ... ليحــرزَ غايــاتِ المكــارمِ بالحمــدِ
فكَــمْ جبــرَتْ كفّــاكَ يــا بشــرُ مــن فتــىً ... ضــريكٍ وكــمْ عليــتَ قومــاً علــى عمــدِ
وَصَــيّرْتَ ذا فَقْــرٍ غَنِيّــاً ،وَمُثْرِيــاً فَقيــراً ... وَكُــلاًّ قــد حَــذَوْتَ بــلا وَعْــدِ[5]

أبيات في المدح بالجود والكرم فهو يصف ممدوحه بمن باع ماله من أجل كسب المحامد ،وهو ينافس غيره فيسبق تارة ويخفق أخرى.

وقال فيه أيضا متغنيا بشجاعته: البسيط

يــا بِشــرُ إنَّــكَ سَــيفُ اللهِ صــيلَ بِــهِ ... عَلــى العَــدُوِّ وَغَيــثٌ يُنبِــتُ الشَــجَرا
مَــن مِثــلُ بِشــرٍ لِحَــربٍ غَيــرِ خامِــدَةٍ ... إذا تَسَــربَلَ بِالمــاذِيِّ وَاتَّــزَرا
العاصِــبِ الحَــربَ حَتّــى تَســتَقيدَ لَــهُ ... بِالمَشــرِفِيَّةِ وَالعــافي إذا قَــدَرا
سَــيفٌ يَصــولُ أَميــرُ المُــؤمِنينَ بِــهِ ... وَقَــد أَعَــزَّ بِــهِ الــرَحمَنُ مَــن نَصَــرا
كَمُخــدِرٍ مِــن لُيــوثِ الغيــلِ ذي لِبَــدٍ ... ضِــرغامَةٍ يَحطِــمُ الهامــاتِ وَالقَصَــرا
تَــرى الأُســودَ لَــهُ خُرســاً ضَــراغِمُها ... يَســجُدنَ مِــن فَــرَقٍ مِنــهُ إذا زَأَرا
مُســتَأنِسٍ بِلِقــاءِ النــاسِ مُغتَصِــبٍ ... لِلأَلــفِ يَأخُــذُ مِنــهُ المِقنَــبُ الخَمَــرا[7]
كَأَنَّمــا يَنضَــحُ العَطّــارُ كَلكَلَــهُ[6] ... وَســاعِدَيهِ بِــوَرسٍ يَخضِــبُ الشَــعَرا
وَمــا فَرِحــتُ بِبُــرءٍ مِــن ضَــنى مَــرَضٍ ... كَفَرحَــةٍ يَــومَ قــالوا أَخبَــرَ الخَبَــرا
أَلفَــتحُ عِكرِمَــةُ البَكــرِيُّ خَبَّرَنــا ... أَنَّ الرَبيــعَ أَبــا مَــروانَ قَــد حَضَــرا

1- بشر بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي أحد الأجواد، ولي العراقين لأخيه عند مقتل مصعب، وداره بدمشق ,ولاه أخوه عبدالملك الكوفة والبصرة سنة خمس وسبعين، وله نيف وأربعون سنة. مختصر تاريخ دمشق ج5/ 215

2- خندف: خندف امرأة إلياس بن مضر، واسمها ليلى، نسب ولد إلياس إليها.

3- المثوب: من يلوح بثوبه يبتغي النجدة.

4- ديوان الفرزدق ص 18

5- السابق ص 160

6- الكلكل: لحم الصدر.

7 - المقنب: القطعة من الخيل

ثم يتحدث عن كرم بشر فيقول:

فَقُلْتُ للنّفْسِ: هَذي مُنيَةٌ صَدقتْ ... وَقَدْ يُوَافِقُ بَعضُ المُنيَةِ القَدَرَا
كُنّا أُنَاساً بِنَا اللأوَاءُ فَانْفَرَجَتْ ... عَن مثلِ مَرْوَانَ بالمصرَينِ أوْ عمرَا
مُشَمِّرٌ يَستَضيءُ المُظْلِمُونَ بِهِ، ... يَنْكي العَدُوَّ وَنَستَسقي بِهِ المَطَرَا
ما النّيلُ يَضْرِبُ بالعِبْرَينِ دارِئَهُ ... وَلا الفُرَاتُ إذا آذِيُّهُ زَخَرَا
يَعْلُو أعَالِيَ عَانَاتٍ بِمُلْتَطِمٍ، ... يُلْقي على سُورِها الزّيتونَ وَالعُشَرَا
تَرَى الصَّرارِيَّ وَالأمَواجُ تَلطِمُهُ ... لَوْ يَسْتَطِيعُ إلى بَرّيةٍ عَبَرَا
إذا عَلَتْهُ ظِلالُ المَوْجِ وَاعْتَرَكَتْ ... بِوَاسِقَاتٍ تَرَى في مائِها كَدَرَا
بِمُسْتَطِيعٍ نَدَى بِشْرٍ عُبَابُهُمَا ... وَلَوْ أعانَهُمَا الزّابُ إذا انْحَدَرَا
لَهُ يَدٌ يَعْلِبُ المُعْطِينَ نَائِلُهَا، ... إذا تَرَوّحَ للمَعْرُوفِ أوْ بَكَرَا
تَغْدُو الرّيَاحُ فتُمسي وَهيَ فاتِرَةٌ ... وَأنْتَ ذُو نَائِلٍ يُمْسِي وَما فَتَرَا

ثم يتحدث عن هيبته فيقول:

تَرَى الرّجَالَ لِبِشرٍ وَهْيَ خَاشِعَةٌ ... تَخَاشُعَ الطّيْرِ لِلْبَازي إذا انكدَرا.
مِنْ فَوقِ مُرْتَقِبٍ باتَتْ شامِيَةٌ ... تُلْقّهُ، وَسَمَاءٌ تَنْضَحُ الدِّرَرَا
حَتى غَدا لَحِماً من فَوْقِ رَابِيَةٍ، ... في لَيْلَةٍ كَفّتِ الأظفارَ وَالبَصَرَا
إذا رَأتْهُ عِتَاقُ الطّيْرِ أوْ سَمِعَتْ ... مِنِ هَوِيّاً تَشَظّتْ تَبتغي الوَزَرَا

ثم يتحدث عن نصرة بشر للدين ومحاربته الفتن :

أصْبَحَ بَعدَ اختلافِ النّاسِ بَيْنَهُمُ ... بِآلِ مَرْوَانَ دِينُ الله قَدْ ظَهَرَا
مِنْهُمْ مَساعِرَةُ الشّهباءِ إذ خمدتْ ... وَالمُصْطَلوها إذا مَشْبوبُها استَعَرَا
خَلِيفَةُ الله مِنْهُمْ في رَعِيّتِهِ، ... يَهْدِي بِهِ الله بَعْدَ الفِتْنَةِ البشرَا
بِهِ جَلا الفِتْنَةَ العَمياءَ فانكَشَفَتْ ... كَما جَلا الصّبحُ عَنهُ اللّيلَ فانسفَرَا
لَوْ أنّني كنتُ ذا نَفسَينِ إنْ هَلَكَتْ ... إحداهُما كانَتِ الأخرَى لمنْ غَبَرَا
إذاً لجِئْتُ على ما كانَ من وَجَلٍ ... وَمَا وَجَدْتُ حِذاراً يغلِبُ القَدَرَا

ثم يرى أن بشرا أمان الخائفين في قوله :

كُلُّ امْرِىءٍ آمِنٌ للخَوْفِ أمّنَهُ ... بِشرُ بنُ مَرْوَانَ وَالمَذعورُ من ذَعرَا
فَرْعٌ تَفَرّعَ في الأعيَاصِ مَنْصِبُهُ، ... وَالعامِرَينِ لَهُ العِرْنينُ من مُضرَا
مُعْتَصِبٌ بِرِدَاءِ المُلْكِ، يَتْبَعُهُ ... مَوْجٌ تَرَى فَوْقَهُ الرّايَاتِ وَالقَتَرَا
مِنْ كُلّ سَلْهَبَةٍ تَدْمى دَوَابِرُها ... مِنَ الوَجا وَفُحولٍ تَنفُضُ العُذَرَا
وَالخَيلُ تُلقي عِتاقَ السَّخلِ[1] مُعجَلَةً ... لأياً تُبِينُ بِها التّحْجيلَ وَالغُرَرَا
حَوّاً تُمَزّقُ عَنْها الطّيْرُ أرْدِيَةً، ... كغِرْقِىء البَيض كَنّتْ تحتَها الشّعَرَا
شَقَائِقاً مِنْ جِيَادٍ غَيْرِ مُقْرِفَةٍ، ... كما شَقَقتُ من العُرْضِيّةِ الطُّرَرَا
يُزَيّنُ الأرْضَ بِشْرٌ أنْ يَسِيرَ بها، ... ولا يَشُدّ إلَيْهِ المُجْرِمُ النّظَرَا[2]

1- السخل: ولد الشاة كنى به عن ولد الخيل.
2- ديوان الفرزدق ص 204

هذه قصيدة قوية في مدح بشر بن مروان دبجها الفرزدق يبكي في مستهلها على الشيب الذي وخطه وعيرته به العذارى ثم يذهب بقوة إلى مدح بشر في شجاعته ويصفه بالسيف والغيث في بيت واحد:

يـــا بِشـــرُ إِنَّـــكَ سَـــيفُ اللهِ صـــيلَ بِـــهِ ... عَلـــى العَـــدُوِّ وَغَيـــثٌ يُنبِـــتُ الشَـــجَرا
مَـــن مِثـــلُ بِشـــرٍ لِحَـــربٍ غَيـــرِ خامِـــدَةٍ ... إِذا تَسَـــــــربَلَ بِالمـــــــاذِيِّ وَاتَّـــــــزَرا

ثم يسير على هذه الوتيرة في وصفه بالشجاعة حتى إذا رضي من نفسه جاء بالعجاب:

مـــا النّيـــلُ يَضْـــرِبُ بـــالعِبْرَينِ دارِئَـــهُ ... وَلا الفُـــــرَاتُ إذا آذِيُّـــــهُ زَخَـــــرَا
يَعْلُـــو أعَـــاليَ عَانَـــاتٍ بِمُلْـــتَطِمٍ، ... يُلْقـــي علـــى سُـــورِها الزّيتـــونَ وَالعُشَـــرَا
تَـــرَى الصَّـــرارِيَّ وَالأمَـــواجُ تَلطِمُـــهُ، ... لَـــوْ يَسْـــتَطِيعُ إلـــى بَرّيـــةٍ عَبَـــرَا
إذا عَلَتْـــهُ ظِـــلالُ المَـــوْجِ وَاعْتَرَكَـــتْ ... بِوَاسِـــقَاتٍ تَـــرَى فـــي مائِهـــا كَـــدَرَا
بِمُسْـــتَطِيعِ نَـــدَى بِشْـــرٍ عُبَابُهُمَـــا ... وَلَـــوْ أعانَهُمَـــا الـــزّابُ إذا انْحَـــدَرَا

يرى الفرزدق أن بشراالتقت فيه الشجاعة والندى فأثمرت والتفت أغصان بانها في خصب العراقين.

9. حسان بن سعد الأسيدي.[1] (والي البحرين) . يقول فيه الفرزدق: الوافر

إذا مـــــا كنـــــت متخـــــذاً خلـــــيلاً ... فخالـــــل مثـــــل حســـــان بـــــن ســـــعد
فتـــــى لا يـــــرزأ الخـــــلان شـــــيئاً ... ويـــــرزؤه الخليـــــل بغيـــــر كـــــد[2]

بيتان جمعا كل الحسن ،فما ترك شيئاً من المجد من لا يرزأ الناس شيئاً وذلك لعفته وحيائه بينما يرزؤه الناس بغير كد وذلك لكرم نفسه وسماحته ونبله.

1- هو من أشراف بني تميم كان من أهل البصرة, وبنى مسجد بني أسيد بالبصرة, ثم انتقل للكوفة. (بعلى,حفناوي,حفريات ثقافيةأسطورية,دروب للنشروالتوزيع,ط2, 2011, ص475

2 - ديوان الفرزدق ص 120

10 . نصر بن سيار [1] (والي خراسان في الدولة الأموية) يقول فيه الفرزدق: الطويل

كَيفَ نَخافُ الفَقرَ يا طَيبَ بَعدَما ... أَتَتنا بِنَصرٍ مِن هَراةَ مَقادِرُه
وَإِن يَأتِنا نَصرٌ مِنَ التُركِ سالِماً ... فَما بَعدَ نَصرٍ غائِبٌ أَنا ناظِرُه
تَنَظَّرتُ نَصراً وَالسِماكَينِ أَيهُما ... عَلَيَّ مِنَ الغَيثِ اِستَهَلَّت مَواطِرُه
مَضى كَمُضِيِّ السَيفِ مِن كَفِّ حازِمٍ ... عَلى الأَمرِ إِذ ضاقَت عَلَينا مَصادِرُه
إِذا ما أَبى نَصرٌ أَبَت خِندِفٌ لَهُ ... وَقَد عَزَّ مَن نَصرٌ إِذا خافَ ناصِرُه
إِذا ما اِبنُ سَيّارٍ دَعا خِندِفَ الَّتي ... لَها مِن أَعَزِّ المَشرِقَينِ قَساوِرُه
أَتَتهُ عَلى الجُردِ الهَذاليلِ[2] فَوقَها ... دُروعُ سُلَيمانٍ لَها وَمَغافِرُه
أَرى الناسَ مِنّا رَبُّهُم حينَ تَلتَقي ... إِلى زَمزَمٍ رُكبانُ نَجدٍ وَغائِرُه
لَنا كُلُّ بِطريقٍ إِذا قامَ لَم يَقُم ... مِنَ الناسِ إِلّا قائِمٌ هُوَ آمِرُه
هُوَ المالِكُ المَهدِيُّ وَالسابِقُ الَّذي ... لَهُ أَوَّلُ المَجدِ التَليدِ وَآخِرُه

ثم نرى هذا الوصف الجيد بالكرم:

تَنَظّرتُ نَصراً أَن يَجيءَ وَإِن يَجِئ ... فَإِنّي كَمَن قَد مَرَّ بِالسَعدِ طائِرُه
رَجَوتُ نَدى نَصرٍ وَدونَ يَمينِهِ ... فُراتانِ وَالطافي بِبَلخٍ قَراقِرُه
فَأَصبَحتُ أَعطى الناسِ لِلخَيرِ وَالقِرى ... عَلَيهِ لِأَضيافٍ وَجارٍ يُجاوِرُه
أَلَم تَرَ مَن يَختارُ نَصراً جَرَت لَهُ ... بِسَعدِ السُعودِ الخَيرِ بِالخَيرِ طائِرُه
لَه راحَتا كفين في راحتيهما ... من البحر فيض لا ينهنه زاخره
ولو أن مجدا في السماء وعندها ... تناوله نصر إليه يساوره[3]

مدح الفرزدق نصراً بصفات منها:الجود، والحزم، وكرم المحتد، والعزة والشجاعة، وأكثرها تكرراً صفة الجود والسخاء, وقد حشد له من الأوصاف: الكرم والجود مالم يجتمع لممدوح من قبل .

وقال فيه أيضاً: البسيط

يَرضى الجَوادُ إِذا كَفّاهُ وازَنَتا ... إِحدى يَمينَي يَدَي نَصرِ بنِ سَيّارِ
يَداهُ خَيرُ يَدَي شَيءٌ سَمِعتُ بِهِ ... مِنَ الرِجالِ لِمَعروفٍ وَإِنكارِ
العابِطَ الكَومَ[4] إِذ هَبَّت شَآمِيَةً ... وَقاتَلَ الكَلبُ مَن يَدنو إِلى النارِ
وَالقائِلَ الفاعِلَ المَيمونَ طائِرُهُ ... وَالمانِعَ الضَيمَ أَن يَدنو إِلى الجارِ
كَم فيكَ إِن عُدِّدَ المَعروفُ مِن كَرَمٍ ... وَنائِلٍ كَخَليجِ المُزبِدِ الجاري
أَنتَ الجَوادُ الَّذي تَرجى نَوافِلُهُ ... وَأَبعَدَ النَاسِ كُلِّ النَاسِ مِن عارِ

مقطوعة يمدح فيها الفرزدق نصر بن سيار بأنه كريم ينحر النوق ويفعل ما يقول ومانع للمستجير به, وقوله في البيت الرابع: (والقائل الفاعل) فقد جمع فيه للممدوح عددا من أحب الصفات لدى العربي .

وقال فيه: الطويل

1- نصر بن سيار بن رافع بن حري بن ربيعة الكناني: أمير، من الدهاة الشجعان. كان شيخ مضر بخراسان، ووالي بلخ. ثم ولي إمرة خراسان سنة 120 هـ بعد وفاة أسد بن عبد الله القسري، ولاه هشام بن عبد الملك. وغزا ما وراء النهر، ففتح حصوناً وغنم مغانم كثيرة، وأقام بمرو توفي سنة 131هـ. الأعلام (8/ 23)

2- الهذاليل، الواحد هذلول: الفرس الطويل الصلب.

3 -ديوان الفرزدق ص 246

4- العابط: عبطتُ النّاقة أعْبطها - بالكسر - عَبْطاً: اذا ذَبحتْها وليستْ بها علةٌ. الكوم، الواحدة كوماء: الناقة العظيمة السنام.

إِلَيكَ اِبنَ سَيّارٍ فَتى الجودِ واعَسَت[1] بِنا البيدَ أَعضادُ المَهاري الشَعاشِعِ[4]
كَمِ اِجتَبنَ مِن لَيلٍ يَطَأنَ خُدودَهُ إِلَيكَ وَنَشرٍ بِالضُحى مُتَخاشِعِ[5]
إِذا اِنقادَ بِالمَوماةِ[2] سامَينَ خَطمَهُ بِمائِرَةِ الآباطِ خوصِ المَدامِعِ[6]
فَلَمّا شَكَت عَضَّ الرِحالِ ظُهورُها إِلى خِندِفِيِّ الجودِ لِلضَيمِ دافِعِ
أَنَخنا بِها صُهبَ المَهاري فَجُرِّدَت مِنَ المَيسِ تَجريدَ السُيوفِ القَواطِعِ
وَأَنتَ اِمرُؤٌ تَحمي ذِمارَ عَشيرَةٍ كِرامٍ بِجَزلٍ مِن عَطائِكَ نافِعِ
جَسيمُ مَحَلِّ البَيتِ ضَمَّنَكَ القِرى أَبوكَ وَأَحداثُ الأُمورَ الجَوامِعِ
لِبَيتِكَ مِن أَفناءِ خِندِفَ كُلِّها عَرانينُ[7] لَيسَت بَالوَشيطِ التَوابِعِ
وَكُلُّ جَسورٍ بِالمِئينَ وَمُطعِمٍ إِذا اِغبَرَّ آفاقُ الرِياحِ الزَعازِعِ
فَكَم لَكَ يا نَصرَ بنَ سَيّارَ مِن أَبٍ أَغَرَّ إِذا اِلتَفَّت نَواصي المَجامِعِ
كُهولٌ وَشُبّانٌ مَساعيرُ[3] في الوَغى لَهُم بِالقَنا أَيدٍ طِوالُ الأَشاجِعِ[8]
إِذا جَرَّدوا أَسيافَهُم لِكَتيبَةٍ لَمَعنَ وَميضَ العارِضِ المُتَدافِعِ
وَأَنتَ اِبنُ أَشياخٍ إِذا نَضَبَ الثَرى مِنَ المَحلِ كانوا كَاللُيوثِ الرَوابِعِ[9]
هُمُ الضامِنونَ المالَ لِلجارِ وَالقِرى مِنَ الأَرضِ إِذ خيفَت جُدوبُ المَواقِعِ
وَلَمّا رَأَيتُ الجُودَ تَجري جِيادُهُ إِلى خَطَرٍ يُفْلى بِهِ كُلُّ مَائِعِ
مَدَحتُ جَوَاداً بَينَ سَيّارَ بَيْتُهُ، وَبَينَ حُصَينٍ بِالرّوَابي الفَوَارِعِ[10]
أَنْصَرَ بنَ سَيّارٍ بِكَفّيْكَ ضُمّنَتْ مَعَ الجُودِ ضَرْبَ الهامِ عندَ الوَقائِعِ
خَطِيبُ مُلُوكٍ لا تَزَالُ جِيادُهُ بِثَغْرٍ بَزَانٍ في ظِلالِ اللّوَامِعِ
إِذا سَدَفُ الصّبْحِ انّجَلى عن جَبينِهِ وَلَمْحُ قَطائِيٍّ[11] على السّرْجِ وَاقِعِ
غَدا فارِسَ الفُرْسانِ تَحتَ لِوَائِهِ، طِوَالَ الهَوَادِي[12] مُقْرَباتِ النّزَائِعِ
جَمَعتَ العُلى وَالجودَ وَالحلمَ تَقتَدي بِقَتْلِ أَبِيكَ الجُوعَ عَن كُلِّ جائِعِ
وَأَنتَ الجَوادُ اِبنُ الجَوَادِ وَسَيّدٌ لِسادَةِ صِدْقٍ وَالكُهولِ الأَصَابِعِ
وَأَنتَ امرُؤٌ إِنْ تُسْأَلِ الخَيرَ تُعطِهِ جَزِيلاً، وَإِنْ تَشْفَعْ تكنْ خيرَ شافعِ[13]

---

(1) واعست: مدت أعناقها.

(2) المومأة: الفلاة الواسعة

(3) مساعير، واحده مسعار: أداة من حديد تحرك بها النار كناية عن تحريكهم للحرب.

(4) أعضاد: العضد ما بين المرفق إلى الكتف. المهاري: الإبل المنسوبة إلى مهرة بن حيدان. الشعاشع، واحدها شعشع: الطويل.

(5) المتخاشع: المتطامن

(6) مائرة الآباط: متحركتها. خوص المدامع: غائرة العينين.

(7) عرانين: الأنوف، كناية عن الكبرياء.

(8) الأشاجع، واحده أشجع: عرق ظاهر اليد.

(9) الروابع: التي ترعى الربيع.

(10) الفوارع : الطوال العوالي.

(11) قطائي: القطاة موضع الردف من ظهر الفرس.

(12) الهوادي: أوائل الوحش، ومتقدماتها.

13() ديوان الفرزدق ص 356.

بدأ الفرزدق برحلة النوق إلى الممدوح وما كان من حالهن حتى بلغنه مراده، والممدوح في نظر الفرزدق أمير عظيم القدر وحوله من قومه رجال أشداء يعينونه على مكارم الأمور وعواليها ويجمع له مع الكرم الشجاعة وشدة البأس.

أنْصُـــرَ بـــنَ سَـــيّارٍ بكَفّيْـــكَ ضُـــمّنَتْ مـــعَ الجُـــودِ ضـــرْبَ الهـــامِ عنـــدَ الوَقـــائعِ

10.المهاجر بن عبد الله الكلابي[1] . (والي اليمامة استعمله عليها يزيد) يقول فيه الفرزدق : الطويل

إلَيـــكَ اِبـــنَ عَبـــدِ اللهِ أَســـنَفتُ نـــاقَتي وَقَـــد أقلَـــقَ النِســـعينِ لِلـــبَطنِ ضـــامِرُه
وَكـــائِن لَبِســـنا مِـــن رِداءٍ وَديقَـــةٍ[2] إلَيـــكَ وَلَيـــلٌ كَـــالرُوَيزِيَّ[3] ســـائِرُه
أُبـــادِرُ مَـــن يَأتيـــكَ مِـــن كُـــلِّ جانِـــبٍ مُشـــاةً وَرُكبانـــاً فَـــإنّي مُبـــادِرُه
أُبـــادِرُ كَفَّيـــكَ اللَتَـــينِ نَـــداهُما عَلـــى مَـــن بِنَجـــدٍ أَو تِهامَـــةَ مـــاطِرُه
دَعـــي النـــاسَ وَأتـــي بـــي المُهـــاجِرَ إِنَّـــهُ أَراهُ الَّـــذي تُعطـــي المَقاليـــدَ عـــامِرُه
وَمَـــن يَـــكُ أَمســـى وَهـــوَ وَعـــرٌ صُـــعودُهُ فَـــإِنَّ اِبـــنِ عَبـــدِ اللهِ سَـــهلٌ مَصـــادِرُه[4]

بدأ الفرزدق قصيدته بالغزل على عادة الجاهليين في وصف رائق له, ثم نهض وأنهض ناقته ميمماً شطر الممدوح الذي يصفه بأن الناس يتبادرون إليه من جميع النواحي:

أبـــادِرُ مَـــن يَأتيـــكَ مِـــن كُـــلِّ جانِـــبٍ مُشـــاةً وَرُكبانـــاً فَـــإنّي مُبـــادِرُه

ومدحه أيضاً بالسماحة والسهولة مع الكرم والأصالة.

1() المهاجر بن عبد الله الكلابي: والي اليمامة والبحرين في خلافة هشام والوليد بن يزيد. كان جميل الصورة توفي بعد سنة 125ه الأعلام للزركلي (7|310)

(2) الوديقة: الحر الشديد.

(3) الرويزي: ضرب من الثياب.

4() ديوان الفرزدق ص 279

11-عمر بن هبيرة الفزاري[1]. (والي على العراق) يقول فيه الفرزدق: البسيط

لَقَـــد عَلِمــتُ وَعِلــمُ المَــرءُ أَصــدَقُهُ ... مَـــن عِنـــدَهُ بِالّـــذي قَـــد قالَـــهُ الخَبَـــرُ
أَن لَـــيسَ يُجـــزِئُ أَمـــرَ المَشـــرِقَينِ مَعـــاً ... بَعـــدَ اِبـــنِ يوسُـــفَ إِلّا حَيَّـــةٌ ذَكَـــرُ
بَـــل سَـــوفَ يَكفيكَهـــا بـــازٍ تَغَلَّبَهـــا ... لَـــهُ اِلتَقَـــت بِالسُـــعودِ الشَـــمسُ وَالقَمَـــرُ
فَجـــاءَ بَينَهُمـــا نَجـــمٌ إِذا اِجتَمَعـــا ... يُشـــفى بِـــهِ القَـــرحُ وَالأَحـــداثُ تُجتَبَـــرُ
أَغَـــرَّ يَســـتَمطِرُ الهُـــلّاكُ نائِلَـــهُ ... فـــي راحَتَيـــهِ الـــدَمُ المَعبـــوطُ[2]وَالمَطَـــرُ
فَأَصـــبَحا قَـــد أَمـــاتَ اللَهُ داءَهُمـــا ... وَقَـــوَّمَ الـــدَرءَ مِـــن مَصـــرَيهِما عُمَـــرُ[3]
حَتّـــى اِســـتَقامَت رُؤوسٌ كـــانَ يَحمِلُهـــا ... أَجســـادُ قَـــومٍ وَفـــي أَعناقِهِم صَـــعَرُ
إِنَّ لِآلِ عَـــــدِيٍّ أُثلَـــــةً فَلَقَـــــت ... صَـــفاةَ ذُبيـــانَ لا تَـــدنو لَهـــا الشَـــجَرُ
مِنهـــا الثَـــرى وَحَصـــى قَـــيسٍ إِذا حُسِـــبَت ... وَالضـــارِبونَ إِذا مـــا اِغـــرَورَقَ البَصَـــرُ
فَـــلا يَكَـــذِبُ مِـــن ذُبيـــانَ فاخِرُهـــا ... إِذا القَبائِـــلُ عَـــدَّت مَجـــدَها الكُبَـــرُ
أَبـــى لَهـــا أَن تُـــدانيها إِذا اِفتَخَـــرَت ... عِنـــدَ المَكـــارِمِ وَالأَحســـابُ تُبتَـــدَرُ
إِنَّ لِآلِ عَـــــدِيٍّ فـــــي أُرومَـــــتِهِم ... بَيتَـــينِ قَـــد رَفَعَـــت مَجـــدَيهِما مُضَـــرُ
بَيـــتٌ لِآلِ سُـــكَينٍ طـــالَ فـــي عِظَـــمٍ ... وَآلِ بَـــدرٍ هُمـــا كانـــا إِذا اِفتَخَـــروا
بَيتَـــينِ تَقعُـــدُ قَـــيسٌ فـــي ظِلالِهِمـــا ... حَيـــثُ اِلتَقَـــى عِنـــدَ رُكـــنِ القِبلَـــةِ البَشَـــرُ
اســـمَع ثَنـــائي فـــإِنّي لَســـتُ مُمتَـــدِحاً ... إِلاّ امـــرَأً مِـــنْ يَدَيْـــهِ الخَيْـــرُ يُنْتَظَـــرُ
وَأَنْـــتَ ذاكَ الـــذي تُرْجَـــى نَوافِلُـــهُ ... عِنـــدَ الشّـــتاءِ إِذا مـــا دُوخِـــلَ الحُجَـــرُ
وكَـــمْ نَمَـــاكَ مِـــنَ الآبَـــاءِ مِـــنْ مَلِـــكٍ ... بـــهِ لـــذُبْيَانَ كَـــانَ الـــوِرْدُ وَالصّـــدَرُ
يـــا ابنَـــيْ سُـــكَينٍ إِذا مَـــدّتْ حِبالُهُمـــا ... حَبْلَـــينِ مَـــا فيهِمـــا ضَـــعْفٌ وَلا قِصَـــرُ
حَبْلَـــينِ طـــالا حِبـــالَ النّـــاسِ قَـــد بَلَغَـــا ... حيـــثُ انتَهـــى مـــن سَـــماءِ النّـــاظِرِ النّظَـــرُ
يـــا بَنـــي كَرِيمَـــيْ بَنـــي ذُبْيَـــانَ إِنّ يَـــداً ... عَلَـــيّ خَيـــرُ يَـــدٍ، للـــدّهْرِ، تُـــدّخَرُ
أَنْـــتَ رَجَـــائي بِأَرْضِـــي، أَنّنـــي فَـــرِقٌ ... مِـــنْ وَاسِـــطٍ وَالـــذي نَلقـــاهُ نَنْتَظِـــرُ
وَمـــا فَرِقْـــتُ وَقَـــد كانَـــتْ مَحَاضِـــرُنَا ... مِنْهَـــا قَرِيبـــاً، جِـــذارِي وِرْدَهـــا هَجَـــرُ
اسْـــأَلْ زِيَـــاداً أَلَـــمْ تَرْجِـــعْ رَوَاحِلُنـــا، ... وَنَخـــلُ أَفْـــأَنَّ، مِنّـــي بُعْـــدُهُ نَظَـــرُ[4]

يستهل الفرزدق مدحه لعمر بن هبيرة بوصفه أنه حية ذكر ترهبه الأعداء وتخشى سطوته وكعادته يجمع له بين الجود والشجاعة وشدة البأس حين يقول:

أَغَـــرَّ يَســـتَمطِرُ الهُـــلّاكُ نائِلَـــهُ ... فـــي راحَتَيـــهِ الـــدَمُ المَعبـــوطُ وَالمَطَـــرُ

فهو يعطي دماً لمن تنكب الصراط وغيثاً لمن استمنح ورغب، وهو أيضاً يذل الجبابرة:

حَتّـــى اِســـتَقامَت رُؤوسٌ كـــانَ يَحمِلُهـــا ... أَجســـادُ قَـــومٍ وَفـــي أَعناقِهِم صَـــعَرُ

1() عمر بن هبيرة بن سعد بن عدي الفزاري، أبو المثنى: أمير، من الدهاة الشجعان. كان رجل أهل الشام. وهو بدوي أمي. صحب عمرو بن معاوية العقيلي في سيره لغزو الروم، فأظهر بسالة. وشارك في مقتل مطرف بن المغيرة، المناوئ للحجاج الثقفي، وأخذ رأسه، فسيره به الحجاج إلى عبد الملك بن مروان، فسر به عبد الملك وأقطعه إقطاعاً ببرزة (من قرى دمشق). ولما صارت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز ولاه الجزيرة، فتوجه إليها. وغزا الروم من ناحية أرمينية فهزمهم وأسر منهم خلقاً كثيراً واستمر على الجزيرة إلى أن كانت خلافة يزيد بن عبد الملك، فولاه إمارة العراق وخراسان، فكانت إقامته في الكوفة. ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة 105 هـ وولى خالد بن عبد الله القسري، فحبسه خالد في سجن واسط، توفي حوالي سنة 110 ه. اعلام للزركلي (5|68)

(2) المعبوط: الطري.

(3) عمر بن هبيرة الفزاري.

4() ديوان الفرزدق ص 201

وبعد المدح البارع يستجير بالممدوح:

أنْـــتَ رَجَـــائي بِأرْضِـــي، أنّنـــي فَـــرِقٌ مِـــنْ وَاسِـــطٍ وَالـــذي نَلقـــاهُ نَنْتَظِـــرُ

ثم أغدق المدح لذبيان كلها من أجل الممدوح:

وكَـــمْ نَمَـــاكَ مِـــنَ الآبَـــاءِ مِـــنْ مَلِـــكٍ بـــهِ لـــذُبْيَانَ كَـــانَ الـــوِرْدُ وَالصّـــدَرُ

وقال فيه أيضاً: الطويل

مَـن يَـكُ عَـن قَـيسِ بـنِ عَـيلانَ سـائِلاً فَفـي غَطَفـانَ مَجـدُ قَـيسٍ وَخَيرُهـا
لَهُـم حامِلاهـا وَالفَـوارِسُ مِـنهُم وَفـيهِم يُحورُهـا وَفاتِكُهـا مِـنهُم وَفـيهِم يُحورُهـا
إِذا رَهِقَـت قَـيسَ بـنَ عَـيلانَ طَحمَـةٌ [1] مُطَبِّقَـةٌ كانَـت إِلَـيكُم أُمورُهـا
وَمَـن يَطَّلِـب مـا قَـد سَـعى لَـكَ أَو بَنـى سُـكَينٌ تَصَـعِّدهُ إِلـى الشَـمسِ نورُهـا
أَلَـم تَعلَمـوا أَنَّ الكَبيـرَ يُهيجُـهُ مِـنَ الحَـربِ مِـن أَيـدي الغُـواةِ صَـغيرُها[2]

يمدح الفرزدق قيس عيلان ويخص منها غطفان لكون الممدوح منها ففيها الشجعان وفيها الأجواد والحاملان هما هرم بن سنان والحارث بن عوف تحملا دماء القتلى في داحس والغبراء ،وسكين هو عمرو بن هبيرة بن سكين.

12. سفيان بن عمرو العقيلي[3] (والي اليمامة) يقول فيه الفرزدق: الوافر

سَـتَبْلُغُ مِدْحَـةً غَـرّاءُ عَنّـي بَـبطنِ العِـرْضِ سُـفيانَ بـن عمـرِو
كَـريمَ هَـوَازِنٍ وَأَمِيـرَ قَـوْمي، وَسَـبْقاً بالمَكـارِم كُـلَّ مُجْـرِ
فَلَسْـتَ بِوَاجِـدٍ قَوْمـاً إذا مَـا أجـادُوا للوَفَـاءِ كَأَهْـلِ حَجْـرِ
هُـمُ الأَثْـرَوْنَ وَالأَعْلَـوْنَ لَمّـا تَـأَمّرَتِ القَبَائِـلُ كُـلَّ أَمْـرِ
أَبَـوْا أَنْ يَغْـدِرُوا وَأَبَـى أَبُـوهُمْ حَنِيفَـةُ أَنْ يُـوَازَنَ يَـوْمَ فَخْـرِ
وَمَـا تَـدْعُو حَنِيفَـةُ حِـينَ تَلْقَـى إذا احْمَـرّ الجِـلادُ بِـآلِ بَكْـرِ
وَلَكِـنْ يَنْتَمُـونَ إلـى أبِـيهِمْ حَنِيفَـةَ، يَـوْمَ مَلْحَمَـةٍ وَصَـبرِ
وَلَـوْ بِأُبَـاضَ[4] إذْ لاقَـوْا جِـلاداً بأيْـدي مِـثْلِهِمْ وَسُـيُوفُ كُفْـرِ
لَـذادُوا عَـنْ حَـرِيمِهِمِ بضَـرْبٍ كَـأفْوَاهِ الأَوَارِكِ[5]، أيَّ هَبْـرِ
وَلَكِـنْ جالَـدُوا مَلَكـاً كِرَامـاً، هُـمُ فَضّـوا القَبَائِـلَ يَـوْمَ بَـدْرِ[6]

1- طحمة الوادي والليل والسيل: دفعته

2 - ديوان الفرزدق ص 289

3- ذكر ابن حبان أن سفيان في التابعين. /البخاري,إسماعيل, التاريخ الكبير,تحقيق هاشم الندوي, دائرة المعارف العثمانية,ج2 ص93

4 - أباض: قرية بالعرض، عرض اليمامة، وعندها كانت وقعة خالد بن الوليد، رضي اللهُ عنه، مع مسيلمة.

5- الأوارك: النياق التي تأكل الأراك، شبه سعة ضرباتهم بسعة أفواه الأوارك

6 - ديوان الفرزدق ص 302

هنا الفرزدق يمدح سفيان وقومه بالوفاء وعدم الغدر وهي صفة عظيمة ومنقبة جليلة في ذلك الزمان الذي كانت العهود فيه مرعية ولا يغدر إلا خسيس النفس لئيم الطبع ثم يصف قبيلة الممدوح بالعزة وأنهم لا ينتمون إلى غير أبيهم حنيفة عند الفخر مع كمال الشجاعة :

لَـــذادُوا عَـــنْ حَـــرِيمِهِم بضَـــرْبٍ كَـــأفْوَاهِ الأوَارِكِ، أيَّ هَبْـــرِ

13. زياد بن الربيع بن زياد بن كعب (والي خراسان). يقول فيه الفرزدق : الطويل

وَلَمّـــا رَأيـــتُ الـــنَفسَ صـــارَ نَجِيُّهـــا إلـــى عازِمـــاتٍ مِـــن وَراءِ ضُـــلوعي
أَبَـــت نـــاقَتي إلّا زِيـــاداً وَرَغبَتـــي وَمـــا الجـــودُ مِـــن أَخلاقِـــهِ بِبَـــديعِ
فَتـــىً غَيـــرُ مِفـــراحٍ بِـــدُنيا يُصـــيبُها وَمِـــن نَكَبـــاتِ الـــدَهرِ غَيـــرُ جَـــزوعِ
وَلَـــم أَكُ أَو تَلقـــى زِيـــاداً مَطِيَّتـــي لِأَكحَـــلَ عَينَـــي صـــاحِبي بِهُجـــوعِ
أَلا لَيـــتَ عَبـــدِيَّينِ يَجتَزِرانِهـــا[1] إِذا بَلَّغَتنـــي نـــاقَتي اِبـــنَ رَبيـــعِ
زِيـــاداً وَإِن تَبلُـــغ زِيـــاداً فَقَـــد أَتَـــت فَتـــىً لِبِنـــاءِ المَجـــدِ غَيـــرَ مُضـــيعِ
نَمـــاهُ بَنـــو الـــدَيّانِ فـــي مُشـــمَخِرَّةٍ إِلـــى حَسَـــبٍ عِنـــدَ السَـــماءِ رَفيـــعِ
وَكـــانَ خَليلـــي قَبـــلَ سُـــلطانِ مـــا رَمـــى إِلَيـــهِ فَمـــا أَدري بِـــأَيِّ صَـــنيعِ
لَنـــا يَقضِـــيَنَّ اللَهُ وَاللَهُ قـــادِرٌ عَلـــى كُـــلِّ مـــالٍ صـــامِتٍ وَزُروعِ
وَلَـــولا رَجـــائي فَضـــلَ كَفَّيـــكَ لَـــم تَعُـــد إِلـــى هَجَـــرٍ أَنضـــاؤُنا لِرُجـــوعِ
أَميـــرٌ وَذو قُربـــى وَكِلتاهُمـــا لَنـــا إِلَيـــهِ مَـــعَ الـــدَيّانِ خَيـــرُ شَـــفيعِ
وَكـــانَ بَنـــو الـــدَيّانِ زَينـــاً لِقَـــومِهِم وَأَركـــانَ طَـــودٍ بِـــالأَراكِ مَنيـــعِ
وَكـــانَ خَـــديجٌ وَالنَجاشِـــيُّ مِـــنهُمُ ذَوَي طَعمَـــةٍ فـــي المَجـــدِ ذاتِ دَسـيعِ[3]
هَمـــا طَلَبـــا شَـــعرانَ[2] حَتّـــى حَباهُمـــا بِعَضـــبٍ[4] وَأَلـــفٍ فـــي الصِـــرارِ[5] جَميـــعِ[6]

ينطلق الفرزدق بناقته التي أتعبها السير إلى الممدوحين هذه المرة إلى زياد فهو يجمع ليله بنهاره حتى تكتحل عيناه برؤية زياد ولبئس ما جزاها حين يقول:

أَلا لَيـــتَ عَبـــدِيَّينِ يَجتَزِرانِهـــا إِذا بَلَّغَتنـــي نـــاقَتي اِبـــنَ رَبيـــعِ

ثم هو يرى أن صاحبه بلغ من المجد ذروته أبلغه إياه آباء صدق هم بنو الديان وهو مع جوده فهو قريب :

أَميـــرٌ وَذو قُربـــى وَكِلتاهُمـــا لَنـــا إِلَيـــهِ مَـــعَ الـــدَيّانِ خَيـــرُ شَـــفيعِ

(1) يجتزرانها: ينحرانها.
(2) شعران: من ملوك اليمن.
(3) الدسيع: القدر الواسعة.
(4) العضب: السيف القاطع.
(5) ألف في الصرار: أي ألف ناقة مشدودة الضرع.
6() ديوان الفرزدق ص 342

14. سعيد بن العاص بن أمية[1]. (والي الكوفة في عهد عثمان والمدينة في عهد معاوية) يقول فيه الفرزدق: (الوافر)

وَكَـــــومٍ تَـــــنعَمُ الأَضـــــيافُ عَينـــــاً ... وَتُصـــــبِحُ فـــــي مَبارِكِهـــــا ثِقـــــالا
حُواســـــاتِ العِشـــــاءِ خُبَعثَنـــــاتٍ[2] ... إِذا النَكبـــــاءُ راوَحَـــــتِ الشَـــــمالا
كَـــــأَنَّ فِصـــــالَها حَـــــبَشٌ جِعـــــادٌ ... تُخـــــالُ عَلـــــى مَبارِكِهـــــا جِفـــــالا
لِأَكلَـــــفَ أُمُّـــــهُ دَهمـــــاءَ مِنهـــــا ... كَـــــأَنَّ عَلَيـــــهِ مِـــــن جَلَـــــدٍ جِـــــلالا
أَرِقـــــتُ فَلَـــــم أَنَـــــم لَـــــيلاً طَـــــويلاً ... أُراقِـــــبُ هَـــــل أَرى النِســـــرَينِ زالا

مدح سعيد :

فَرَوَّحـــــتُ القَلـــــوصَ إِلـــــى سَـــــعيدٍ ... إِذا مـــــا الشـــــاةُ فـــــي الأَرطـــــاةِ[4] قـــــالا
تَخَطّـــــى الحَـــــرَّةَ الـــــرَجلاء[3] لَـــــيلاً ... وَتَقطَـــــعُ فـــــي مَخارِمِهـــــا نِعـــــالا
حَلَفـــــتُ بِمَـــــن أَتـــــى كَنَفَـــــي حِـــــراءٍ ... وَمَـــــن وافـــــى بِحُجَّتِـــــهِ إِلالا[5]
إِذا رَفَعـــــوا سَـــــمِعتَ لَهُـــــم عَجيجـــــاً ... عَجـــــيجَ مُحَلِّـــــئٍ[6] نَعَمـــــاً نِهـــــالا
وَمَـــــن سَـــــمَكَ السَـــــماءَ لَـــــهُ فَقامَـــــت ... وَسَـــــخَّرَ لِابـــــنِ داوُدَ الشَـــــمالا
وَمَـــــن نَجّـــــى مِـــــنَ الغَمَـــــراتِ نوحـــــاً ... وَأَرســـــى فـــــي مَواضِـــــعِها الجِبـــــالا
لَـــــئِن عـــــافَيتَني وَنَظَـــــرتَ حِلمـــــي ... لَأَعتَتِـــــنَن[7] إِنِ الحَـــــدَثانُ آلا
إِلَيـــــكَ فَـــــرَرتُ مِنـــــكَ وَمِـــــن زِيـــــادٍ ... وَلَـــــم أَحسِـــــب دَمـــــي لَكُمـــــا حَـــــلالا[8]

يبدأ مدحه بذكر النوق السمان ثم أرقه بسبب الهموم وبعدها ينفرج همه عندما يوصيه بعض أحبابه بأن يبمم شطر بني أمية فهم القوم ليس لهم كفاء كرماً وجودا ونبلاً, وأخيراً يستجير بالممدوح تشبيها بمن هو أعلى منه كعباً ومقاماً:

قِيامـــــاً يَنظُـــــرونَ إِلـــــى سَـــــعيدٍ ... كَـــــأَنَّهُمُ يَـــــرَونَ بِـــــهِ هِـــــلالا

1() سعيد بن العاص ابن أمية، الأموي القرشي: صحابي، من الأمراء الولاة الفاتحين. وهو فاتح طبرستان .وأحد الذين كتبوا المصحف لعثمان. اعتزل فتنة الجمل وصفين. وكان قوياً، فيه تجبر وشدة، سخياً، فصيحاً. وما زالت آثار قصره في المدينة شاخصة إلى اليوم. قيل: توفي سنة 53 هـ وقال الذهبي في تاريخ الإسلام - حوادث سنة 59 - (فيها توفي سعيد بن العاص الأموي على الصحيح). الأعلام للزركلي (3|96)

(2) خبعثنات، الواحدة خبعثنة: الضخمة.

(3) الرجلاء: التي يترجل فيها الراكب عن المطي، أي يسير على رجليه.

(4) الأرطاة: شجر ثمره كالعناب.

(5) إلال: اسم جبل بعرفات.

(6) العجيج: الصخب. المحلئ: الذي يمنع الإبل من ورود الماء.

(7) اعتتن: دفع دفعاً شديداً.

8 - ديوان الفرزدق ص422

15. خالد بن عبد الملك بن الحارث[1] 0 (والي المدينة في عهد هشام) قال فيه الفرزدق: الطويل

أَقــــولُ لِحَـــــرفٍ قَـــد تَخَـــوَّنَ نَيَّهـــا ... دُؤوبُ السُـــــرى إدلاجُـــــهُ وَأَصـــــائِلُه
عَلَيـــــكَ بِقَصـــــدٍ لِلمَدينَـــــةِ إِنَّهـــا ... بِهـــا مَلِـــكٌ قَـــد أَتـــرَعَ الأَرضَ نائِلُـــه
نَمَتـــهُ فُـــروعُ الزَبرِقـــانِ وَقَـــد نَمـــى ... بِـــهِ مِـــن قُـــرَيشِ الأَبطَحَـــينِ أَوائِلُـــه
لَـــهُ أَبطَحاهـــا الأَعظَمـــانِ إِذا اِلتَقَـــت ... قُـــرَيشٌ وَكـــانَ المَجـــدُ أَعـــلاهُ كاهِلُـــه
أَقـــولُ لِأَزوالٍ[2] أَبـــوهُم مُجاشِـــعٌ ... قُـــرَيشٌ وَكـــانَ المَجـــدُ أَعـــلاهُ كاهِلُـــه
إِلـــى خالِـــدٍ ســـيروا فَـــإِن تَنزِلـــوا بِـــهِ ... جَميعـــاً وَقَـــد ضُـــمَّت إِلَيـــهِ ذَلاذِلُـــه[3]
تَكونـــوا كَمَـــن لاقـــى الفُـــراتَ إِذا اِلتَقـــى ... عَلَيـــهِ أَعـــالي مَوجِـــهِ وَأَســـافِلُه
وَكـــائِن دَعَونـــا اللَهَ حَتّـــى أَجابَنـــا ... بِـــأَبيَضَ عاصِـــيٍّ تَفـــيضُ أَنامِلُـــه
نَمَتـــهُ بَطـــاحِيّو قُـــرَيشٍ كَأَنَّـــهُ ... حُســـامٌ جَـــلا الأَطبـــاعَ عَنـــهُ صَـــياقِلُه
نَمَتـــهُ النَواصـــي مِـــن قُـــرَيشٍ وَقَـــد نَمـــى ... بِـــهِ مِـــن تَمـــيمٍ رَأسُ عِـــزٍّ وَكاهِلُـــه
أَتانـــا رَقيـــبُ المُســـتَغيثينَ رَبُّنـــا ... تَفـــيضُ عَلَينـــا كُـــلَّ يَـــومٍ فَواضِـــلُه
كَـــأَنَّ الفُـــراتَ الجَـــونَ أَصـــبَحَ دارِئـــاً ... عَلَينـــا إِذا مـــا هَزهَزَتـــهُ[4] شَـــمالِلُه
أَتـــى خالِـــدٌ أَرضـــاً وَكانَـــت فَقيـــرَةً ... إِلـــى خالِـــدٍ لَمّـــا أَتَتهـــا رَواحِلُـــه
فَلَمّـــا أَتاهـــا أَشـــرَقَت أَرضُـــها لَـــهُ ... وَأَدرَكَ مَـــن خـــافَ المُلِحّـــاتِ نائِلُـــه
فَـــإِنَّ لَـــهُ كَفَّـــينِ فـــي راحَتَيهِمـــا ... رَبيـــعُ اليَتـــامى وَالمَســـاكينِ وابِلُـــه
إِذا بَلَغَـــت بـــي خالِـــداً وَهـــيَ لَـــم تَقُـــم ... فَبَـــلَّ يَـــدَيها مِـــن دَمِ الجَـــوفِ ســـائِلُه
وَكـــائِن عَلَيهـــا مِـــن رَديـــفٍ وَحاجَـــةٍ ... وَمَجـــدٍ إِلـــى مَجـــدٍ رَواسٍ أَثاقِلُـــه
إِلَيـــكَ طَـــوى الأَنســـاعَ حَـــولَ رِحالِهـــا ... هَـــواجِرُ أَيّـــامٍ بِلَيـــلٍ تُواصِـــلُه
نَمَتـــهُ قُـــرَيشٌ أَكرَموهـــا وَدارِمٌ ... وَسَـــعدٌ إِلـــى المَجـــدِ الكَـــريمِ قَبايِلُـــه[5]

يبدأ قصيدته بمخاطبة الناقة لأنها هي التي تعينه في أسفاره إلى الممدوحين ثم إن الممدوح قرشي من وقريش لها الذروة في المجد والسؤدد في جاهليتها وإسلامها ثم إن الفرزدق كعادته يمدح بالجود والكرم:

تَكونـــوا كَمَـــن لاقـــى الفُـــراتَ إِذا اِلتَقـــى ... عَلَيـــهِ أَعـــالي مَوجِـــهِ وَأَســـافِلُه

لقد خص الفرزدق خالداً بأنواع الصفات المشتملة على الجود, ولكنه لم يعرج على الشجاعة لكون الممدوح بعيداً عن الحروب والياً على المدينة وهي مركز الإسلام أما الحروب فهي غالباً ماتكون في الثغور.

1- خالد بن عبدالملك بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص بن أمية,ولي إمرة الشام في عهدهشام وولي المدينة سبع سنين فأقحطوا وكان يقال سنيات خالد. / ابن عساكر, مختصر تاريخ دمشق, ج7 ص386

2 - الأزوال: الهزالى من الجوع.

3- الذلاذل، الواحد ذلذل: القريب والمعين.

4 - هزهزته: حركته.

5- ديوان الفرزدق ص 435

16. الحكم بن أيوب بن أبي عقيل[1] (والي على البصرة). الطويل

يقول فيه الفرزدق مادحا:

إِلَيكَ اِبنَ أَيّوبٍ تَرامَت مَطِيَّتي ... لِتَلقاكَ تَرجو مِن نَداكَ لَها سَجلا
إِذا مَنكِبٌ مِن بَطنِ فَلجٍ حَبا لَها ... طَوَت غَولَهُ عَنها وَأَسرَعَتِ النَقلا
لِتَلقى اِمرَأً ذا نِعمَةٍ عِندَ رَبِّها ... بِهِ يَجمَعُ الأَعلى لِراكِبِها الشَملا
أَبَت يَدُهُ إِلّا اِنبِساطاً بِمالِها ... إِذا ما يَدٌ كانَت عَلى مالِها قُفلا
أَبا يوسُفٍ راخَيتَ عَنّي مَخانِقي ... وَأَتبَعتَ فَضلاً لَستُ ناسِيَهُ فَضلا

ثم يصفه بأنه صاحب نجدة وإجارة للخائف ونصرة للمظلوم :

وَطامَنتَ نَفسي بَعدَما نَشَزَت بِها ... مُخاوِفُ لَم تَترُك فُؤاداً وَلا عَقلا
فَما تَحيَ لا أَرهَب وَإِن كُنتُ جارِماً ... وَلَو عَدَّ أَعدائي عَلَيَّ لَهُم ذَحلا[2]
كَأَنّي إِذا ما كُنتُ عِندَكَ مُشرِفٌ ... عَلى صَعبِ سَلمى حَيثُ كانَ لَها فَحلا
وَكَم مِثلُ هَذي مِن عَضوضٍ مُلِحَّةٍ ... عَلَيَّ تَرى مِنها نَواجِذَها عُصلا
فِدىً لَكَ أُمّي عِندَ كُلِّ عَظيمَةٍ ... إِذا أَنا لَم أَسطَع لِأَمثالِها حَملا
دَفَعتَ وَمَخشِيٍّ رَداها مَهيبَةٍ ... جَعَلتَ سَبيلي مِن مَطالِعِها سَهلا
وَكُنتُ أُنادي بِاسمِكَ الخَيرَ لِلَّتي ... تَخافُ بَناتي أَن تُصيبَ بِها ثُكلا
كَفَيتَ الَّتي يَخشَينَ مِنها كَما كَفى ... أَبو خالِدٍ بِالشَأمِ أَخطَلَةَ القَتلى
وَيَومٍ تُرى فيهِ النُجومُ شَهِدتَهُ ... تَعاوَرُ خَيلاهُ الأَسِنَّةَ وَالنُبلا
كَأَنَّ ذُكورَ الخَيلِ في غَمَراتِهِ ... يَخُضنَ إِذا أُكرِهنَ فيهِ بِهِ الوَحلا
صَبَرتَ بِهِ نَفساً عَلَيكَ كَريمَةً ... وَقَد عَلِموا أَلّا تَضَنَّ بِها بُخلا
تَجودُ بِها لِلَّهِ تَرجو ثَوابَهُ ... وَلَيسَ بِمُعطٍ مِثلَها أَحَدٌ بَذلا
وَفِيٌّ إِذا ضَنَّ البَخيلُ بِمالِهِ ... وَفِيٌّ إِذا أَعطى بِذِمَّتِهِ حَبلا
حَلَفتُ بِما حَجَّت قُرَيشٌ وَنَحَّرَت ... غَداةَ مَضى العَشرُ المُجَلَّلَةَ الهُدلا
لَقَد أَدرَكَت كَفّاكَ نَفسِيَ بَعدَما ... هَوَيتُ وَلَم تُثبِت بِها قَدَمٌ نَعلا
بَنى لَكَ أَيّوبٌ أَبوكَ إِلى الَّتي ... تُبادِرُها الأَيدي وَكُنتَ لَها أَهلا
أَبوكَ الَّذي تَدعو الفَوارِسُ بِاسمِهِ ... إِذا خَطَرَت يَوماً أَسِنَّتُها بَسلا
أَبٌ يُجبَرُ المَولى بِهِ وَتَمُدُّهُ ... بُحورُ فُراتٍ لَم يَكُن ماؤُها ضَحلا
لَقَد عَلِمَ الأَحياءُ بِالغَورِ أَنَّكُم ... إِذا هَبَّتِ النَكباءُ أَكثَرُهُم فَضلا
وَأَضحَت بِأَجرازٍ مُحولٍ عِضاهُها ... مِنَ الجَدبِ إِذ ماتَ الأَفاعي بِها هَزلا
وَراحَت مَراضيعُ النِساءِ إِلَيكُمُ ... سَواغِبَ لَم تَلبَس سِواراً وَلا ذَبلا
وَجاءَت مَعَ الأَبرامِ تَمشي نِساؤُها ... إِلى حُجَرِ الأَضيافِ تَلتَمِسُ الفَضلا
مِنَ المانِحينَ الجارَ كُلَّ مُمَنَّحٍ ... فَوُزٍ إِذا اِستَكَّت مُقَرَّمَةً عُصلا[3]
وَأَنتَ اِمرُؤٌ مِن أَهلِ بَيتٍ تَوارَثوا ... كِرامَ مَساعي النَاسِ وَالحَسَبَ الجَزلا[4]

1() الحكم بن أيوب بن الحكم الثقفي: أمير، هو ابن عم الحجاج. ولاه الحجاج على البصرة لما كان في العراق، ثم عزله، ثم أعاده. وقتله صالح بن عبد الرحمن الكاتب مع جماعة من آل الحجاج، في العذاب على إخراج ما اختزنوه من الأموال، بأمر سليمان بن عبد الملك، في خلافته، توفي سنة 97 ه/ ابن عساكر , تاريخ دمشق , ج15, ص3

(2) الذحل: الثأر.

(3) كلها من صفات السهام التي قرمت وحز في صدورها.

4() ديوان الفرزدق ص 466

يبدأ الفرزدق قصيدته في مدح الحكم كغالب أمره بوصف النوق وما تجده من تعب ونعاس في سيرها إلى الممدوح ثم يتذكر النوار زوجه التي أحبها حباً جثا على قلبه وتشبث بروحه وهو بذكرها يجلو النعاس عن عينيه والسنة عن قلبه وأول ما يهز الشاعر ويحرك شاعريته كرم الممدوح:

أَبَـــت يَـــدُهُ إِلّا اِنبِســـاطاً بِمالِهـــا إِذا مـــا يَـــدٌ كانَـــت عَلـــى مالِهـــا قُفـــلا

ثم يذكر منته عليه:

أَبـــا يوسُـــفٍ راخَيـــتَ عَنّـــي مَخـــانِقي وَأَتبَعـــتَ فَضـــلاً لَســـتُ ناسِـــيَهُ فَضـــلا

ثم يذكر من مناقبه أنه من نسل أب ماجد فاضل شجاع:

أَبـــوكَ الّـــذي تَـــدعو الفَـــوارِسُ بِاســـمِهِ إِذا خَطَـــرَت يَومـــاً أَسِـــنَّتُها بَســـلا
أَبٌ يُجبَـــرُ المَـــولى بِـــهِ وَتَمُـــدُّهُ بُحـــورُ فُـــراتٍ لَـــم يَكُـــن ماؤُهـــا ضَـــحلا

وأخيراً يختم مدحه ببيت يستوعب معاني القصيدة كلها:

وَأَنـــتَ اِمـــرُؤٌ مِـــن أَهـــلِ بَيـــتٍ تَوارَثـــوا كِـــرامَ مَســـاعي النـــاسِ وَالحَسَـــبَ الجَـــزلا

معنى مبتكر في قوله:

وَكُنـــتُ أُنـــادي بِاســـمِكَ الخَيـــرَ لِلّتـــي تَخـــافُ بَنـــاتي أَن تُصـــيبَ بِهـــا ثُكـــلا

17. **مسمع بن المنذر بن الجارود. (استعمله وولاه خالد القسري على البصرة)**

قال فيه الفرزدق: الطويل

إِذا مِســـمَعٌ أَعطَتـــكَ يَومـــاً يَمينُـــهُ فَعُـــدتَ غَـــداً عـــادَت عَلَيـــكَ شِـــمالُها
شِـــمالٌ مِـــنَ الأَيمـــانِ عـــادَت عَطِيَّـــةً يُهـــانُ وَيُعطـــى فـــي الحَقـــائِقِ مالُهـــا
لَهـــا ســـورَةٌ كـــانَ المُعَلّـــى بَنـــى لَهـــا مَكـــارِمَ مـــا كانَـــت يَـــدانِ تَنالُهـــا
مِـــنَ النـــاسِ إِلّا مِـــن قُـــرَيشٍ وَدارِمٍ إِذا سَـــبَقَ الأَيـــدي القِصـــارَ طِوالُهـــا
أَعِـــد لـــي عَطـــاءً كُنـــتَ عَـــوَّدتَني لَـــهُ جَـــدا دَفقَـــةً كانَـــت غِـــزاراً سِـــجالُها
وَرِثـــتُم عَـــنِ الجـــارودِ قِـــدراً وَجَفنَـــةً كَثيـــراً إِذا اِحمَـــرَّ الشِـــتاءُ عِيالُهـــا
مِـــنَ الســـودِ يَحمِلـــنَ اليَتـــامى كَـــأَنَّهُم فِـــراخٌ عَلَـــى الأَوراكِ زُغـــبٌ حِصـــالُها
تَـــرى النـــارَ عَـــن مِثـــلِ النَعامَـــةِ حَولَهـــا لَهـــا شُـــطَبٌ تَطفـــو سِـــماناً مَحالُهـــا
لَـــهُ راحَـــةٌ بَيضـــاءُ يَنـــدى بَنانُهـــا قَليـــلٌ إِذا اِعتَـــلَّ البَخيـــلُ اِعتِلالُهـــا
فَـــدونَكَ هَـــذي مِـــن ثَنـــائي فَإِنَّهـــا لَهـــا غُـــرَّةٌ بَيضـــاءُ بـــاقٍ جَمالُهـــا
وَأَنـــتَ لِعَبـــدِ القَـــيسِ سَـــيفٌ تَسُـــلُّهُ عَلـــى مَـــن يُعاديهـــا وَأَنـــتَ هِلالُهـــا[1]

يستهل الفرزدق مدحه لمسمع بذكر جوده وهو يعطي باليمين والشمال ، جود لا يستطيعه أحد إلا قريش وذلك لمكانتها ثم يطلب منه أن يعيد عطاءه كما كان ومن الجماليات قوله

وَرِثـــتُم عَـــنِ الجـــارودِ قِـــدراً وَجَفنَـــةً كَثيـــراً إِذا اِحمَـــرَّ الشِـــتاءُ عِيالُهـــا

1() ديوان الفرزدق ص 471

حيث يكثر طلاب الحاجات في الشتاء يسد الممدوح خلتهم ومسغبتهم ثم يختم ببيت واحد يذكر فيه شجاعة الممدوح

وَأَنــــتَ لِعَبــــدِ القَــــيسِ سَــــيفٌ تَسُــــلّهُ عَلــــى مَــــن يُعاديهــــا وَأَنــــتَ هِلالُهــــا

وذلك أن المقام مقام استمناح يحسن فيه الإشادة بكرم الممدوح.

قطن بن مدركة الكلابي[1]. (والي البصرة, وفي ديوان الفرزق كان والياعلى البحرين) الطويل

أَقــولُ لِمَنحــوضٍ[2] أَعــالي عِظامِهــا يَجُــرُّ أَظَلّاهــا السَــريحَ المــنعلا[4]
شَــرَيكَةِ خــوصٍ فــي النَجــاءِ قَــدِ اِلتَقَــت عُراهــا وَأَجهَضــنَ الجَنــينَ المُسَــربَلا
تَسَــنّى مِــنَ الأَحــلاقِ مــا كــانَ دونَــهُ وَفَــكَّ مِــنَ الأَرحــامِ مــا كــانَ مُقفَــلا
هَــواجِرُ يَحلُــبنَ الحَمــيمَ وَماكِــدٌ[3] مِــنَ السَــيرِ لَــم تَطعَــم مُنَــدّىً وَمَنــزِلا
وَزَوراءَ أَدنــى مــا بِهــا الخِمــسُ لا تَــرى بِهــا العــيسُ لَــو حَلَّــت بِهــا مُــتَعَلَّلا
وَمُحتَقِــرينَ السَــيرَ قَــد أَنهَجَــت لَهُــم سَــرابيلَ أَبقاهــا الَّــذي قَــد تَــرَعبَلا[5]
إِذا قَطَنــاً بَلَّغتِنيــهِ اِبــنَ مُــدرِكٍ فَلاقَيــتَ مِــن طَيــرِ العَراقيــبِ[6] أَخــيَلا
ذُبابــاً حُســاماً أَو جَنــاحَي مُقَطِّــعٍ ظُهــورَ المَطايــا يَتــرُكُ الصُــلبَ أَجــزَلا
قَــوِيٌّ أَمــينٌ لِاِبــنِ يوسُــفَ مُجــزِئٌ بِطاعَتِــهِ عِنــدَ الَّــذي قَــد تَحَمَّــلا
وَلَــو وُزِنَــت سَــلمى بِحِلــمِ اِبــنِ مُــدرِكٍ لَكــانَ عَلــى الميــزانِ حِلمُــكَ أَثقَــلا
سَــأُجزيكَ مَعــروفَ الَّــذي نِلتَنــي بِــهِ بِكَفَّيــكَ فَاِســمَع شِــعرَ مَــن قَــد تَــنَخَّلا
قَصــائِدَ لَــم يَقــدِر زُهَيــرٌ وَلا اِبنُــهُ عَلَيهــا وَلا مَــن حَوَّلــوهُ المُخَــبَّلا
وَلَــم يَســتَطِع نَســجَ اِمــرِئِ القَــيسِ مِثلَهــا وَأَعيَــت مَراقيهــا لَبيــداً وَجَــروَلا
وَنــابِغَتَي قَــيسِ اِبــنِ عَــيلانَ وَالَّــذي أَراهُ المَنايــا بَعــضُ مــا كــانَ قَــوَّلا
فَمــا فاضَــلَت بَيتــاً بِبَيتِــكَ عــامِرٌ إِلــى المَجــدِ إِلّا كــانَ بَيتُــكَ أَفضَــلا
هُــوَ البَيــتُ بَيــتُ اِبنَــي نُفَيــلٍ بَنــى لَــهُ كِــلابٌ وَكَعــبٌ ذِروَةً لَــن تُحَــوَّلا
أَرى اِبنَــي نُفَيــلٍ مَــن يَكــونُ أَبــاً لَــهُ وَعَمّــاً فَقَــد يَــومَ الرِهــانِ تَمَهَّــلا
عَلــى مَــن جَــرى وَالــرافِعينَ أَكُفَّهُــم إِلــى كُــلِّ فَــرعٍ كــانَ لِلمَجــدِ أَطــوَلا
وَمَــن يَــكُ بَــينَ الخالِــدَينِ وَأُمُّــهُ صَــفِيَّةُ يَثقُــلَ عِــزُّهُ أَن يُحَلحَــلا
وَكــانَ أَبوهــا وَاِبنُهــا خَيــرَ عــامِرٍ سِــماكَينِ لِلهَلكــى إِذا الغَيــثُ أَمحَــلا
أَرى المُقسِــمَ المُختــارَ عَــيلانَ كُلَّهــا إِذا هُــوَ لَــم يَــذكُر نُفَــيلاً تَحَلَّــلا
بَنــو أَنــفِ قَــرمٍ لَــم يُــدَعثَر سَــنامُهُ رُكوبــاً وَلَكِــن كــانَ أَصــيَدَ مُرسِــلا
إِذا واضَــحوهُ المَجــدَ جــاءَت دِلاؤُهُ مُــلاءً إِذا سَــجلٌ مِــنَ المَجــدِ شَــوَّلا
لَــهُ طُــرُقٌ عادِيَّــةٌ يُهتَــدى بِهــا وَهُــم خَيــرُ قَــيسٍ آخِرِيّــاً وَأَوَّلا

1() كان أميراً على البصرة من قبل الحجاج وأنه غسل أنس بن مالك قال ابن خلكان: وذكر عمر بن شبة في كتاب أخبار البصرة أن الذي غسل أنس بن مالك هو قطن بن مدرك الكلابي والي البصرة، وكذلك قال أبو اليقظان./ابن خلكان, وفيات الأعيان,تحقيق إحسات عباس, دار صادر,بيروت, ط1 ,1971م (4|182)

(2) المنحوض: الناقة الضامرة التي أذاب شحمها السير الشديد.

(3) الماكد: الناقة التي جف ضرعها ونقص لبنها.

(4) المنعل: ما يلبس كالنعل.

(5) ترعبل: تقطع وتمزق.

(6) العراقيب، الواحد عرقوب: منتحى الوادي والطريق في الجبل.

بَنـــو عـــامِرٍ قَمقـــامُ قَـــيسٍ وَفـــيهِمُ مَعاقِـــلُ جانيهـــا إِذا الـــوِردُ أَثعَـــلا [1]

كما هي عادته الغالبة يبدأ القصيدة بالناقة التي أضمرها السير وأضناها التسفار ويا شر ما جزاها بعد أن بلغته بغيته

إِذا قَطَنـــاً بَلّغتِنيـــهِ اِبـــنَ مُـــدرِكٍ فَلاقَيـــتَ مِـــن طَيـــرِ العَراقيـــبِ أَخـــيَلا

ثم يصف ممدوحه بالقوة والأمانة والحلم والرزانة ولما رأى الفرزدق عظيم منة الممدوح عليه افتخر بأنه سيجزيه قصائد تفوق شعر المتقدمين:

قَصـــائِدَ لَـــم يَقـــدِر زُهَيـــرٌ وَلا اِبنُـــهُ عَلَيهـــا وَلا مَـــن حَوَّلـــوهُ المُخَـــبَّلا
وَلَـــم يَســـتَطِع نَســـجَ اِمـــرِئِ القَـــيسِ مِثلَهـــا وَأَعيَـــت مَراقيهـــا لَبيـــداً وَجَـــروَلا
وَنـــابِغَتَي قَـــيسِ اِبـــنِ عَـــيلانَ وَالَّـــذي أَراهُ المَنايـــا بَعـــضُ مـــا كـــانَ قَـــوَّلا

ثم ختم القصيدة بمدح قبيلة قطن وآله.

1() ديوان الفرزدق ص 477

12. بلال بن أبي بردة[1] قال فيه الفرزدق : الطويل

إنْ يُظْعِنِ الشّيْبُ الشّبابَ فقد تُرَى ... لَهُ لِمّةٌ لَمْ يُرْمَ عَنْها غُرَابُهَا
لَئِنْ أصْبَحَتْ نَفسي تُجيبُ لطالما ... أقَرّتْ بعَيْني أنْ يُغِيمَ سَحابُهَا
وَأصْبَحتُ مِثْلَ النّسْرِ أصْبَحَ وَاقِعاً ... وَأفْنَاهُ مِنْ كَرّ اللّيَالي ذَهابُهَا
وَمابِرَةِ الأعْضَادِ قَد أجهَضَتْ لها ... نَتِيجَ خِداجٍ وَهْيَ نَاجٍ هَبابُهَا[2]
تَعالَلْتُهَا بالسّوْطِ بَعْدَ التِياثِها ... بمُقْوَرّةٍ[3] الأعْلام يَطْفُو سَرَابُهَا
فقلت لها: زوري بلالاً فإنه ... إلَيْهِ من الحَاجَاتِ تُنْضى ركابها
حَلَفْتُ، وَمَنْ يَأْتَمْ فَإنّ يَمينَهُ ... إذا أثِمَتْ لاقِيهِ مِنْهَا عَذابُها
لَئِنْ بَلّ لي أرْضِي بِلالٌ بِدَفْقَةٍ ... منَ الغَيثِ في يُمنى يدَيهِ انسِكابُها
أكُنْ كالّذي صَابَ الحَيا أرْضهُ التي ... سَقاها وَقَد كانَتْ جَدِيباً جَنَابُها
فأصْبَحَ قَدْ رَوّاهُ من كُلّ جانِبٍ ... لَهُ مَطَرَاتٌ مُسْتَهِلٌّ رَبَابُها
فَتىً تَقْصُرُ الفِتْيانُ دُونَ فَعالِهِ، ... وكانَ بِهِ للحَرْبِ يخبو شهابها
هُوَ المشتري بالسيف أفضَلَ ما غلا ... إذا مارحى الحرب استَدَرّ ضِرَابُها
أبَى لِبِلالٍ أنّ كَفّيْهِ فِيهِمَا ... حَيا الأرْض يسقي كلَّ مَحلٍ حَبابُها
هُوَ ابنُ أبي مُوسى الذي كانَ عِنْدَه ... لحاجَاتِ أصْحابِ الرّسُولِ كِتابُها
رَأيْتُ بِلالاً إذْ جَرَى جاءَ سابِقاً، ... وَذَلّتْ بِهِ للحَرْبِ قَسْراً صِعابُها
بِهِ يَطْمَئِنّ الخَائِفُونَ وَغَيْثُهُ ... بِهِ مِنْ بِلادِ المَحْلِ يَحْيا تُرَابُها
أبَيْتَ على النّاهِيكَ إلاّ تَدَفّقاً، ... كما انهَلّ من نَوْءِ الثّرَيّا سَحابُها
رَحَلْتُ مِنَ الدَّهْنَا إلَيْكَ وَبَيْنَنا ... فَلاةٌ وَأنْيَاهٌ[4] تَعَاوَى ذِئَابُها
لأَلْقَاكَ، وَاللاّقِيكَ يَعْلَمُ أنّهُ ... سَيَمْلأُ كَفّيْ سَاعِدَيْهِ ثَوَابُها
نَمَاكَ أبُو مُوسَى أبُوكَ كَما نَمَى ... وُعُولاً بِأعْلى صَاحَتَينِ هِضَابُها
وكُلُّ يَمَانٍ أنْتَ جُنّتُهُ الّتي ... بِهَا تُتّقَى لِلْحَرْبِ إذْ فُرّ نَابُها
وَأنْتَ امْرُوءٌ تُعْطي يَمينُكَ ما غَلا ... وَإنْ عاقَبَتْ كانَتْ شَديداً عِقابُها[5]

يستهل الفرزدق مدحه لبلال الأمير المهاب المحبوب بذكر التأسف على ذهاب الشباب وما بقي في النفس من غصص التحسر عليه ثم ينهض ناقته ويلهب ظهرها بالسوط ليتوجه إلى بلال الذي يشبهه بالغيث إذا سقط على أرض استبشرت النفوس وعم الخير وانشرحت الصدور

فأصْبَحَ قَدْ رَوّاهُ من كُلّ جانِبٍ ... لَهُ مَطَرَاتٌ مُسْتَهِلٌّ رَبَابُها

1() بلال بن أبي بردة عامر بن أبي موسى الاشعري: أمير البصرة وقاضيها. كان راوية فصيحاً أديباً. ولاه خالد القسري سنة 109 هـ فأقام إلى أن قدم يوسف بن عمر الثقفي سنة 125 هـ فعزله وحبسه، فمات سجيناً سنة 126 ه. الأعلام للزركلي (2|72)

(2) الهباب: الغبار

(3) المقورة: الواسعة المستديرة.

(4) الأنياه: المرتفعات والمشارف.

5() ديوان الفرزدق ص 47

ثم يعرج الفرزدق على ذكر شجاعته

وَأنْــتَ امْــرُوءٌ تُعْطــي يَمينُــكَ مــا غَــلا، وَإنْ عاقَبَــتْ كانَــتْ شَــديداً عِقابُهــا

ثم يذكر انتماءه إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري وكفى بها منقبة, وأخيرا يجمع له بين الشجاعة والجود

وَأنْــتَ امْــرُوءٌ تُعْطــي يَمينُــكَ مــا غَــلا، وَإنْ عاقَبَــتْ كانَــتْ شَــديداً عِقابُهــا

وقال فيه أيضاً: الطويل

إنَّ بِــــلالاً إن تُلاقيــــهِ ســــالِماً كَفــاكِ الّــذي تَخشَــينَ مِــن كُــلِّ جانِــبِ
أَبــوهُ أَبــو موســى خَليــلُ مُحَمَّــدٍ وَكَفّــاهُ غَيــثٌ مُســتَهِلُّ الأَهاضِــبِ[2]
إِلَيــكَ رَحَلــتُ العَــيس حَتّــى أَنَختُهــا إِلَيــكَ وَقَــد أَعيَــت عَلــى كُــلِّ ذاهِــبِ
وَقَــد خَبَطَــت رَحلــي عَلَيهــا مَطِيَّتــي إِلَيــكَ وَلَــم تَعلَــق قَلوصــي بِصــاحِبِ
فَقُلــتُ لَهــا زوري بِــلالاً فَإِنَّــهُ إِلَيــهِ اِنتَهــى فَأتيــهِ بــي كُــلُّ راغِــبِ
لَــئِن خَبَطَــت نَعــلاً يَــداها مِــنَ الوَجــا[1] إِلــى خَيــرِ مَطلــوبٍ مُناخــاً لِراكِــبِ
إِلــى اِبــنِ أَبــي موســى الَّــذي سَــجَدَت لَــهُ جُنوحــاً عَلــى الأَيــدي مُلــوكُ المَــرازِبِ[3]
فَمــا أَنــا بِالمُختــارِ غَيــرَكَ لِلقِــرى وَلا لِمُنــاخِ الــيَعمَلاتِ[4] النَجائِــبِ
تُقاتِــلُ لَمّــا حُــلَّ عَنهــا رِحالُهــا بِأَفواهِهــا الغِربــانَ مِــن كُــلِّ جانِــبِ
رَأَيــتُ بِــلالاً يَشــتَري كُــلَّ ســورَةٍ مِــنَ المَجــدِ بِالغُليــا عَلــى كُــلِّ طالِــبِ
نَمــاهُ أَبــو موســى أَبــوهُ إِلــى الَّتــي يَنــالُ بِهــا الراقــي نُجــومَ الكَواكِــبِ
يَقولــونَ إِنّــا قَــد كَفَينــاكَ فَارتَحِــل كَــذاكَ اللَيــالي دائِــراتُ النَوائِــبِ
تَدارَكَــهُ لــي بَعــدَما أَشــرَفَت بِــهِ عَلــى الهُــوَّةِ الغَبــراءِ زورُ المَناكِــبِ
دَحــولٌ مِــنَ اللاتــي إِذا مــا اِرتَمَــت بِــهِ يَــرى أَنَّــهُ مِــن قَعرِهــا غَيــرُ آيِــبِ[5]

يبدأ بمخاطبة الناقة التي أضناها المسير إلى كل ممدوح، ولا يسير وحده ولكنه ومن معه يزجرون العيس حتى تبلغهم بلالاً الذي ينتمي إلى أبي موسى الأشعري.

(1) الوجا: الحفاء.
(2) الأهاضب، الواحدة أهضوبة: الدفعة من المطر.
(3) المرازب، الواحد مرزبان: الرئيس من الفرس.
(4) اليعملات، الواحدة يعملة: الناقة النشيطة المطبوعة على العمل.
5() ديوان الفرزدق ص 61

وقال فيه أيضاً: الطويل

رَأَيــــتُ بِــــلالاً يَشــــتَري بِــــتِلادِهِ مَكــــارِمَ أَخــــلاقٍ عِظــــامٍ رَغيبُهــــا
وَيَــــومٍ تَــــرى جَــــوزاؤُهُ قَــــد كَفَيتَــــهُ بِطَعــــنٍ وَضَــــربٍ حــــينَ ثــــابَ عَكوبُهــــا[1]
أَبَــــتِ لِــــبِلالٍ عُصــــبَةٌ أَشــــعَرِيَّةٌ إِذا فَزِعَــــت كانَــــت سَــــريعاً رُكوبُهــــا
سَــــريعٌ إِلــــى كَفّــــي بِــــلالٍ إِذا دَعــــا مِــــنَ الــــيَمَنِ الشُــــبّانُ مِنهــــا وَشــــيبُها
وَمــــا دَعــــوَةٌ تَــــدعو بِــــلالاً إِلــــى القِــــرى وَلا الطَعــــنِ يَــــومَ الــــرَوعِ إِلّا يُجيبُهــــا
سَــــريعٌ إِلــــى هَــــذي وَهَــــذي قِيامُــــهُ إِذا صَــــدَقَت نَفــــسَ الجَبــــانِ كَــــذوبُها
كَمــــا كــــانَ يَســــتَحيي أَبــــوهُ إِذا دَعــــا لَــــهُ مُســــتَغيثٌ حــــينَ هَــــرَّ كَليبُهــــا
يَكُــــرُّ وَراءَ المُســــتَغيثِ إِذا دَعــــا بِــــنَفسٍ وَقــــورٍ لا يَخــــافُ وَجيبُهــــا
مِــــنَ القَــــومِ يَســــتَحمي إِذا حَمِــــسَ الــــوَغى لِهامــــاتِ كُــــلّاحِ[2] الرِجــــالِ ضَــــروبُها
وَجَــــدنا لَكُــــم دَلــــواً شَــــديداً رِشــــاؤُها تَضــــيمُ دِلاءَ المُســــتَقينَ ذَنوبُهــــا[3]

يرحل الفرزدق بناقته التي تكفيه مؤونة السير إلى كل مرغوب

تَمَطّــــت بِرَحلــــي وَهــــيَ رَهــــبٌ رَذِيَّــــةٌ إِلَيــــكَ مِــــنَ الــــدَهنا أَتــــاكَ خَبيبُهــــا

ومما يمدح به بلالاً تقويمه لأمر الدين ، وبلال ممنوع وعزيز بالأشعريين من حوله

أَبَــــتِ لِــــبِلالٍ عُصــــبَةٌ أَشــــعَرِيَّةٌ إِذا فَزِعَــــت كانَــــت سَــــريعاً رُكوبُهــــا

ثم يجمع له الجود والشجاعة في بيت

وَمــــا دَعــــوَةٌ تَــــدعو بِــــلالاً إِلــــى القِــــرى وَلا الطَعــــنِ يَــــومَ الــــرَوعِ إِلّا يُجيبُهــــا

وقال فيه كذلك: الطويل

أَنــــتَ الّــــذي عَنّــــا بِــــلالُ دَفَعتَــــهُ وَنَحــــنُ نَخــــافُ مُهلِكــــاتِ المَتــــالِفِ
أَخَــــذنا بِحَبــــلٍ مــــا نَخــــافُ اِنقِطاعَــــهُ إِلــــى مُشــــرِفٍ أَركانُــــهُ مُتَقــــاذِفِ
وَلَــــم تَــــرَ مِثــــلَ الأَشــــعَرِيّ إِذا رَمــــى بِحَبــــلٍ إِلــــى الكَفَّــــينِ جــــاراً لِخــــائِفِ
هُــــوَ المــــانِعُ الجيــــرانِ وَالمُعجِــــلُ القِــــرى وَيَحفَــــظُ لِلإِســــلامِ مــــا فــــي المَصــــاحِفِ
أَرى إِبِلــــي مِمّــــا تَجِــــنُّ خِيارُهــــا إِذا عَلِقَــــت أَقرانُهــــا بِالسَــــوالِفِ
بِهــــا يُحقَــــنُ التــــامورُ[4] إِن كــــانَ واجِبــــاً وَيَرقَــــأُ تَوكــــافُ[5] العُيــــونِ الــــذَوارِفِ
وَإِنّــــا دَعَونــــا اللَهَ إِذ نَزَلَــــت بِنــــا مُجَلِّلَــــةً إِحــــدى اللَيــــالي الخَوائِــــفِ
فَسَــــلَّ بِــــلالٌ دونَنــــا السَــــيفَ لِلقِــــرى عَلــــى عُــــبُطِ الكــــومِ[6] الجِــــلادِ العَلايِــــفِ[7]
رَأَيــــتُ بِــــلالاً يَشــــتَري بِــــتِلادِهِ وَبِالسَــــيفِ خَــــلّاتِ الكِــــرامِ الغَطــــارِفِ
ثَنَــــت مُضــــمِراتٌ مِــــن بِــــلالٍ قُلوبَنــــا إِلــــى مُنكَــــرِ النَكــــراءِ لِلحَــــقِّ عــــارِفِ[8]

---

(1) العكوب: الغبار.
(2) كلاح، الواحد كالح: عابس.
3() ديوان الفرزدق ص 64
(4) التامور: دم القلب.
(5) التوكاف: انهمار الدمع.
(6) الكوم: النوق السمان.
(7) العلايف: المسمنة بجيد العلف.
8() ديوان الفرزدق ص 380

أبيات فيها نبرة المستجير من أمر أهمه وأخافه

وَلَـــم تَـــرَ مِثـــلَ الأَشـــعَرِيّ إِذا رَمـــى بِحَبـــلٍ إِلـــى الكَفَّـــينِ جـــاراً لِخـــائِفِ

ثم يمدحه بثلاث خلال يجعلها في قرن

هُـــوَ المـــانِعُ الجيـــرانِ وَالمُعجِـــلُ القِـــرى وَيَحفَـــظُ لِلإِســـلامِ مـــا فـــي المَصـــاحِفِ

فهو مانع من يستجير به ومعجل بالقرى للضيف وحامٍ لبيضة الدين, ومدافع عن الإسلام.

وقال فيه كذلك: الطويل

لَـــتَطّلِعَن مِنّـــي بِـــلالاً قَصـــيدَةٌ طَويـــلٌ بِـــأَفواهِ الـــرُواةِ ارتِجالُهـــا
فَـــإِنَّ بِـــلالَ الجـــودِ لَسـتَ بِواجِـــدٍ لَـــهُ عُـــدَةٌ إِلّا شَـــديداً دِخالُهـــا
وَكـــائِنَ مِـــنَ الأَيـــدي الظَـــوالِمِ أَصـــبَحَت بِكَفَّـــي بِـــلالِ الجـــودِ كـــانَ نَكالِهـــا
وَكـــانَ بِـــلالٌ حـــينَ يَســـتَلَّ سَـــيفَهُ لَمَلحَمَـــةٍ بِـــالمُعلَمينَ يَنالُهـــا
سُـــيوفٌ إِذا الأَغمـــادُ عَـــنهُنَّ أُلقِيَـــت وَكـــانَ بِهامـــاتِ الرِجـــالِ صِـــقالُها
هُـــوَ الطـــاعِنُ الـــنَجلاءَ تَهـــدِرُ فَرغُهـــا مِـــنَ العَلَـــقِ المُـــروي السِـــنانِ اِنبِلالُهـــا
أَرى مُضَـــرَ المِصـــرَينِ أَشـــرَقَ نورُهـــا إِذا قـــامَ فيهـــا حـــينَ يَغـــدو بِلالُهـــا
هُـــوَ الفـــارِجُ اللَـــبسَ الشَـــديدَ اِلتِباسُـــهُ إِذا عَـــيَّ عَـــن فَصـــلِ القَضـــاءِ رِجالُهـــا
نَمـــاهُ أَبـــو موســـى إِلـــى حَيـــثُ تَنتَهـــي مِـــنَ الأَرضِ مِـــن دونِ السَـــماءِ جِبالُهـــا
وكـــائِنْ أَبَـــى مـــن خُطَّـــةِ الضَـــيمِ وَاشـــتَرى مَكَـــارِمَ أَيّـــامٍ شَـــدِيدٍ قِتَالُهـــا
وَخَيْـــلٍ عَلَيْهـــا المُعْلِمُـــونَ مُغِيـــرَةٍ، بِكَفّـــيْ بِـــلالٍ كـــانَ طَعْنـــاً رِعَالُهـــا
وَإِنّ أَبـــا مُوسَـــى خَلِيـــلُ مُحَمّـــدٍ، وَكَفّيْـــهِ يُمْنَـــى لِلهُـــدَى وَشِـــمَالُها
وكـــمْ صَـــعّدتْ كَفّـــاكَ مـــن فَـــرْعِ سُـــورَةٍ عَلَـــتْ فَـــوْقَ أَيْـــدٍ لا تُنَـــالُ طِوَالُهـــا
وَيَـــوْمٍ مِـــنَ الأَيّـــامِ تَبْـــدُو نُجُومُـــهُ، شَـــهدتَ إِذا أَبـــدى السّـــيوفَ اســـتِلالُها
وَمَـــنْ يَطّلِـــبْ مَسْـــعاتَكُمْ تَرْتَفِـــعْ بِـــهِ مَكـــارِمُ فـــي الأَيـــدي طـــوَالٌ جِبالُهـــا
لَعَمْـــري لَـــئِنْ كَفّـــا بِـــلالِ نَمَاهُمَـــا مَـــآثِرُ أَقْـــوَامٍ، عِظَـــامٍ سِـــجالُها
لَقَـــدْ رَفَعَـــتْ كَفّـــيْ بِـــلالٍ وَأَشْـــرَقتْ بِـــهِ لِلعُلـــى أَيْـــدٍ كَـــرِيمٌ فِعَالُهـــا
أَبَـــى لِـــبِلالٍ أَنّ جَـــارَ مُحَمّـــدٍ أَبَـــاهُ ابْتَنَـــى عَادِيّـــةً، لا يَنَالُهـــا
مِنَـــالقَوْمِ إِلاّ مَـــنْ تَصَـــعّدَ مَجـــدُهُ إِلـــى الشّـــمْسِ إِذْ فـــاءَتْ عَلَيـــهِ ظِلالُهـــا
وَإِنّ بِـــلالاً لا تُحَجَّـــلُ قِـــدْرُهُ إِذا سُـــتِرَتْ دُونَ الضّـــيوفِ حِجالُهـــا
وَإِنّ بِـــلالاً يَقتُـــلُ الجُـــوعَ إِنْ ســـرَتْ شَـــآمِيّةً، بِالنّيـــبِ غُـــرّاً مَحالُهـــا
تَـــرَاءى بِـــلالاً كُـــلُّ عَـــيْنٍ، إِذا بَـــدَا، كَمَـــا يَتَـــراءَى فـــي السّـــمَاءِ هِلالُهـــا
وَأَرْمَلَـــةٍ تَـــدْعُو بِـــلالاً فَقِيـــرَةٍ وَمَـــالُ بِـــلالٍ حِـــينَ يُـــنْفِضُ مالُهـــا
وَلَـــمْ تَسْـــتَغِثْ كَفّـــيْ بِـــلالٍ فَقِيـــرَةٌ إِذا مَـــا دَعَـــتْ إِلاّ عَلَيْـــهِ عِيَالُهـــا
سَـــتَأتي بِـــلالاً مِـــدْحَتي حَيـــثُ يمّمَـــتْ بـــهِ العِـــيسُ أَوْ ســـودٌ عَلَيهـــا جِلالُهـــا
فَـــدُونَكَ هَـــذِي يـــا بِـــلالُ، فإِنّهَـــا سَـــيَنْمَى بِهَـــا فَـــوْقَ القَـــوَافي نِقَالُهـــا[1]

يقسم الفرزدق أنه سينفح بلالاً بمدحة جليلة

لَـــتَطّلِعَن مِنّـــي بِـــلالاً قَصـــيدَةٌ طَويـــلٌ بِـــأَفواهِ الـــرُواةِ ارتِجالُهـــا

1() ديوان الفرزدق ص 451

ويسترسل في المدح بدءاً بالجود

فَـــإنَّ بِـــلالَ الجـــودِ لَســـتَ بِواجِـــدٍ لَـــــهُ عُـــــدَةٌ إلّا شَـــــديداً دِخالُهـــــا

وبعده يثني بالشجاعة كما هي العادة

وَكـــانَ بِـــلالٌ حـــينَ يَســـتَلَّ سَـــيفَهُ لَمَلحَمَـــــــةٍ بِـــــالمُعلَمينَ يَنالُهـــــا

ثم يذكر مهارته في القضاء

هُـــوَ الفـــارِجُ اللَـــبسَ الشَـــديدَ اِلتِباسُـــهُ إذا عَـــيَّ عَـــن فَصـــلِ القَضـــاءِ رِجالُهـــا

ولم ينس الفرزدق قرابة بلال من أبي موسى الأشعري رضي اللهُ عنه, ثم يختم الفرزدق مدحته ببيان قوة وجمال قصيدته التي مدح بها بلال

فَـــدُونَكَ هَـــذِي يـــا بِـــلالُ، فإنّهَـــا سَـــيَنْمَى بهَـــا فَـــوْقَ القَـــوَافي نِقَالُهـــا

وقال فيه أيضاً: الوافر

رَأَيتُـــكَ قَـــد نَضَـــلتَ وَأَنـــتَ تَنمـــي إِلـــى الأَحســـابِ أَصـــحابَ النِضـــالِ
وَإِنّـــي وَالَّـــذي حَجَّـــت قُـــرَيشٌ لَـــهُ الأَيّـــامَ تابِعَـــةَ اللَيـــالي
يَمـــينَ مُحـــافِظٍ فَـــاِحفَظ يَمينـــي بِمَكَّـــةَ عِنـــدَ مُطَّـــرَحِ الرِحـــالِ
لِتَـــرتَحِلَن إِلَيـــكَ بِـــبَطنِ جَمـــعٍ عَلـــى النـــوقِ النَـــواعِجِ وَالجِمـــالِ
سَـــأَترُكُ باقِيـــاً لَـــكَ مِـــن ثَنـــائي بِمـــا أَولَيـــتَ فـــي الحِقَـــبِ الخَـــوالي
كَـــم لَـــكَ مِـــن أَبٍ يَعلـــو وَيَنمـــى وَعَـــمٍّ يـــا بِـــلالُ إِلـــى المَعـــالي[1]

ستة أبيات جمع فيها الفرزدق ما تفرق من ممادحه وخلاصتها الشجاعة والجود وكرم المحتد, ولم ينس ناقته فذكرها في السياق.

وقال فيه: الوافر

وَمُظَلِّمَـــةٍ عَلـــيّ مِـــنَ اللّيـــالي جَـــلا ظَلْماءَهـــا عَنّـــي بِـــلالُ
بِخَيْـــرِ يَمِـــينِ مَـــدْعُوٍّ لِخَيْـــرٍ تُعَاوِنُهـــا، إذا نَهَضَـــتْ، شِـــمَالُ
بِحَقّـــي أَنْ أكـــونَ إليـــكَ أَسْـــعَى، وفـــي يَـــدِكَ العُقُوبَـــةُ وَالنّـــوَالُ
تَـــرَى الأَبْصَـــارَ خَاشِـــعَةً إِلَيْـــهِ، كَمـــا يَشْخَصْـــنَ حـــينَ يُـــرَى الهِـــلالُ
رَأَيْتُـــكَ قـــد نَضَـــلتَ وأنـــتَ تَرْمـــي عـــنِ الأَحْسَـــابِ إِذْ جَـــدّ النّضَـــالُ
فَـــإنّي وَالّـــذِي حَجّـــتْ قُـــرَيْشٌ لِكَعْبَتِـــهِ، وَمَـــا ضَـــمّتْ إِلالُ
وَإنـــي حـــافِظٌ، فَـــاحْفَظْ يَمينـــي بِمَكّـــةَ، حَيـــثُ أُلقِيَـــتِ الرّحـــالُ
لَتَـــرْتَحِلَنْ إِلَيـــكَ بِـــبَطْنِ جَمـــعٍ قَـــوَافٍ تَحْتَهَـــا النُّـــوقُ العِجَـــالُ
فكَـــمْ لـــكَ مِـــنْ أبٍ يَعلُـــو وَتَنْمـــي بِـــهِ الشُّـــمُّ الشّـــمَارِيخُ[2] الطِّـــوَالُ[3]

1() ديوان الفرزدق ص 459

(2) الشماريخ، واحده الشمراخ: رأس الجبل، كنى به عن العزة.

3() ديوان الفرزدق ص 472

أزاح الممدوح عن الشاعر مدلهمات الخطوب فاستحق منه المدح بالقوافي الحسان

لَتَـــــرْتَحِلَنْ إلَيـــــكَ بِـــــبَطْنِ جَمـــــعٍ قَـــــوَافٍ تَحْتَهَـــــا النُّـــــوقُ العِجَـــــالُ

وهنا أيضاً يلمح الفرزدق إلا أن الممدوح مع نواله ربما عاقب فهو ذو رهبة ورغبة

بحَقّـــــي أنْ أكـــــونَ إليـــــكَ أسْـــــعَى، وفـــــي يَـــــدِكَ العُقُوبَـــــة وَالنّـــــوَالُ

ثم يحيل كل ما في الممدوح من كريم الصفات وجميل السجايا إلى الآباء والأجداد الذين انحدر منهم الممدوح

فكَـــمْ لـــكَ مِـــنْ أبٍ يَعلُـــو وَتَنْمـــي بِـــهِ الشُّـــمُّ الشّـــمَارِيخُ الطّـــوَالُ

وقال فيه: الطويل

رَأَيـــتُ بِـــلالاً يَشـــتَري بِـــتِلادِهِ مكـــارِمَ فَضـــلٍ لا تُنـــالُ فَواضِـــلُه
هُـــوَ المُشـــتَري مـــا لا يُنـــالُ بِمـــا غَـــلا مِـــنَ المَجـــدِ وَالمَنضـــولُ رامٍ يُناضِـــلُه
وَمَـــن يَطَّلِـــب مَســـعاةَ مـــا قَـــد بَنـــى لَـــهُ أَبـــوهُ أَبـــو موســـى تَصَـــعَّد أَوائِلُـــه
رَأَيـــتُ أَكُفّـــاً قَصَّـــرَ المَجـــدُ دونَهـــا وَكَفّـــا بِـــلالٍ فيهِمـــا الخَيـــرُ كامِلُـــه
هُمـــا خَيـــرُ كَفَّـــي مُســـتَغاثٍ وَغَيـــرِهِ إذا مـــا بَخيـــلُ القَـــومِ عَـــرَّدَ نائِلُـــه
يُطيـــعُ رِجـــالٌ ناهِيـــاتٍ عَـــنِ العُلـــى وَيَـــأبى بِـــلالٌ مـــا تُطـــاعُ عَواذِلُـــه
فَتـــىً يَهَـــبُ الجُرجـــورَ[1] تَحـــتَ ضُـــروعِها بَنـــاتُ دَجـــوجِيٍّ[3] صِـــغارٍ جَواثِلُـــه[4]
جَـــرى مِـــن مَـــدىً فَـــوقَ المَتـــينَ فَلَـــم تَجِـــد لَـــهُ إذ جَـــرى مِـــنهُنَّ فَحـــلاً يُقابِلُـــه
وَجـــاءَ وَمـــا مَـــسَّ الغُبـــارَ عِنانَـــهُ مُلِحّـــاً عَلـــى الشَـــأوِ البَعيـــدِ مَناقِلُـــه
رَأَيـــتُ أَكُفّـــاً قَصَّـــرَ المَجـــدُ دونَهـــا وَكَفّـــا بِـــلالٍ فيهِمـــا الخَيـــرُ كامِلُـــه
هُمـــا خَيـــرُ كَفَّـــي مُســـتَغاثٍ وَغَيـــرِهِ إذا مـــا بَخيـــلُ القَـــومِ عَـــرَّدَ نائِلُـــه
يُطيـــعُ رِجـــالٌ ناهِيـــاتٍ عَـــنِ العُلـــى وَيَـــأبى بِـــلالٌ مـــا تُطـــاعُ عَواذِلُـــه
فَتـــىً يَهَـــبُ الجُرجـــور[2] تَحـــتَ ضُـــروعِها بَنـــاتُ دَجـــوجِيٍّ[5] صِـــغارٍ جَواثِلُـــه[6]
جَـــرى مِـــن مَـــدىً فَـــوقَ المَتـــينَ فَلَـــم تَجِـــد لَـــهُ إذ جَـــرى مِـــنهُنَّ فَحـــلاً يُقابِلُـــه
وَجـــاءَ وَمـــا مَـــسَّ الغُبـــارَ عِنانَـــهُ مُلِحّـــاً عَلـــى الشَـــأوِ البَعيـــدِ مَناقِلُـــه
فَـــدونَكَ هَـــذي يـــا بِـــلالُ فَإِنَّهـــا إِلَيـــكَ بِمـــا تَنمـــي الكَـــريمَ أَوائِلُـــه[7]

في هذه القصيدة ترى أثر البداوة وخشونتها ظاهراً وكأن القصيدة صوت جنادل تنحدر من أعالي الجبال انظر إلى وصف الكرم

فَتـــىً يَهَـــبُ الجُرجـــورَ تَحـــتَ ضُـــروعِها بَنـــاتُ دَجـــوجِيٍّ صِـــغارٍ جَواثِلُـــه

وحين تصل إلى آخر القطعة ترى الفرزدق متصبب العرق متسارع الأنفاس وهو يقول لبلال:

فَـــدونَكَ هَـــذي يـــا بِـــلالُ فَإِنَّهـــا إِلَيـــكَ بِمـــا تَنمـــي الكَـــريمَ أَوائِلُـــه.

(1) الجرجور: الإبل الكثيرة الكريمة.
(2) الجرجور: الإبل الكثيرة الكريمة.
(3) الدجوجي: فحل الإبل الأسود.
(4) الجواثل: الصغار
(5) الدجوجي: فحل الإبل الأسود.
(6) الجواثل: الصغار
7() ديوان الفرزدق ص 473

خلاصة صورة الوالي الممدوح في شعر الفرزدق:

أولاً اتسمت القصائد التي مدح بها الفرزدق الولاة بمايلي:

1. بدأ الكثير من القصائد بالغزل وذكر (النوار) غالباً و (طيبة) أحياناً. وذلك لقرب عهده من الجاهليين وأثرهم الفني في شعره.
2. أكثر من ذكر إنضائه لناقته من كثرة التسفار إلى الممدوحين وذلك يعكس عدم استقراره النفسي والحسي فهو في رحيل دائم, قارن ذلك بمدائح العباسيين التي لا تذكر فيها النوق والأسفار إلا من أجل التأنق والتشبه وذلك لاستقرارهم وتمكن الحضارة منهم.
3. أكثر من ذكر كرم الممدوح بل لا تكاد قصيدة مدح له تخلو من ذلك لأن المقام مقام طلب واستمناح ولأن العربي مشهور بكرمه وجوده حتى لو كان فقيراً فكيف به وهو من الولاة .
4. يقرن بين مدح الكرم والشجاعة عند ذكر مآثر الولاة ذلك أن الكرم والشجاعة من الأمور المتلازمة وقل أن تجد شجاعاً بخيلاً .
5. يتطرق كثيراً إلى قبيلة الممدوح حتى يبين أن الكرم والشجاعة سجايا متأصلة اكتسبها الممدوح من آباء صدق وأجداد مجد وليست طارئة عليه بسبب المنصب أو غيره.
6. كثيراً ما يستجير الفرزدق بالولاة لفك دين أو خوف عدو أو تخليص من أسر وذلك يعكس مدى الصراع الدائر في العراق آنذاك والتنافس الحاد بين القيسية واليمانية ومن انتمى إلى الطرفين من الموالي والتجار والغرباء.

7- صورة الوالي في نظر الفرزدق من خلال مدائحه هي تلك الصورة الزاهية للرجل الكريم الأصل الطاهر المحتد الكريم الشجاع الذي يجير من استجار به ويعطي من استمنحه مع قوة في الجسم وجلد على المصائب وثبات في الحرب واللقاء كل ذلك في رجاحة عقل وحلم وحسن تدبير.

صورة القائد في شعرالفرزدق

مدح الفرزدق بعض القادة لشجاعتهم ومدح آخرين خاصة قواد الشرطة لأنهم ألقوه في غيابات السجون فاحتاج أن يحرك عاطفتهم نحوه حتى يخرج من سجنه ليعود إلى حياة الشعر والفخر والتسفار , والفرزدق شاعر ثائر النفس متشعب النوازع قوي الجنان حياته تمضي بين غزل ومدح وهجاء وقليل رثاء على ظهر ناقة طالما جعلها تشرق بدم الوتين على أعتاب من يمدحهم، وممن مدحهم من القواد:

1. **عباد بن علقمة[1] (قائد ـ قاتل الخوارج و يعرف بابن أخضر) قال فيه الفرزدق: البسيط**

يـــا اِبـــنَ أَبـــي حاضِـــرٍ يـــا شَـــرَّ مُمتَـــدِحٍ ... أَنـــتَ الفِـــداءُ لِعَبّـــادِ بـــنِ عَبّـــادِ
أَنـــتَ الفِـــداءُ لِخَيـــرٍ مِنـــكَ مَـــأثُرَةً ... عِنـــدَ التَنـــائي وَخَيـــرٍ مِنـــكَ فـــي النـــادي
المـــازِنِيُّ الَّـــذي يَشـــآكَ أَوَّلُـــهُ ... إِذا جَـــرَيتُم بِآبـــاءٍ وَأَجـــدادِ
أَغَـــرُّ أَروَعُ مَحـــضٌ غَيـــرُ مُؤتَشَـــبٍ ... مُـــرَدَّدٌ بَـــينَ أَمحـــاضٍ وَأَنجـــادِ
صَـــلتُ الجَبـــينِ كَـــريمُ العـــودِ مُنتَجَـــبٌ ... لَـــم يَـــدرِ مـــا طَعـــمُ ثَـــديَي أُمِّ أَولادِ
أَنـــتَ اِبـــنُ عَلقَمَـــةَ المَحمـــودُ نائِلُـــهُ ... وَخالُـــكَ السِـــعرُ سِـــعرُ المِصـــرِ وَالبـــادي
تَـــرى قُـــدورَ اِبـــنِ عَبّـــادٍ مُعَســـكِرَةً ... وَالنـــاسُ مِـــن صـــادِرٍ عَنهـــا وَوَرّادِ
يَســـري فَيُصـــبِحُ عَبّـــادٌ يُشَـــبِّهُهُ ... صَـــدرَ الحُســـامِ نُقـــي مِـــن بَـــينِ أَغمـــادِ[2]

ومن الغريب أن يبدأ الفرزدق قصيدته هذه في مدح عباد بن علقمة بالهجاء وربما ذلك من باب (بضدها تتميز الأشياء) ثم يمدحه بكرم المحتد وأنه عربي صميم, ثم يجمع له بين الكرم والشجاعة:

تَـــرى قُـــدورَ اِبـــنِ عَبّـــادٍ مُعَســـكِرَةً ... وَالنـــاسُ مِـــن صـــادِرٍ عَنهـــا وَوَرّادِ
يَســـري فَيُصـــبِحُ عَبّـــادٌ يُشَـــبِّهُهُ ... صَـــدرَ الحُســـامِ نُقـــي مِـــن بَـــينِ أَغمـــادِ

1() عباد بن علقمة بن عباد المازني التميمي نسب إلى الأخضر وهو زوج أمه: قائد، اشتهر في العصر الأموي. وجهه عبيد الله بن زياد في أربعة آلاف لقتال مرداس بن حدير ومن معه من الشراة، فالتحما في معركة شديدة، بقرب البصرة في صباح يوم جمعة. وجاء وقت الصلاة فتهادن الفريقان إلى ما بعدها. وقضى عباد الصلاة مسرعاً، وحمل على أصحاب مرداس، وهم ما بين راكع وساجد، فقتلهم جميعاً، وأرسل رأس مرداس إلى ابن زياد، وعاد هو إلى البصرة فأقام مدة. وائتمر به بعض الشراة فقتلوه غيلة في سكة بني مازن، عند مسجد كليب، بالبصرة سنة 61ه. الأعلام للزركلي (3|257)

2() ديوان الفرزدق ص 153

معاوية بن هشام[1] (قائد والد عبد الرحمن الداخل) **الكامل**

أَبلِـــغ مُعاوِيَـــةَ الّـــذي بِيَمينِـــهِ ... أَمـــرُ العِـــراقِ وَأَمـــرُ كُـــلَّ شَـــآمِ
إِنَّ الهُمـــومَ وَجَـــدتَها حـــينَ اِلتَقَـــت ... فـــي الصَـــدرِ طـــارِقِهُنَّ غَيـــرُ نِيـــامِ
يَســـهَرنَ مَـــن طَـــرَقَ الهُمـــومُ فُـــؤادَهُ ... وَيَـــرومُ وارِدُهُـــنَّ كُـــلَّ مَـــرامِ
يَـــأمُرنَني بِنَـــدى مُعاوِيَـــةَ الَّـــذي ... قـــادَ اِبـــنُ خَمسَـــتِهِ لِكُـــلِّ لُهـــامِ
أَو يَســـتَقيمَ إِلـــى أَبيـــهِ فَإِنَّـــهُ ... ضَـــوءُ النَهـــارِ جَـــلا دُجـــى الأَظـــلامِ
غَمَـــرَ الخَلائِـــفَ قَبلَـــهُ وَهُـــوَ الَّـــذي ... قَتَـــلَ النِفـــاقَ أَبـــوهُ بِالإِســـلامِ
وَرِثـــوا تُـــراثَ مُحَمَّـــدٍ كـــانوا بِـــهِ ... أَولـــى وَكـــانَ لَهُـــم مِـــنَ الأَقســـامِ
لَمّـــا تُخوصِـــمَ فـــي الخِلافَـــةِ بِالقَنـــا ... وَبِكُـــلِّ مُختَضَـــبِ الحَديـــدِ حُســـامِ
كانَـــت خِلافَتُهـــا لِآلِ مُحَمَّـــدٍ ... لِأَبـــي الوَليـــدِ تُراثُهـــا وَهِشـــامِ
أَخلِـــص دُعـــاءَكَ تَـــنجُ مِمّـــا تَتَّقـــي ... لِلَّهِ يَـــومَ لِقائِـــهِ بِسَـــلامِ
وَهُـــوَ الَّـــذي اِبتَـــدَعَ السَـــماءَ وَأَرضَـــها ... وَرَســـولَهُ وَخَليفَـــةَ الآنـــامِ
مَلِـــكٌ بِـــهِ قُصِـــمَ المُلـــوكُ وَعِنـــدَهُ ... عِلـــمُ الغُيـــوبِ وَوَقـــتُ كُـــلِّ حِمـــامِ
أَرجـــو الـــدُعاءَ مِـــنَ الَّـــذي تَـــلَّ اِبنَـــهُ ... لِجَبينِـــهِ فَفَـــداهُ ذو الإِنعـــامِ
إِســـحاقُ حَيـــثُ يَقـــولُ لَمّـــا هابَـــهُ ... لِأَبيـــهِ حَيـــثُ رَأى مِـــنَ الأَحـــلامِ
أَمضـــي وَصَـــدِّق مـــا إِمِـــرتَ فَـــإِنَّني ... بِالصَـــبرِ مُحتَسِـــباً لِخَيـــرُ غُـــلامِ
إِنَّ المُبـــارَكَ كـــانَ حَيـــثُ جَعَلتَـــهُ ... غَيـــثُ الفَقيـــرِ وَنـــاعِشَ الأَيتـــامِ
وَلَـــتَعلَمَنَّ مَـــنِ الكَـــذوبُ إِذا اِلتَقـــى ... عِنـــدَ الإِمـــامِ كَلامُهُـــم وَكَلامـــي
قـــالَ الَّـــذي يَـــروي عَلَـــيَّ كَلامَهُـــم ... الطارِحـــاتِ بِـــهِ عَلـــى الأَقـــدامِ
هَـــل يَنتَهـــي زَجَـــلٌ وَلَـــم تَعمِـــد لَـــهُ ... مِثـــلَ الَّـــذي وَقَعَـــت بِـــذي الأَهـــدامِ
شَـــنعاءُ جادِعَـــةُ[2] الأُنـــوفِ مُذِلَّـــةٌ ... كانَـــت لَـــهُ نَزَلَـــت بِكُـــلِّ غَـــرامِ[3]

الممدوح من آل بيت ملك وخلافة فلا غرو أن يكون كريما جوادا ممدحا في الذروة العليا من السؤدد وهذه المكارم أورثاها بنيه فكان منهم عبد الرحمن الداخل الذي ابتنى مجدا بالأندلس خلده الدهر وسارت بذكره الأيام.

1() معاوية بن هشام بن عبد الملك ابن مروان، أبو شاكر: جد أمراء الأندلس من بني أمية
كان أنبل أولاد أبيه: جواداً غازياً ممدحاً. ولي الغزو مرات. وتوفى في حياة أبيه سنة 119هـ. الأعلام للزركلي (7|263)
(2) جادعة الأنوف: قاطعتها.
3() ديوان الفرزدق ص 593

2. الجنيد بن عبد الرحمن المري[1] (قائد) يقول فيه الفرزدق: الطويل

صُـــلْ يـــا جُنَيْـــدَ الخَيـــرِ لله صَـــوْلَةً، وَأقْـــرِرْ عُيُونـــاً مـــا يَجِـــفُّ سِـــجَامُهَا
فَقَـــدْ فَضّـــلَ اللهُ الجُنَيْـــدَ وَفُضّـــلَتْ يَـــداهُ علـــى الأيـــدي الطّـــوَالِ اهتضَـــامُهَا
وَمَـــا غَضِـــبَتْ للهِ أيْـــدِي قَبِيلَـــةٍ عَلـــى مُشْـــرِكٍ إلاّ الجُنَيْـــدُ حُسَـــامُهَا
وَلا ذُكِـــرَتْ عَنْـــدَ المُلُـــوكِ قَمـــاقِمٌ بِفَضْـــلِ نَـــدىً إلاّ الجُنَيْـــدُ هُمامُهَـــا
قَبِيلَتُـــهُ مُـــرِّيّةٌ غَـــالِبِيّةٌ، لَهـــا وَعَلَيْهَـــا حَلُّـــهَا وَحَـــرامُهَا
تَفَـــرّعَ مِـــنْ غَـــيْظِ ابـــنِ مُـــرّةَ مَجْـــدُها قَـــدِيماً وَهُـــمْ أعْنـــاقُ قَـــيْس وَهامُهَـــا[2]

وصف بليغ لقائد همام خبر الحرب وذاقها فبه تقر الأعين الخائفة وهو سيف مصلت على أهل الشرك وهو الهمام الذي تنال به الملوك رغائبها في المجد, ولا غرابة فقد جمع بين سؤدد العرب, وشرف قبائلهم.

4-أبو العلاء محمد بن منظورالأسدي (قائد من الشرطة). قال فيه الفرزدق: الوافر

لَقَـــد فَرَجَـــت سُـــيوفُ بَنـــي تَمـــيمٍ عَـــنِ البَصـــرِيّ مُكـــتَظِمَ الخِنـــاقِ
غَـــداةَ دَعـــا وَلَـــيسَ لَـــهُ نَصـــيرٌ وَقَـــد نَـــزَتِ النُفـــوسُ إِلـــى التَراقـــي
أَتَتـــهُ مالِـــكٌ وَكُمـــاةُ عَمـــروٍ عَلـــى القُـــبِّ المُسَـــوَّمَةِ العِتـــاقِ
بِضَـــربٍ تَنـــدُرُ القَصَـــراتُ فيـــهِ وَطَعـــنٍ مِثـــلِ أَفـــواهِ النِهَـــاقِ[3]

إن كان ثمة مدح في هذه المقطوعة فهو أن هذا القائد يستحق أن تأتيه سيوف بني تميم نجدة له ونصرة وذلك لعزه وسابقته وأياديه البيضاء عليهم.

وقال فيه أيضاً: الطويل

نَظَرنـــا اِبـــنُ مَنظـــورٍ فَجـــاءَ كَأَنَّـــهُ حُســـامٌ جَـــلا الأَصـــداءَ عَنـــهُ صَـــياقِلُه
أَغَـــرُّ كَضَـــوءِ البَـــدرِ يُعمِـــلُ رُمحَـــهُ إِذا هُـــزَّ فـــي الحَـــربِ العَـــوانِ عَواسِـــلُه
يَـــداهُ يَـــدٌ سَـــيفٌ يَعـــاذُ بِعِزِّهـــا وَنَفّاحَـــةٌ يَغنـــي بِهـــا مَـــن يُواصِـــلُه[4]

والفرزدق لم يسهب في المدح لكنه جمع لممدوحه الشجاعة والندى, وهو من أجمع الأبيات للصفات المدحية في قوله:

يَـــداهُ يَـــدٌ سَـــيفٌ يَعـــاذُ بِعِزِّهـــا وَنَفّاحَـــةٌ يَغنـــي بِهـــا مَـــن يُواصِـــلُه

1() الجنيد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الحارث المري الدمشقي: أمير خراسان، وأحد الشجعان الأجواد الممدوحين. ولاه هشام بن عبد الملك سنة 111 هـ فثبت في الولاية إلى أن مات في خراسان سنة 115ه. الأعلام للزركلي (2|141)

2() ديوان الفرزدق ص 581

3() السابق ص 405

4() السابق ص 450

5-هلال بن أحوز بن أربد المازني[1]. (قائد الجيش الأموي زمن يزيد بن عبد الملك) يقول فيه الفرزدق : (الطويل)

يُقيمُ عَصا الإسلامُ مِنّا اِبنُ أَحوَزٍ ... إذا ما عَصا الإسلامِ لانَت كُعوبُها
أَخو غَمَراتٍ يَفرِجُ الشَكَّ عَزمُهُ ... وَقَد يُنعِمُ النُعمى وَلا يَستَثيبُها
لَقَد قادَ جُردَ الخَيلِ مِن جَنبِ واسِطٍ ... يَثورُ أَمامَ الرائِحينَ عَكوبُها
وَشَهباءَ فيها لِلمَنايا مَناكِبٌ ... إذا أَقبَلَت يَوماً وَدَبَّ دَبيبُها[2]

يمدح هلالاً بالشجاعة والغيرة على الدين ثم انظر إلى بديع تصوير قوة العزيمة عند الممدوح بحيث يجعل الشك كالثوب الذي يمزقه ماضي العزم , ويصوره وهو يقود الكتيبة الشهباء التي تحمل المنايا على مناكبها حتى إذا رأى الأعداء غبارها أخذهم المقيم والمقعد.

وقال فيه أيضاً: الطويل

إذا هَرّتِ الأحيَاءُ حَرْباً مُضِرّةً ... تَرَى السّمَّ مِنْ أنْيَابِهَا يَتقَطّرُ
غَدا في مَحانِيها ابنُ أحْوَزَ غَدْوَةً ... تُفَرّجُ عَنْهُ، وَالأسِنّةُ تَخْطِرُ
أقَمَ على حَيّ المَزُونِ قِيَامَةً ... مِنَ المَوْتِ إلاّ أنّهَا هِيَ أشْهَرُ
وَقَدْ ضَاقَ ذَرْعاً مُصْطَلُوها بحَرّها ... وَعَادَتْ جَحِيماً نارُها تَتَسَعَّرُ[3]

يصف الفرزدق ممدوحه وهو يخوض حرباً ضروساً يقطر من أنيابها السم القاتل فلا يهاب الموت وهو يمشي في أنحاء الجيوش وقد شتت شملهم فجعلهم في مثل يوم القيامة يلقي بأعدائه في جحيم مستعرة.

1() هلال بن أحوز بن أربد المازني المالكي التميمي: قائد، من الشجعان القساة. عرفه ابن حزم بقاتل آل المهلب بقندابيل مات بعد سنة 102ه الأعلام للزركلي (8|90)

2() ديوان الفرزدق ص54

3() السابق ص229

وقال فيه أيضاً: الطويل

أَلَمْ يَأتِ بالشّأمِ الخَليفَةَ أنّنَا ... ضَربْنا لَهُ مَنْ كانَ عَنْهُ يُخالِفُ
صَناديدَ أهْدَيْنا إلَيْه رُؤوسَهُمْ ... وَقد باشَرتْ منها السيوفُ الخذارِفُ
وَعِنْدَ أبي بِشْرِ بن أحْوَزَ مِنْهُمُ ... عَلى جِيَفِ القَتْلى نُسُورٌ عَوَاكِفُ
فإنْ تَنْسَ ما تُبْلي قُرَيْشٌ، فإنّنَا ... نُجالِدُ عَنْ أحْسابِها، وَنُقاذِفُ
شَدَائِدَ أيّامٍ بِنَا يَتّقُونَها، ... كأنّ شُعاعَ الشّمسِ فيهنّ كاسِفُ
وَما انكَشَفَتْ خَيلٌ بِبابلَ تَتّقي ... رَدَى المَوْتِ إلاّ مِسْوَرُ الخَيلِ وَاقِفُ
شَوَازِبُ قَدْ كانَتْ دِمَاءُ نحُورِها ... نِعالاً لأيْديها، وَهُنّ كَوَاتِفُ
بِمُعْتَرَكٍ لا تَنْجَلي غَمَراتُهُ ... عَنِ القَوْمَ إلاّ وَالرّمَاحُ رَوَاعِفُ
نَوَاقِلُ من جُرْدٍ عَوَابِسُ في الوَغَى ... وَكُلُّ صَرِيعٍ خَرّقَتْهُ الجَوَائِفُ
عَذيرُكَ ذو شَغْبٍ إذا أنْتَ لَمْ تُطَعْ ... وَسَهْلٌ إذا طُوّعْتَ للحَقّ عارِفُ
تَجُودُ بِنَفْسٍ لا يُجَادُ بِمِثْلِهَا ... حِفاظاً وَإنْ خِيفَتْ عَلَيكَ المَتالِفُ
فأنْتَ الفَتى المَعْروفُ وَالفارِسُ الذي ... بِهِ، بَعْدَ عَبّادٍ، تُجَلّى المَخاوِفُ
وَتَقْلِصُ بالسّيفِ الطّويلِ نِجادُهُ ... وَفي الرَّوْعِ لا شَخْتٌ وَلا مُتآزِفُ
أغَرُّ عَظيمُ المَنْكِبَينِ سَمَا بِهِ ... إلى كَرَمِ المَجْدِ الكِرَامُ الغَطارِفُ
فَوَارِسُ مِنْهُمْ مِسْوَرٌ لا رِماحُهُمْ ... قِصَارٌ وَلا سُودُ الوُجُوهِ مَقَارِفُ
إذا شَهِدُوا يَوْمَ اللّقَاءِ تَضَمّنُوا ... مِنَ الطّعْنِ أيّاماً لَهُنّ مَتَالِفُ[1]

يبلغ الفرزدق الخليفة ويصف له معركة خاضها مع ابن أحوز يصف القتال وشجاعة الممدوح وكيف يترك القتلى خلفه:

وَعِنْدَ أبي بِشْرِ بن أحْوَزَ مِنْهُمُ ... عَلى جِيَفِ القَتْلى نُسُورٌ عَوَاكِفُ

ويبلغ ذروة الفن الشعري في بعض أوصافه مثل قوله في الخيل:

شَوَازِبُ قَدْ كانَتْ دِمَاءُ نحُورِها ... نِعالاً لأيْديها، وَهُنّ كَوَاتِفُ

ومن جود الممدوح أنه يجود بأعز مايملك:

تَجُودُ بِنَفْسٍ لا يُجَادُ بِمِثْلِهَا ... حِفاظاً وَإنْ خِيفَتْ عَلَيكَ المَتالِفُ

وكيف لا يكون كذلك وهو:

أغَرُّ عَظيمُ المَنْكِبَينِ سَمَا بِهِ ... إلى كَرَمِ المَجْدِ الكِرَامُ الغَطارِفُ

وقال فيه: الطويل

لَعَمْري لَقَد قادَ ابنُ أحْوَزَ قَودَةً ... بِها ذَلَّ لِلإسلامِ كُلُّ طَريقِ
ثَنَيتَ ذُكورَ الخَيلِ مِن أهلِ واسِطٍ ... وَكُلَّ مُفَدّاةِ الرِهانِ سَبوقِ
حَوافِيَ يُحذَينَ الحَديدَ كَأنّها ... إذا صَرَّخَ الداعي كِلابُ سَلوقِ[3]
جَعَلنا بِقِندابيلَ[2] بَينَ رُؤوسِهِم ... وَأجسادِهِم شَهباءَ ذاتَ خُروقِ
بِكُلِّ مُضيءٍ كَالهِلالِ وَفَخمَةٍ ... لَها غَبَيَةٌ مِن عارِضٍ وَبُروقِ
وَشَهباءَ قادَتهَا صَناديدُ فِتيَةٌ ... نَطَحنا فَأمسَت غَيرَ ذاتِ فُتوقِ[4]

1() ديوانالفرزدق ص 381

(2) قندابيل: معرب من الفارسية وأصله كندة بيل: الفيل العظيم.

(3) سلوق: قرية باليمن تنسب إليها الكلاب السلوقية.

4() ديوان الفرزدق ص 396

يصف الفرزدق يوم قندابيل وما أبلى فيه ابن أحوز وهو يقود كتيبته إلى النصر فوق جماجم الأعداء وأجسادهم ومعه الجنود الصناديد الشجعان:

وَشَـــهباءَ قادَتهـــا صَـــناديدُ فِتيَـــةٌ نَطَحنـــا فَأَمسَـــت غَيـــرَ ذاتِ فُتـــوقِ

3. مسلمة بن عبد الملك بن مروان[1] (قائد الجيش الأموي) قال فيه الفرزدق: البسيط

لَـــولا دِفاعُـــكَ يَـــومَ العَقـــرِ ضـــاحِيَةً عَـــنِ العِـــراقِ وَنـــارُ الحَـــربِ تَلتَهِـــبُ
لَـــولا دِفاعُـــكَ عَـــنهُم عارِضـــاً لِجِبـــاً لَأَصـــبَحوا عَـــن جَديـــدِ الأَرضِ قَـــد ذَهَبـــوا
لَمّـــا اِلتَقـــوا وَخُيـــولَ الشـــامِ فَاِجتَلَـــدوا بِالمَشـــرِفِيَّةِ فيهـــا المَـــوتُ وَالحَـــرَبُ
خَلّـــوا يَزيـــدَ فَتـــى الأَزدَيـــنِ مُنجَـــدِلاً بِـــالعَقرِ مِـــنهُم وَمِـــن ســـاداتِهِم عُصَـــبُ
حـــامى عَلَيـــهِ شِـــنانٌ[2] فـــي كَتيبَتِـــهِ وَأَســـلَمَتهُ هُنـــاكَ الحُـــتُّ[3] وَالنَـــدَبُ
فَمـــا الشَـــجاعَةُ إِلّا دونَ نَجدَتِـــهِ وَلا المَواهِـــبُ إِلّا دونَ مـــا يَهَـــبُ[4]

مسلمة من أهل بيت ملك وسؤدد وشجاعة والفرزدق يمدحه لظفره بيزيد بن المهلب في يوم العقر من أرض بابل سنة 102ه

لَمّـــا اِلتَقـــوا وَخُيـــولَ الشـــامِ فَاِجتَلَـــدوا بِالمَشـــرِفِيَّةِ فيهـــا المَـــوتُ وَالحَـــرَبُ

4. مالك بن المنذر بن الجارود[5] (قائد شرطة البصرة). قال فيه الفرزدق : الطويل

إذا مالـــك ألقـــى العمامـــة فاحـــذروا بـــوادر كفـــي مالـــك حـــين يغضـــب
فإنهمـــا إن يظلمـــاك ففيهمـــا نكـــال لعريـــان العـــذاب عصبصـــب[6]

يا له من مدح, فالبيتان يصوران شدة الممدوح وما ينزله بخصومه من الغضب والنكال.

وقال فيه كذلك: الطويل

رَأَيـــتُ أَبـــا غَسّـــانَ عَلّـــقَ سَـــيفَهُ عَلـــى كاهِـــلِ شَـــغبٍ عَلـــى مَـــن يُشـــاغِبُه
تَـــرى النـــاسَ كَالـــدَمعى لَـــهُ وَقُلـــوبُهُم تَنَـــدّى وَمـــا فـــيهِم عَريـــبٌ يُخاطِبُـــه
أَذَلَّ بِـــهِ اللهُ الَّـــذي كـــانَ ظالِمـــاً وَعَـــزَّ بِـــهِ المَظلـــومُ وَاِشـــتَدَّ جانِبُـــه
وَقَـــد عَلِـــمَ المِصـــرُ الَّـــذي كـــانَ ضـــائِعاً أَباعِـــدُهُ مَـــزؤودَةٌ وَأَقارِبُـــه
بِأَنَّـــكَ سَـــيفُ اللهِ فـــي الأَرضِ سَـــلَّهُ إِذا المَـــوتُ راقَـــت بِالسُـــيوفِ كَتائِبُـــه[7]

1() مسلمة بن عبد الملك أمير قائد، من أبطال عصره. من بني أمية في دمشق، يلقب بالجرادة الصفراء. له فتوحات مشهورة. سار في مئة وعشرين ألفا لغزو القسطنطينية في دولة أخيه (سليمان) وبنى (مسجد مسلمة) بالقسطنطينية سنة 96 وولاه أخوه (يزيد) إمرة العراقين ثم أرمينية. وغزا الترك والسند سنة 109 هـ ومات بالشام سنة 120 ه . وإليه نسبة (بني مسلمة) وكانت منازلهم في بلاد الأشمونيين (بمصر) قال الذهبي: كان أولى بالخلافة من سائر إخوته. الأعلام للزركلي (7|224)

(2) شنان: اسم رجل.

(3) الحت: قبيلة من الأزد.

4() ديوان الفرزدق ص 85

5() مالك بن المنذر بن الجارود من بني عبد القيس أمره خالد بن عبد الله القسري على شرطة البصرة. وولاه مصعب بن الزبير على بني عبد القيس (سنة 67) في حربه مع المختار الثقفي. قال المبرد. وحكّم (بتشديد الكاف، أي قال: لا حكم إلا الله) مالك بن المنذر بن الجارود، وهو بآخر رمق في سجن هشام بن عبد الملك.. الأعلام للزركلي (5|266)

6() ديوان الفرزدق ص 31. عصبصب: شديد.

7() السابق ص 66

حبس الممدوح الفرزدق بأمر أمير المؤمنين فأرسل إليه بهذه الأبيات فوصفه بالشدة على المشاغبين وأن الناس من خوفه لا يحيرون جواباً وأنه يذل الجبابرة الظالمين ويعز لديه أهل المسكنة المظلومين فيا له من سيف سله الله على أعداء الخير والملة.

وقال فيه أيضاً: الكامل

وَلَقَد حَلَفتُ بِمُقبِلينَ إِلى مِنىً ... جاؤوا عَصائِبَ فَوقَ كُلِّ سَبيلِ
شُعثِ الرُؤوسِ مُلَبَّدينَ رَمَت بِهِم ... أَنقاءُ كُلِّ تَنوفَةٍ وَهُجولِ
أَن قَد مَضَت لي مِنكَ حُسنُ صَنيعَةٍ ... وَالراقِصاتِ بِنُمرُقٍ وَشَليلِ[1]
يا مالِ هَل لَكَ في أَسيرٍ قَد أَتَت ... تِسعونَ فَوقَ يَدَيهِ غَيرَ قَليلِ
فَتَجُزَّ ناصِيَتي وَتُطلِقَ لي يَداكَ كُبولي ... عَنّي وَتُطلِقَ لي يَداكَ كُبولي
يا مالِ هَل أَنا مُهلِكي ما لَم أَقُل ... وَلِيُعرَفَنَّ مِنَ القَصائِدَ قيلي
إِنَّ اِبنَ جَبّارَي رَبيعَةَ مالِكاً ... لِلَّهِ سَيفُ صَنيعَةٍ مُسلولِ
ما زالَ في آلِ المُعَلّى قَبلَهُ ... سَيفٌ لِكُلِّ خَليفَةٍ وَرَسولِ
وَلَقَد وَرِثتَ بِمُنذِرٍ وَبِمالِكٍ ... مَلَكَي رَبيعَةَ رَأسِ كُلِّ خَليلِ
لا تَأخُذَنَّ عَلَيَّ قَولَ مُحَدِّثٍ ... ضَغِنٍ عَلى وَتَرٍ بِهِ مَتبولِ
وَالخَيلُ تَعرِفُ مِن جَذيمَةَ أَنَّها ... تَعدو بِكُلِّ سَمَيدَعٍ بُهلولِ
جاراتُهُم يَعلَمنَ حَقّاً أَنَّهُم ... فِتيانُ يَومِ كَريهَةٍ مَشمولِ
المُطعِمونَ إِذا الصَبا بَرَدَت لَهُم ... وَالطاعِنونَ نُحورَ كُلِّ قَبيلِ
وَكَأَنَّ جارَ بَني المُعَلّى مُشرِفٌ ... مِن رَأسِ رَهوَةَ فَوقَ أُمِّ وُعولِ
اِسقوا فَقَد مَلَأَ المُعَلّى حَوضَكُم ... بِذَنوبِ مُلتَهِمِ الذِنابِ سَجيلِ
وَلَقَد أُمِرتَ إِذا أَتاكَ مُحَدِّثٌ ... بِعَضيهَةٍ بِبَيانِ غَيرِ جَهولِ[2]

قصيدة خرجت من نفس حزينة مكروبة صنع بها الحبس وطوله ما صنع وأرقها الشوق والضنى ووحشة الحبس فانساب الشعر يعكس لوعة وحزناً بيد أن الفرزدق يستهل مدحته بالغزل, ثم يذكر ما للممدوح من شيم نمت إليه من آباء له كرام, ثم يحكي حاله في الحبس

وَإِذا حُمِلتُ إِلى الصَلاةِ كَأَنَّني ... عِبءٌ يَميلُ بِعِدلِهِ المَعدولِ
يَمشي الرِجالُ بِهِ عَلى أَيديهِمِ ... لِلَّهِ دَرُّ مُقَيَّدٍ مُحمولِ

ثم يقسم أقساماً مغلظة أن الممدوح قد مضت له حسن صنائع عنده فهو يذكرها بها ثم يمدحه بالكرم والشجاعة فيقول:

المُطعِمونَ إِذا الصَبا بَرَدَت لَهُم ... وَالطاعِنونَ نُحورَ كُلِّ قَبيلِ

(1) النمرق: الوسادة الصغيرة. الشليل: مسح من صوف يوضع على عجز الدابة من وراء الرحل.
2() ديوان الفرزدق ص 462

وقال فيه كذلك: الطويل

حَلَفتُ بِرَبِّ الجارِياتِ إِذا جَرَت ... وَحَيثُ دَنَت مِن مَروَةِ البَيتِ زَمزَمُ
لَما زادَني مِن خَشيَةٍ إِذ حَبَستَني ... عَلى الخَشيَةِ الأولى الَّتي كُنتَ تَعلَمُ
إِذا ذَكَرَت نَفسي يَدَيكَ نَزَت بِها ... كَراسيعُ[1] زالَت وَالقَطيعُ المُحَرَّمُ
أَعوذُ بِقَبرٍ فيهِ أَكفانُ مُنذِرٍ ... وَهُنَّ لِأَيدي المُستَجيرينَ مَحرَمُ
أَلَم تَرَني نادَيتُ بِالصَوتِ مالِكاً ... لِيَسمَعَ لَمّا غَصَّ بِالريقَةِ الفَمُ
سَتَعلَمُ أَنَّ الكاذِبينَ إِذا اِفتَرَوا ... عَلَيَّ إِذا كُرَّ الحَديثُ المُرَجَّمُ
بَني مُنذِرٍ لا جارَ مِن قَبرِ مِنذِرٍ ... أَعَزَّ بِجارٍ حينَ يَدعو وَأَسلَمُ
وَما كانَ جاراً غَيرَ دَلوٍ تَعَلَّقَت ... بِعِقدِ رِشاءٍ عَقدُهُ لا يُجَذَّمُ
فَرَدَّ أَخا عَمروِ اِبنِ سَعدٍ بِذَودِهِ ... جَميعاً وَهُنَّ المَغنَمُ المُتَقَسَّمُ
فَمَن يَكُ جارَ اِبنِ المُعَلّى فَقَد عَلا ... عَلى النَاسِ لا يَخشى وَلا يَتَهَضَّمُ
وَأَيُّ أَبٍ بَعدَ المُعَلّى وَمُنذِرٍ ... وَبِشرٍ يُنادى لِلَّتي هِيَ أَفقَمُ[2]
هُمُ النَفَرُ الكافونَ بَيعَةَ ما جَنَت ... بِهِم يُرأَبُ الصَدعُ المُفَرَّقُ وَالدَمُ
وَكَيفَ بِمَن خَمسونَ قَيداً وَحَلقَةً ... عَلَيهِ مَعَ اللَيلِ الَّذي هُوَ أَدهَمُ
أَبيتُ أُقاسي اللَيلَ وَالقَومُ مِنهُمُ ... مَعي ساهِرٌ لي لا يَنامُ وَنُوَّمُ
لَكانَ فُؤادي مِنهُ أَيسَرَ خَشيَةً ... وَأَوثَقَ مِنّي لِلمَنِيَّةِ مُسلَمُ
إِذا كَشَرَت أَنيابُهُ عَن أَسِنَّةٍ ... لَهُ بَينَ لَحيَي مُلجَمٍ لا يُثَلَّمُ
لَهُ اِبنانِ لا يَنفَكُّ يَجري إِلَيهِما ... بِأَوصالِ مَعفورٍ بِهِ يَتَقَرَّمُ[3]
وَأَوَّلُ ما ذاقا لَدُن فَطَمَتهُما ... دَمٌ وَبَنانٌ مِن صَريعٍ وَمِعصَمُ
نَقولُ لِأَوصالِ الرِجالِ إِلَيهِما ... وَما لَهُما إِلّا مِنَ القَومِ مَطعَمُ
وَلَم تَرَ مَخضوبَينِ أَجرَأَ مِنهُما ... أَباً وَيَدَي أُمٍّ لَهُ حينَ تَفطِمُ
وَعَلَّمَني مَشيَ المُقَيَّدِ خالِدٌ ... وَما كُنتُ أَدنى خَطوِهِ أَتَعَلَّمُ
أَقولُ لِرِجلَيَّ اللَتَينِ عَلَيهِما ... عُرىً وَحَديدٌ يَحبِسُ الخَطوَ أَبهَمُ
أَما في بَني الجارودِ مِن رائِحٍ لَنا ... كَما راحَ دُفّاعُ الفُراتِ المُثَلَّمُ
وَمَن يَطلُبِ سَعيَ المُعَلّى يَجِد لَهُ ... صَعوداً عَلى كَفَّيهِ مَن يَتَجَثَّمُ
مَساعِيَ كانَت لِلمُعَلّى نَمى بِها ... إِلى المَجدِ حَتّى أَدرَكَ الشَمسَ سُلَّمُ
فَتِنتانِ مَجدُ الجاهِلِيَّةِ فيهِمُ ... وَهُم قَبلَ هَذا النَاسِ لِلَّهِ أَسلَموا
تُعَدُّ بُيوتٌ في قَبائِلِ أَهلِها ... وَبَيتاكُمُ مِن كُلِّ بَيتَينِ أَعظَمُ
عَسى اللَهُ أَن يَرتاحَ لي فَيَكُفَّني ... بِرَحمَةِ مَن هُو مِن أَبي هُوَ أَرحَمُ
أَعوذُ بِبِشرٍ وَالمُعَلّى وَمُنذِرٍ ... سِماكانِ كانا ذو سِلاحٍ وَمُرزِمِ
وَثالِثُهُنَّ المُهتَدى بِبَياضِهِ ... إِلى الخَيرِ في لَيلٍ وَساريهِ مُظلِمُ[4]

هاهنا أيضاً الفرزدق يبعث بهذه القصيدة وهو في الحبس يذكّر الممدوح بقديم إحسانه إليه ويتوسل بذلك حتى يخرج من الحبس ثم هو يعوذ بآل الممدوح:

أَعوذُ بِبِشرٍ وَالمُعَلّى كِلَيهِما ... بَني مالِكٍ أَوفى جِواراً وَأَكرَمُ

ثم يذكر ما يقاسيه من شدة القيد ومدلهمات الليالي:

وَكَيفَ بِمَن خَمسونَ قَيداً وَحَلقَةً ... عَلَيهِ مَعَ اللَيلِ الَّذي هُوَ أَدهَمُ

(1) الكرسوع: طرف الزند الذي يلي الخنصر.
(2) الأفقم: الكثير الاتساع.
(3) المعفور: المفترس المعفر بالتراب. يتقرم: يأكل اللحم ينهشه.
4() ديوان الفرزدق ص 567

وهكذا يمضي في شكواه وما يلاقي ثم يختم بالاستجارة:

أَعـــــوذُ بِبِشـــــرٍ وَالمُعَلّـــــى وَمُنـــــذِرٍ سِـــــماكانِ كانـــــا ذو سِـــــلاحٍ وَمُـــــرزِمِ
وَثـــــالِثُهُنَّ المُهتَـــــدى بِبَياضِـــــهِ إِلـــــى الخَيـــــرِ فـــــي لَيـــــلٍ وَســـــارِيهِ مُظلِـــــمُ

خلاصة صورة القائد الممدوح في شعر الفرزدق:

لا شك أن البيئة التي عاش فيها الفرزدق قد أثرت في شعره تأثيراً واضح المعالم ظاهر البصمات مجلجل الجرس, فقد كانت الحروب كثيرة في ذلك الزمان سواء في الثغور بين المسلمين والكفار, أو في داخل الدولة الإسلامية بين المتنافسين على السؤدد والإمارة وهذا الجو بلا شك يؤثر على السياسة و الاقتصاد والفن والاجتماع والعمران, والفرزدق شاعر يحب الفخر وهو سليط اللسان في الهجاء وهو أيضاً ذو نفس لا تستقر على حال فهو كثير الأسفار كثير الانتجاع كثير الحساد من الشعراء والأمراء والقواد ولذلك تجد القواد الذين مدحهم أحد صنفين:

1. قائد شجاع فاتك كريم النفس محمود السجايا يمدحه الفرزدق من أجل صفاته.
2. وقائد من قواد الشرطة يتسلط على الفرزدق فيحبسه امتثالا لأوامر من فوقه أو لموجدة وجدها عليه فيحتاج الفرزدق إلى مدحه تملقاً حتى يجد فكاكاً من ظلمة الحبس وثقل القيد.

ولذلك لا تجد الغزل الرقيق في مدحه للقواد ولا حث النوق المشتمل على الصور البديعة ولا التنويع الذي يعكس الشعور العميق بما يكنه تجاه ممدوحيه. قارن كل ذلك بمدائحه للخلفاء والولاة ذلك أن مقام الراغب المستمنح غير مقام الخائف اللائذ الذي ليس له من هم إلا الخروج من قعر مظلمة أو التأمين من شر عدو متجهم فالقائد إن أعطى فعطاؤه نزر, وإن أمن فتأمينه معلق على رضا من ولاه فهو غير كامل في ما يرغب فيه ولا ما يرهب منه ولذلك تصير دواعي النفس إلى المدح غير متوجهة إليه أصالة بل تبعاً لما يرجى منه أو يرهب. ثم إن الوطأة القبلية حاضرة في كل المدائح لقرب الناس من جاهلية العرب وعصبياتها والموالي لم تزل مسحة العبودية تستولي على نفوسهم وإن بدأ دبيب الحرية يسري في أجسادهم إلا أن الأمر لم يصل ذروته التي بلغها في الدولة العباسية التي كان الموالي فيها رأس الرمح, نصح الخلفاء وهم الوزراء الذين بيدهم تصريف الأمور ومعاقد حلها.

وخلاصة الأمر أن صورة القائد في شعر الفرزدق –غالبا-كانت قميئة فارغة حتى أن الفرزدق لا يجد غضاضة في مدح نفسه في ثنايا مدحه للقائد كقوله:

إِنَّ القِـــــرى سُـــــجِنَت مَعـــــي نيرانُـــــهُ عَـــــن كُـــــلِّ نـــــازِلِ جَنبَـــــةٍ وَدَخيـــــلِ

ولست أبالغ حين أقول لولا الحاجة لما تكلف مدح هذا القائد أو ذاك.

البحث الثانـــــــــــــــــي

معاني المديـــــــــــــــــح

معاني المديـــــــــــــــــح

نقف في هذا المبحث أمام كلمتين تشكلان عند اجتماعهما عنوانه؛ الأولى منهما هي كلمة (معاني) والثانية كلمة (المديح) ليصبح التركيب (معاني المديح) ،وحتى تظهر صورة معنى هذا التركيب في أذهاننا بوضوح علينا أن نُعرِّف كل مفردة من المركب على حدة وعليه فـ ("مَعْنَى" الشيء، و"مَعْنَاتُهُ" واحد، و"مَعْنَاهُ"، و"فَحْوَاهُ ومُقْتَضَاهُ ومَضْمُونُهُ" هو ما يدل عليه اللفظ، وفي التهذيب عن ثعلب: "المَعْنَى والتَّفْسِيرُ والتَّأْوِيلُ" واحد وقد استعمل الناس قولهم: وهذا "مَعْنَى" كلامه وشبهه ويريدون هذا مضمونه ودلالته وهو مطابق لقول أبي زيد والفارابي وأجمع النحاة وأهل اللغة على عبارة تداولوها وهي قولهم هذا "بِمَعْنَى" هذا وهذا، وهذا في "المَعْنَى" واحد وفي "المَعْنَى" سواء، وهذا في "مَعْنَى" هذا أي مماثل له أو مشابهه)[1] إذن المعنى هو دلالة اللفظ وتفسيره وفحواه وقد التقط هذه الكلمة علماء البلاغة ليؤسسوا عليها علماً مهماً من علوم البلاغة وهو علم المعاني الذي"هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي الذي يطابق مقتضى الحال"[2].

أما المديح فقد "قال أَئمَّة الاشتقاقِ وفقهاءُ اللُّغة : المَدْح بمعنَى الوَصْف بالجميلِ ، يقابلُه الذّمُّ و : بمعنى عَدِّ المآثر ، ويقابلُه الهَجْو "[3] وعليه فالمديح الوصف بالجميل مع عدّ المآثر وهو أيضاً "ثناء حسن يرفعه إنسان ما إلى إنسان آخر حي، أو جماعة آخرون أحياء، عرفاناً بالجميل، أو طلباً للنوال، أو رغبة في الصفح والمغفرة، أو أملاً في تحقيق هدف كبير"[4]. وهنا نصل إلى المقصود بمعاني المديح وهي مدلولات الألفاظ المعجمية والبلاغية التي يستخدمها الشاعر في أنماطه المدحية ومدى تطويعه لها.

تشكيل المعاني:

تبدو المفارقة واضحة في قولنا تشكيل المعاني إذ أن التشكيل مصطلح دخل إلى الشعر من عوالم الرسم والتصوير وهي عوالم تنتمي إلى المحسوس أكثر من انتمائها إلى عوالم ما وراء الحس، بينما المعاني تسبح في فضاء واسع من الخيال والرؤيا، ولكن لا بأس أن نستعير من الرسم أدواته الحسية لنحيلها إلى أخرى معنوية تقرب لنا ما يدور في دهاليز شاعرنا مما يتعلق بمعاني المديح.

تبدو المهمة شاقة لأن الشعر القديم محكوم بقوالب صارمة ؛لكنّ الفرزدق لعبقريته الفائقة استطاع أن يولد المعاني بالرغم من كل القيود المضروبة على شكل القصيدة وحركتها المعنوية ؛وذلك يعود لتمكنه من اللغة، ولثقافته العالية وتجربته الثرة، وهي أدوات لا يستهان بها في بناء القصيدة, وبناء على ذلك نقرر أنه "تنبع فكرة التشكيل

1() الفيومي , أحمد,المصباح المنير, (1|224)

2() الجرجاني, التعريفات, تحقيق إبراهيم الإبياري, دارالريان للتراث,ط1403 ص (201)

3() الزبيدي, تاج العروس من جواهر القاموس, (7|111)

4() رومية, وهب, بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي (قصيدة المدح أنموذجاً), دارسعدالدين, ط 1418.1ه-1997م ص (20)

من الإقرار أن القصيدة ليست مجرد مجموعة من الخواطر أو الصور أو المعلومات، ولكنها بناء متدامج الأجزاء منظم تنظيماً صارماً"[1]. ومن هذا المنطلق فتشكيل معاني المديح عند الفرزدق يقوم على:

أ. معانٍ متداولة:

لابد هنا من الإجابة عن سؤال ما هي المعاني التي كانت متداولة في البيئة التي عاش فيها الفرزدق ؟

للإجابة عن هذا السؤال نحن بحاجة إلى المرور على أغراض المديح في العصر الجاهلي ثم أغراض المديح في عصر صدر الإسلام لنرى كيف بنى الفرزدق رؤيته في المديح استناداً على هذا الرصيد المتراكم والغني من التجارب التي سبقته ووجد أثرها في النتاج الشعري لشعراء الجاهلية وصدر الإسلام الذي كان ما يزال غضاً طرياً يتداوله الرواة.

قال ابن قتيبة[2] مبيناً كيف وصل العربي الأول إلى المديح: " سمعتُ بعضَ أهل الأدب يذكر: أنّ مُقَصِّد القَصيد إنّما ابتدأ فيها بذكرالدّيار والدِّمن والآثار فبَكى وشَكا وخاطَب الرَّبع واستوقف الرَّفيق، لِيجعل ذلك سَبباً لِذِكر أهلها الظَّاعِنينَ عنها؛ إذا كان نازلة العَمَد في الحلول والظَّعن، على خلاف ما عليه نازلة المَدَر،لانتجاعهم الكلأ وانتقالهم عن ماء إلى ماء وتتبّعهم ساقطَ الغيث حيث كان.ثُمّ وصل ذلك بالنَّسيب، فشَكا شدّة الوَجد وألمَ الفراق وفَرط الصَّبابة، لِيُميلَ نحوه القُلوب ويصرف إليه الوجوهَ، ولِيَستدعيَ به إصغاءَ الأسماع إليه. لأنّ التَّشبيبَ قريب مِنَ النُّفوس، لائطٌ بالقلوب لما قد جعل الله في تركيب العِباد مِن محبّة الغزل وإلف النّساء... فإذا عَلم أنّه قد استوثقَ مِنَ الإصغاء إليه والاستماع له، عقّب بإيجاب الحقوق فرحل في شعره وشكا النّصبَ والسّهر, وسُرى اللّيل وحَرَّ الهَجيروإنضاء الراحلة والبعير. فإذا عَلِم أنّه قد أوجب على صاحبه حقَّ الرَّجاء وذمامة التأميل... بدأ في المديح فبعثه على المكافأة وهزّه على السماح وفضَّله على الأشباه "[3]

"و لم يكن هذا الباب من بين أبواب الشّعرالعربي في أوّل نشأته، وأكبرالظّنّ أنّه تأخّر في الوجود عن كثير من فنون الشّعرالتي يتغنّى فيها الشاعر بعاطفة قديمة شخصيّة"[4] وهذا لا يعني أن العربي لم يكن يقول الأبيات التي فيها المدح ولكن المقصود أن المديح بمعناه التكسبي لم يظهر إلا على يد النابغة[5] الذبياني وعلى لسان النابغة

1() ديوان صلاح عبد الصبور,دار العودة, بيروت,ط2 ,1977, المجلد الثالث ص 32

2() عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد: من أئمة الادب، ومن المصنفين المكثرين. ولد ببغداد وسكن الكوفة. ثم ولي قضاء الدينور مدة، فنسب إليها. وتوفي ببغداد. من كتبه " تأويل مختلف الحديث " و " أدب الكاتب " و " المعارف " وكتاب " المعاني. مات سنة 276 ه الأعلام للزركلي (4|137)دارالعلم للملايين.ط15 ,2002

3()ابن قتيبة, الشعر والشعراء, (1|5)

4() أسس النقد الأدبي عندالعرب، الدكتورأحمدبدوي، مطبعة دارالنّهضة، القاهرة, 1996م. ص 177

5()هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة: شاعر جاهلي، من الطبقة الاولى. من أهل الحجاز. وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولاحشو. وعاش عمراً طويلاً.

تبلور المديح من خلال مدائحه للنعمان بن المنذر التي سارت بها الركبان، "كما تكسب زهير[1] بن أبي سلمى قليلاً بالشعر مع هرم[2] بن سنان. ولما جاء الأعشى[3] جعل الشعر متجراً يتّجر فيه نحو البلدان،وقصد حتى ملك العجم، فأثابه، وأجزل عطيته."[4]

ومن الشعراء المتكسبين أيضاً: حسان بن ثابت[5]، والمسيب بن علس6، والمنخل اليشكري[7]، والممزق العبدي[8]، والحارث بن ظالم[9]،

وعلباء بن أرقم[10].

وقبل ذلك هناك أنواع من المدح الانطباعي الذي يصدر عن الشاعر نتيجة فعل إيجابي قام به شخص ما تجاهه فوجد الشاعر في نفسه من الامتنان ما جعل شاعريته تتدفق ومثال ذلك قول امريء القيس[11]:

1() هو زهير بن ربيعة بن قرط، هو مزني نشأفي بيت أخواله من غطفان، وإنما نسبه في غطفان، وليس لهم بيت شعرٍ ينتمون فيه إلى مزينة إلا بيت كعب بن زهير، وهو قوله:

هُمُ الأَصْل مِنَّى حَيْثُ كُنْتُ وإِنَّني ... من المُزَنِيينَ المُصَفَّيْنَ بالكَرَمْ

ويقال إنه لم يتصل الشعر في ولد أحدٍ من الفحول في الجاهلية ما اتصل في ولد زهير، وفي الإسلام ما اتصل في ولد جرير.وكان زهير راوية أوس بن حجر. الشعر والشعراء (1|20)

2() هرم بن سنان بن أبي حارثة المري، من مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان: من أجواد العرب في الجاهلية. يضرب به المثل. وهو ممدوح زهير بن أبي سلمى. اشتهر هو وابن عمه " الحارث بن عوف بن أبي حارثة " بدخولهما في الاصلاح بين عبس وذبيان. ومات هرم قبل الاسلام. الأعلام للزركلي (8|82)

3() ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والاعشى الكبير: من شعراء الطبقة الاولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات. مولده ووفاته في قرية (منفوحة) باليمامة قرب مدينة (الرياض) وفيها داره، وبها قبره. الأعلام للزركلي (7|341)

4() أسس النقد الأدبي عند العرب، الدكتور أحمد بدوي. ص 177

5 حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الانصاري، أبو الوليد: الصحابي، شاعر النبي صلى الله عليه وسلم وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والاسلام. عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الاسلام. وكان من سكان المدينة. واشتهرت مدائحه في الغسانيين، وملوك الحيرة، قبل الاسلام، مات سنة 54 هجرية. الأعلام للزركلي (2|175)

6 - المسيب بن علس بن مالك بن عمرو من ربيعة شاعرجاهلي وهو خال الأعشى بن ميمون, كنيته أبوفضة. الأعلام للزركلي 225/7

7() المنخل بن سعود بن عامر، من بني يشكر: شاعر جاهلي، كان ينادم النعمان ابن المنذر. الأعلام للزركلي (7|291)

8() الممزق العبدى واسمه شأس بن نهار بن أسود وإنما سمى الممزق ببيت قاله:

(فإن كنت مأكولا فكن خير آكل ... وإلا فأدركنى ولما أمزق) طبقات فحول الشعراء (1|274)

9() الحارث بن ظالم بن غيظ المري، أبو ليلى: أشهر فتاك العرب في الجاهلية. ونشأ يتيما، قتل أبوه وهو طفل، قتل في حوران. الأعلام للزركلي (2|156)

10() علباء بن أرقم بن عوف بن سعد بن عجل بن عتيك بن يشكر بن بكر وائل.شاعر جاهلي كان معاصراً للنعمان بن المنذر.له شعر في الأصمعيات. تراجم شعراء الموسوعة الشعرية,مؤسسة محمدبن راشدآل مكتوم, ط1 , 2009م (1|1723)

11() امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار: أشهر شعراء العرب على الاطلاق. يماني الاصل. مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن. أشتهر بلقبه. الأعلام للزركلي (2|11) بتصرف يسير.

كـــــأنّي إذ نَزلـــــتُ علـــــى المُعلّـــــى نَزلـــتُ علـــى البَـــواذِخِ مِـــن شَـــمام
فمـــا مَلِـــكُ العـــراق علـــى المُعلّـــى بِمُقتـــــــدرٍ، ولا مَلِـــــــكُ الشـــــــآم
أقـــرَّ حَشـــا امـــرِئ القـــيس بـــن حُجـــرٍ بنُـــــــوتَيمٍ مَصـــــــابيحُ الظَّـــــــلام

فهذه أبيات أملاها على امريء القيس شعوره بالامتنان لبني تميم وعلى رأسهم المعلى لما أجاروه من النعمان حين أراد قتله فهنا الشاعر يقابل بمدحه هذا جميلاً بجميل.

والخلاصةأن شعراء الجاهلية لم يخرج في المدح عن المدح العفوي الذي تمليه على الشعراء دوافع الإكبار والامتنان للممدوح ولا يرجو من ذلك مكسباً مادياً والنوع الثاني هي ممادح الشعراء للملوك والعلية من أجل التكسب المادي.

أما بالنسبة لمعاني المديح فقد كانت تمتاز بالصدق والجزالة, وترك استخدام المصطلحات الدخيلة على البيئة العربية كما استخدم الجاهلي التوسل إلى غرضه من المدح بذكر المحبوبة والديار والسير في الصحراء وما تلاقيه النوق من الجهد في سبيل الوصول إلى الممدوح, لنرى كيف تأثر الفرزدق بهذا التراث فيما قدمه من شعر لممدوحيه:

قال الفرزدق يمدح أبا عبد المليك[1] عبد الله بن عبد الأعلى بن أبي عمرة

الشاعر الشيباني : الطويل

سما لكَ شوقٌ منْ نوارٍ ، ودونها ... سويقةُ[2] والدَّهنا وعرضُ جوائها
وكنتُ ، إذا تذكرْ نوارُ ، فإنّها ... لِمُندمِلاتِ النّفسِ تَهيضُ دائِها
وأرضٍ بها جيلانُ ريحٍ مريضةٍ ... يغضّ البصيرُ طرفهُ من فضائها
قطعتُ على عيرانةٍ حميريةٍ ... كُمَيتٍ ؛ يَئِطّ النِّسْعُ[3] من صُعدائِها
ووفراءَ لم تخرزْ بسيرٍ وكيعةٍ ... غَدَوْتُ بِها طَيّاً يَدي في رِشَائِها[4]
ذَعَرْتُ بها سِرْباً نَقِيّاً ، كَأنّهُ ... نُجُومُ الثُّرَيّا أسْفَرَتْ من عَمائِهَا
فعادَيتُ منِها بين تَيْسٍ وَنَعْجَةٍ ... وَرَوّيْتُ صَدرَ الرُّمْحِ قَبلَ عَنائِها
ألِكْني إلى ذُهْلِ بنِ شيبانَ ، إنّني ... رأيتُ أخاها رافعاً لبنائها
إلينا ، فباتتْ لا تنامُ كأنّها ... أسارى حديدٍ أغلقتْ بدمائها
بجابيةِ الجولانِ باتتْ عيوننا ... كَأنّ عَوَاوِيراً بِها مِنْ بُكَائِها
أرحني أبا عبدِ المَلِيكِ ، فما أرى ... شفاءً من الحاجاتِ دونَ قضائها
أبُوهُ أبُوهُمْ في ذَرَاهُمْ ، وَأُمُّهُ ... إذا انتسبتْ ، من ماجداتِ نسائها
وما زلتُ أرمي عن ربيعةَ من رمى ... إلَيها ، وَتُخشَى صَوْلَتي مِنْ ورَائِها
بكلّ شرودٍ لا تردّ ، كأنّها ... سنا نارِ ليلٍ أوقدتْ لصلائها
ستمنعُ بكراً أنْ ترامَ قصائدي ، ... وأخلفها منْ ماتَ من شعرائها
وَأنْتَ امْرُؤٌ مِنْ آلِ شَيبانَ تَستقي ... إلى دَلْوِكَ الكُبْرَى عِظامُ دِلائِها
لَكُمْ أثْلَةٌ مِنها خَرَجْتُمْ وَظِلّها ... عَلَيْكُمْ وفيكُمْ نَبتُها في ثَرَائِها
وَأنتَ امرُؤٌ من ذُهلِ شَيبانَ تَرْتقي ... إلى حيثُ ينمي مجدها من سمائها
أرجّي ، أميرَ المؤمنينَ ، لحاجةٍ ، ... بكفيكَ بعد اللهِ يرجى قضاؤها
وأنتَ سماءُ اللهِ فيها التي لهمْ ... من الأرض يحيي ميتَ الأرض ماؤها
كلا أبَوَيْكَ اسْتَلّ سَيْفَ جَمَاعةٍ ... عَلى فِتْيَةٍ تَلْقَى البَنِينَ نِسَاؤها
فَمَا أُغْمِدا حَتى أنابَتْ قُلُوبُهُمْ ، ... وَسَمّحَ ، للضّرْبِ الشّآمي ، دِماؤها
لَنِعْمَ مُنَاخُ القَوْمِ حَلّوا رِحَالَهُم ... إلى قُبّةٍ فَوْقَ الوَلِيدِ سَمَاؤها
نباها أبو العاصي ومروانُ فوقهُ ... وَيُوسُفُ ، قَدْ مَسّ النّجومَ بناؤها

وهنا الشاعر يتشبه بالجاهليين في استهلال القصيدة بالتشبيب بالمحبوبة حيث قال:

سما لكَ شوقٌ منْ نوارٍ ، ودونها ... سويقةُ والدَّهنا وعرضُ جوائها

1() عبد الله بن عبد الأعلى الشيباني أبو عبد الملك.ينتهي نسبه إلى مرة من بني شيبان.شاعر أموي، كان والده من الذين ارتهنهم كسرى يوم ذي قار، وهي مكرمة جعلت الفرزدق يمدحه في خمس قصائد.أرسله الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى أليون يدعوه إلى الإسلام، وكان الخليفة عمر كثيراً ما ينشد شعره. له شعر كثير أكثره في الزهد، وقد كان كثير الأمثال. تراجم شعراء الموسوعة الشعرية (1641|1)

(2) سويقة: هي مواضع كثيرة في البلاد منها: سويقة، وسويقة خالد، وسويقة الرزيق، وسويقة ناصر..الخ والأرجح أنها موضع بصحراء الصمان.

(3) النسع: السير الذي تشد به الرحال.

(4) الرشاء: الحبل، وأراد به اللجام.

والنوار هي زوج الشاعر الفرزدق وابنة عمه، فهي النوار بنت أعين بن صعصعة بن ناجية بن عقال..[1]

والجاهليون كما هو معروف يستهلون قصائدهم بذكر النساء يقول طرفة[2]:

لِخَولـــــةَ أطْـــــلالٌ بِبُرقَـــــةِ ثَهمَـــــدِ تلــوح كبــاقي الوشــم فــي ظــاهر اليــدِ[3]

ويقول الأعشى:

ودّعْ هريـــــرةَ إنْ الركـــــبَ مرتحـــــلُ، وهـــلْ تطيـــقُ وداعـــاً أيهـــا الرّجـــلُ؟
غَـــرّاءُ فَرْعَـــاءُ مَصْـــقُولٌ عَوَارِضُـــها، تَمشِـــي الهُوَينـــا كمـــا يَمشِـــي الـــوَجي الوَجِـــلُ
كَـــأنّ مِشْـــيَتَهَا مِـــنْ بَيْـــتِ جارَتِهَـــا مـــرّ السّـــحابةِ، لا ريـــثٌ ولا عجـــلُ[4]

بل يقول كعب بن زهير[5] وهو في حضرة النبي صلى اللهُ عليه وسلم:

بانـــتُ ســـعادُ فقلبـــي اليـــومَ متبـــولُ متـــيَّمٌ إثْرَهـــا لـــم يُجْـــزَ مَكْبُـــولُ
ومـــا ســـعادُ غـــداةَ البـــينِ إذ رحلـــوا إلاّ أَغَـــنُّ غَضِـــيضُ الطَّـــرْفِ مكحـــولُ
تَجْلُـــو عـــوارِضَ ذي ظَلْـــمٍ إذا ابتسَـــمتْ كأنَّـــــه مُنْهَـــلٌ بـــالرَّاحِ مُعْلُـــولُ

ومما شابه به الجاهليين في هذه القصيدة أيضا ذكره للسير في الصحراء ومدح الناقة ومطاردة الصيد حيث قال:

وأرضٍ بهـــا جـــيلانُ ريـــحٍ مريضـــةٍ ، يغـــضّ البصـــيرُ طرفـــهُ مـــن فضـــائها
قطعـــتُ علـــى عيرانـــةٍ حميريـــةٍ كُمَيـــتٍ ؛ يَـــئِطّ النِّسْـــعُ مـــن صُـــعدائِها
ووفـــراءَ لـــم تخـــرزْ بســـيرٍ وكيعـــةٍ غَـــدَوْتُ بِهـــا طَيّـــاً يَـــدي فـــي رِشَـــائِها
ذَعَـــرْتُ بهـــا سِـــرْباً نَقِيّـــاً ، كَأنّـــهُ نُجُـــومُ الثُّرَيّـــا أسْـــفَرَتْ مـــن عَمائِهَـــا
فعادَيـــتُ منِهـــا بـــين تَـــيْسٍ وَنَعْجَـــةٍ وَرَوّيْـــتُ صَـــدرَ الـــرُّمْحِ قَبـــلَ عَنائِهـــا

1() النوار في شعر الفرزدق, محمد حاكم الكريطي, مجلة الكلية الإسلامية الجامعة, العراق,العدد41 , المجلد 1, ص 214

2() طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، أبو عمرو، البكري الوائلي.شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، كان هجاءاً غير فاحش القول، تفيض الحكمة على لسانه في أكثر شعره، ولد في بادية البحرين وتنقل في بقاع نجد. اتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه، ثم أرسله بكتاب إلى المكعبر عامله على البحرين وعُمان يأمره فيه بقتله، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها، فقتله المكعبر شاباً. تراجم شعراء الموسوعة الشعرية (1|1524)

3() ديوان طرفة بن العبد,تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال,المؤسسةالعربية,ط2, 2000, ص 23

4() ديوان الأعشى,تحقيق محمد حسين, مكتبة الآداب بالجماميزت, ص 55

5() كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبو المضرب: شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد، له " ديوان شعر - ط " كان ممن اشتهر في الجاهلية. ولما ظهر الإسلام هجا النبي صلى الله عليه وسلم وأقام يشبب بنساء المسلمين، فهدر النبي دمه، فجاءه " كعب " مستأمنا، وقد أسلم، وأنشده لاميته المشهورة التي مطلعها: " بانت سعاد فقلبي اليوم متبول " فعفا عنه النبي صلى الله عليه وآله وخلع عليه بردته. وهو من أعرق الناس في الشعر: أبوه زهير بن أبي سلمى، وأخوه بجير، وابنه عقبة وحفيده العوام، كلهم شعراء. وقد كثر مخمسو لاميته ومشطروها ومعارضوها وشراحها، وترجمت إلى الايطالية، وعني بها المستشرق رينيه باسيه فنشرها مترجمة إلى الفرنسية، ومشروحة شرحا جيدا، صدره بترجمة كعب. وللامام أبي سعيد السكري " شرح ديوان كعب ابن زهير - ط " ولفؤاد البستاني " كعب ابن زهير - ط " الأعلام للزركلي (5|226)

وهذا يشبه شعر النابغة في مدح بن المنذر حيث يقول:

فلمـــــا رأيـــــت الـــــدار قفـــــرا وخـــــالف بـــــال أهـــــل الـــــدهر بـــــالي
نهضـــــت إلـــــى عـــــذافرة صـــــموت مـــــذكرة تجـــــل عـــــن الكـــــلال
فـــــداء لامـــــريء ســـــارت إليـــــه بعـــــذرة ربهـــــا عمـــــي وخـــــالي[1]

أما ذكر الأرض التي يسير عليها المرتحل إلى الممدوح فقد قال الأعشى:

تَيَمّمْـــــتُ قَيْســـــاً، وَكَـــــمْ دُونَـــــهُ مـــــن الأرضِ مـــــن مهمـــــه ذي شـــــزنْ[2]

أما الفرزدق فقد سار في الكثير من ممادحه على النهج القديم ومن ذلك قوله في جميل بن حمران الفزاري: البسيط

اعمِـــدْ إذا كُنـــتَ مُختـــاراً نَـــدى رَجُـــلٍ إلـــى جَميـــلٍ فتـــى الجُـــودِ ابـــنِ حُمْرَانَـــا
الطّـــاعنِ الطّعَنـــةَ الـــنّجلاءَ قـــد حجَـــزَتْ عَنهـــا بصَـــدرٍ قَنـــاةِ الـــرّمْحِ مَـــنْ حَانَـــا
بـــه اطمأنّـــتْ قُلُـــوبُ القَـــوْمِ إذْ نشـــزَتْ، إذا الجَبَـــــانُ رَأى للمَـــــوْتِ ألْوَانَـــــا
شَـــوامِخٌ لِبَنـــي شَـــمْخٍ إذا ارْتفَعَـــتْ لا تُرْتَقَـــى وأشَـــدُّ النّـــاسِ أرْكَانَـــا
إذا أتَيـــتَ بَنـــي شَـــمْخٍ وَجَـــدْتَ لهُـــمْ للمَكْرُمـــاتِ علـــى المعـــرُوفِ أعْوَانَـــا
تَغـــدُو النّســـاءُ إلـــى شَـــمخٍ، إذا فَزِعَـــتْ وَأكْلَـــحَ البـــأسُ أفْوَاهـــاً وَأسْـــنَانَا
بهِـــمْ تُـــوَارِي نِسَـــاءُ الحَـــيّ أسْـــوُقَهَا، إذا دَعَـــوْا يَـــوْمَ بَـــأسٍ يـــا لـــذُبْيَانَا
مِـــنْهُمْ فَـــوَارِسُ قَـــيْسٍ، والّـــذِينَ لهـــم قِـــبْصُ الحَصَـــى وَثِقـــالُ الـــوَزْنِ ميزَانَـــا
أنـــتَ ابـــنُ أُمّ امـــرِىءٍ تَنمـــي إذا نُســـبَتْ حَيـــثُ انتمَـــتْ بأبيهـــا بِنْـــتُ حَسّـــانَا
نالَـــتْ بـــهِ الشّـــمسَ لَـــوْ كـــادَتْ تَناوَلهَـــا بالمَجـــدِ إنْ كـــانَ مَجـــدٌ عِنـــدَها كانَـــا[3]

فالممدوح هنا شجاع كريم حام لما وراء ظهره ينمي إلى قوم أماجد ذوي حسب وهي الصفات التي كان الجاهلي يمدح بها من يتعرض لمدحه.

وقال يمدح مالكاً:

نَمَتـــــكَ قُـــــرومُ أولادِ المُعَلّـــــى وَأبنـــــاءُ المَســـــامِعَةِ الكِـــــرامِ
تَخَمَّـــطُ فـــي رَبيعَـــةَ بَـــينَ بَكـــرٍ وَعَبـــدِ القَـــيسِ فـــي الحَسَـــبِ اللُّهـــامِ
إذا سَـــمَتِ القُـــرومُ لَهُـــم عَلَـــتهُم شَقاشِـــقُ بَـــينَ أَشـــداقٍ وَهـــامِ[4]

ولم يخرج من ذكر القبائل وكرم المحتد على عادة القدماء,ثم نذهب إلى شعر المديح في العصر الإسلامي الأول وهو زمان النبي عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام وعصر الخلفاء الراشدين لنرى كيف انتقل الشعر نقلة كبيرة بسبب المعاني التي سكبها عليه القرآن الكريم واللغة الجديدة التي انتظمت جميع نواحي الحياة في جزيرة

1() ديوان النابغة, شرح وتعليق حنّا نصرحتّي, دار الكتاب العربي, بيروت, ط1, 1411هـ 1991م, ص 145
2() ديوان الأعشى ص19
3() ديوان الفرزدق ص 636
4() السابق ص 619

العرب فانقلبت المفاهيم وأعيد ترتيب الأفكار بما يتوائم مع الدين الجديد. تحول المديح الشخصي والتكسبي في العصر الجاهلي إلى نوع من المديح أعمق معنى وأقوى عاطفة فكان الشعراء يمدحون المثل العلياء والعقيدة الإسلامية ويدخل في ذلك مدح النبي صلى اللهُ عليه وسلم باعتباره المثال الذي يجب على المسلمين احتذاؤه وقل المدح المبتذل,وقد نبغ من شعراء الدعوة في صدر الإسلام حسان بن ثابت وهو شاعر مخضرم وكعب بن مالك[1] وعبد الله بن أبي رواحة[2] وحتى نتلمح الروح الجديدة في الشعر في صدر الإسلام لنستمع إلى حسان بن ثابت يمدح الإسلام ونبيه والمسلمين:

إنّ الـــذوائبَ مِـــنْ فِهْـــرٍ وإخْـــوَتِهِمْ ... قـــد بَيَّنُـــوا سُـــنَّةً للنّـــاسِ تُتَّبَـــعُ
يَرْضَـــى بهـــا كـــلُّ مَـــنْ كانـــت سـريرتُه ... تَقْـــوَى الإلـــهِ وبـــالأمرِ الـــذي شَـــرَعُوا
قـــومٌ إذا حـــاربوا ضَـــرُّوا عَـــدُوَّهُمُ ... أو حـــاولوا النَّفْـــع فـــي أَشـــياعهم نَفَعُـــوا
ســـجِيَّةٌ تلـــك مـــنهم غيـــرُ مُحْدَثَـــةٍ ... إنّ الخلائـــقَ فـــاعلَمْ شَـــرُّها البِـــدَع
لا يَرْقَـــعُ النّـــاسُ مـــا أوهـــتْ أكُفُّهُـــمُ ... عنـــد الـــدِّفاع ولا يُوهُـــون مـــا رَقَعـــوا
إنْ كـــان فـــي النـــاسِ سَـــبَّاقون بعـــدَهُمُ ... فكُـــلُّ سَـــبْقٍ لأدْنَـــى سَـــبْقِهِمْ تَبَـــعُ
أعفَّـــةٌ ذُكِـــرَتْ فـــي الـــوَحْيِ عِفَّـــتُهمْ ... لا يَطْمَعـــون ولا يُـــزْرِي بهـــم طَمَـــعُ
ولا يَضِـــنُّونَ عـــن جـــارٍ بِفَضْـــلِهِمُ ... ولا يَمَسُّـــهُمُ مِـــنْ مَطْمَـــعٍ طَبَـــعُ
يَسْـــمُون للحـــرب تبـــدو وهـــي كالحـــةً ... إذا الزَّعَـــانِفُ مـــن أظفارِهـــا خَشَـــعُوا
لا يَفْرَحـــون إذا نـــالوا عَـــدُوَّهُمُ ... وإنْ أصـــيبوا فـــلا خُـــورٌ ولا جُـــزُعُ
كـــأنَّهم فـــي الـــوَغَى والمـــوتُ مُكتَنِـــعٌ ... أُسُـــودُ بِيشَـــةَ فـــي أرســـاغها فَـــدَعُ
خُـــذْ مـــنهمُ مـــا أتـــى عَفْـــواً وإنْ مَنَعُـــوا ... فـــلا يَكُـــنْ هَمُّـــكَ الأمـــرَ الـــذي مَنَعُـــوا
فـــإنّ فـــي حَـــرْبِهم فـــاتْرُكْ عـــداوتَهم ... سُـــماً يُخَـــاض عليـــه الصَّـــابُ والسَّـــلَعُ
أَكْـــرِمْ بَقْـــومٍ رســـولُ الله قائـــدُهُمْ ... إذا تَفَرّقَـــتِ الأهـــواءُ والشِّـــيَعُ
أَهْـــدَى لهـــم مِـــدَحِي قلـــبٌ يـــؤازِرُهُ ... فيمـــا أراد لســـانٌ حائِـــكٌ صَـــنَعُ
فـــإنّهم أفضـــلُ الأحيـــاء كلِّهِـــمُ ... إنْ جَـــدّ بالنـــاس جِـــدُّ القـــولِ أو شَـــمَعُوا[3]

1() كعب بن مالك بن عمرو بن القين الأنصاري السلمي الخزرجي.صحابي من أكابر الشعراء من أهل المدينة واشتهر في الجاهلية وكان في الإسلام من شعراء النبي صلى الله عليه وسلم وشهد أكثر الوقائع.ثم كان من أصحاب عثمان وأنجده يوم الثورة وحرض الأنصار على نصرته ولما قتل عثمان قعد عن نصرة علي فلم يشهد حروبه، وعمي في آخر عمره وعاش سبعاً وسبعين سنة. تراجم شعراء الموسوعة الشعرية (1|1914)

2() عبد الله بن أبي رواحة بن ثعلبة الانصاري، من الخزرج، أبو محمد: صحابي، يعد من الأمراء والشعراء الراجزين. كان يكتب في الجاهلية. وشهد العقبة مع السبعين من الانصار. وكان أحد النقباء الاثني عشر وشهد بدرا وأحدا والخندق والحديبية. واستخلفه النبي صلي الله عيله وسلم على المدينة في إحدي غزواته. وصحبه في عمرة القضاء، وله فيها رجز. وكان أحد الأمراء في وقعة مؤتة (بأدنى البلقاء من أرض الشام) فاستشهد فيها. الأعلام للزركلي (4|86)

3() ديوان حسان بن ثابت, تحقيق عبدالله سنده, دار المعرفة, بيروت, ط1, 1427هـ -2006م, ص155

وقد تأثر الفرزدق بالمعاني التي أضفاها الإسلام على الشعر كيف لا وهو المولود في البيئة الجديدة وقد تفتحت شاعريته في ظلال القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.. قال يمدح هلال بن أحوز[1]:

يقيم عصا الإسلام منا ابن أحوز إذا ما عصا الإسلام لانت كعوبها
أخو غمرات يفرج الشك عزمه وقد ينعم النعمى ولا يستثيبها

هنا يذكر الإسلام وأن الممدوح سعى جهده في نصره وتعضيد أمره.

وقال في مدح هشام بن عبد الملك[2]:

رأيت بني مروان يرفع ملكهم ملوك شباب كالأسود وشيبها
بهم جمع الله الصلاة فأصبحت قد اجتمعت بعد اختلاف شعوبها
ومن ورث العودين والخاتم الذي له الملك والأرض الفضاء رحيبها

وهنا ذكر الصلاة وخاتم النبي صلى الله عليهِ وسلم ومنبره وكلها مفردات إسلامية تعكس المعاني الجديدة التي أدخلها الإسلام على الشعر العربي.

1() هلال بن أحوز بن أربد المازني المالكي التميمي: قائد، من الشجعان القساة. عرفه ابن حزم بقاتل آل المهلب بقندابيل. قال البلاذري: هرب بنو المهلب إلى السند في أيام يزيد بن عبد الملك، فوجه إليهم " هلال بن أحوز " فلقيهم، فقتل مدرك ابن المهلب بقندابيل، وقتل المفضل و عبد الملك وزيادا ومروان ومعاوية بني المهلب، وقتل معاوية بن يزيد في آخرين. وعناه " جرير " بقوله من قصيدة:

" حذارا على نفس ابن أحوز، إنه ... جلا كل وجه من معد فأسفرا "

ومنها:

" أتنسون شدات ابن أحوز، معلما ... إذا الموت بالموت ارتدى وتأزرا "

ومعلم، بضم الميم وسكون العين وكسر اللام، من قولهم: أعلم الرجل في الحرب، إذا لبس خرقة حمراء أو صفراء أو شيئا يعرف به. وجاء في كلام ياقوت على " قندابيل ": " كانت فيها وقعة لهلال ابن أحوز المازني على آل المهلب " مات بعد 102 هجرية. الأعلام للزركلي.

2() الخليفة الأموي بويع له بالخلافة يوم مات أخوه يزيد باستخلاف يزيد له ، وكانت سكناه بالرصافة ، على يوم من الرقة ؛ يكنى أبا الوليد . فبقي والياً إلى أن مات لعشر خلون لربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة ، فكانت ولايته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر غير أيام ، ومات وله اثنتان وخمسون سنة . أُمُه : أُم هاشم بنت هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم (2|144)

وقال يمدح يزيد بن عبد الملك[1]: البسيط

يـــا خيـــر حـــي وقـــت نعـــل لـــه قـــدماً ... وميـــــت بعـــــد رســـــل الله مقبـــــور
إنـــي حلفـــت ولـــم أحلـــف علـــى فنـــد ... فنـــــاء بيـــت مـــن الســـاعين معمـــور
فـــي أكبـــر الحـــج حـــاف غيـــر منتعـــل ... مـــن حـــالف محـــرم بـــالحج مصـــبور
بالباعـــث الـــوارث الأمـــوات قـــد ضـــمنت ... إيـــــاهم الأرض بالـــــدهر الـــــدهارير
إذا يثـــــورون أفواجـــــاً كـــــأنهم ... جـــراد ريـــح مـــن الأجـــداث منشـــور
لـــو لـــم يبشـــر بـــه عيســـى وبينـــه ... كنـــت النبـــي الـــذي يـــدعو إلـــى النـــور
فأنـــت إن لـــم تكـــن إيـــاه صـــاحبه ... مـــع الشـــهيدين والصـــديق فـــي الســـور[2]

وهذه الأبيات الأثر الإسلامي فيها شديد الوضوح كما ترى من ذكر الحج والبعث وعيسى والشهيدين وأبي بكر.

ب- معان جديدة:

بعد العصر الإسلامي الأول استجدت أحداث سياسية كبيرة وقامت الحروب بين المسلمين وظهرت الفرق كالخوارج والشيعة وغيرهم هذا غير ما أحدثه تمدد الإسلام في أراضي الحضارات الأخرى كالفرس والروم وما انتقل من ثقافاتهم وحضارتهم وخططهم الإدارية وطرق لهوهم مما لم تعهده العرب في جاهليتها ولا في صدر إسلامها وكان لكل هذه الأحداث آثارها على كافة مناحي الحياة الاجتماعية, والفكرية, والثقافية, وليس الشعر بمعزل عن كل ذلك فهو وجدان الأمة الذي يتأثر بأفراحها كما يتأثر بأتراحها،خاصة" وقد كان العصر الجديد يختلف عن العصر القديم في الدين والسياسة والحضارة والثقافة, لقد دخل العرب في الإسلام وخرجوا من جزيرتهم واتصلوا بالأمم الأجنبية واتخذوا القصور والرقيق والجواري.."[3]

وعلى الرغم مماسبق فقد كان الشعراء الأمويون أقرب الشعراء إلى العصر الجاهلي كما أنهم شهدوا الثورة الكبيرة التي أطلقها الإسلام في أرجاء الجزيرة العربية فغيرت مفاهيم الناس عن الكون والحياة والإنسان. أيضاً فإن النقد الذي بدأ يتبلور في تلك الحقبة له فضل كبير في التحول إلى المعاني الجديدة ومن ذلك ما ذكر من انتقاد عبد الملك بن مروان المعاني المعادة والمكروه فقال للشعراء: تشبهونني مرة بالأسد، ومرة بالبازي، ومرة بالصقر، ألا قلتم كما قال كعب الأشقري[4]:

1() يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو خالد: من ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد في دمشق، وولي الخلافة بعد وفاة عمر بن عبد العزيز (سنة 101 هـ بعهد من أخيه سليمان بن عبد الملك. وكانت في أيامه غزوات أعظمها حرب الجراح الحكمي مع الترك وانتصاره عليهم. وخرج عليه يزيد بن المهلب، بالبصرة، فوجه إليه أخاه مسلمة فقتله. وكان أبيض جسيما مدور الوجه، مليحه، فيه مروءة كاملة، مع إفراط في الانصراف إلى اللذات. ومات في إربد (من بلاد الاردن) أو الجولان. الأعلام للزركلي (8|185)

2() ديوان الفرزدق ص 189

3() التطور والتجديد في الشعر الأموي ، شوقي ضيف ، دار المعارف، ط8, 1987م.

4() كعب بن معدان الاشقري، أبو مالك: فارس، شاعر، خطيب. من شعراء خراسان. كان معدودا في جلة أصحاب المهلب بن أبي صفرة، المذكورين في حروب الازارقة. وهو من " الاشاقر " من قبائل الازد. له خبر مع " الحجاج " أورده القالي في " الامالي "

ملـــــوك ينزلـــــون بكـــــل ثغـــــر إذا مـــا الهـــام يـــوم الـــروع طـــارا
رزان فـــي الأمـــور تـــرى علـــيهم مـــن الشـــيم الشمـــائل والنجـــارا
نجـــوم يهتـــدى بهـــم إذا مـــا أخـــو الظلمـــاء فـــي الغمـــرات حـــارا

وهذا يظهر التصور البلاغي لدى الخليفة الأموي، في توجيه كلامه للشعراء، إذ يلتزمون في شعرهم صوراً مكررة، لا تجديد فيها، ولا تنوع، وتلك دعوة إلى بناء الشعر على وجهات أخرى تتمثل فيها حياة البلاغة في غير جمود أو توقف.[1]

والفرزدق من الشعراء الذين رموا بسهم صائب في المعاني الجديدة ومن ذلك:

قوله وهو يمدح بشر بن مروان[2]: البسيط

مـــا النيـــل يضـــرب بـــالعبرين دارئـــه ولا الفـــرات إذا آذيـــه زحـــرا
يعلـــو أعـــالي عانـــات بملـــتطم يلقـــي علـــى ســـورها الزيتـــون والعشـــرا
تـــرى الصـــراري والأمـــواج تلطمـــه لـــو يســـتطيع إلـــى بريـــة عبـــرا
إذا علتـــه ظـــلال المـــوج واعتركـــت بواســـقات تـــرى فـــي مائهـــا كـــدرا
بمســـتطيع نـــدى بشـــر عبابهمـــا ولـــو أعانهمـــا الـــزاب إذا انحـــدرا[3]

وقد سأله الحجاج: أشاعر أنت أم خطيب ؟ فقال: كلاهما. وله قصيدة طويلة يذكر بها يوم " رامهرمز " وغيره، رواها الطبري. مات حوالي 80 هجرية. الأعلام للزركلي (5|229)

1() حمدي, محمد بركات أبو علي, البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل, دار البشير, عمان,ط1 ,1991ص 19

2() بشر بن مروان، أمير العراق الأموي، كان سمحاً جواداً ممدحاً. ولي إمرة العراق لأخيه عبد الملك، وله دار بدمشق عند عقبة الكتان وهو أول أمير مات بالبصرة. وهو أول من أحدث الأذان للعيد بالكوفة، فأكبر الناس ذلك وأعظموه. ووقف الفرزدق على قبره ورثاه بأبيات، فما بقي أحد إلا بكى عليه، وعمره نيف وأربعون سنة، وكانت وفاته سنة خمس وسبعين للهجرة. الوافي بالوفيات (3|380)

3() ديوان الفرزدق ص 205

وقال في مدح الوليد بن يزيد[1]: الطويل

أرى الشمس فيها الروح سيقت هدية ... إلى وقد أعيت علي المضاجع
تبسم عن غر عذاب كأنها ... أقاح ترويها الذهاب اللوامع
كأن مجاج النحل بين لثاتها ... وماء سحاب أحرزته الوقائع
وكادت بنات النفس تخرج والحشا ... وتنقض من وجد عليها الأضالع
أراني إذا دار بظمياء طوحت ... أخا زفرات تعتقبها الفواجع[2]

وقال يمدح أسد بن عبد الله القسري[3]: الطويل

لم أر جاراً لامريء يستجيره ... كجاري أوفى لي جواراً وأمنعا
رمى بي الخوف حتى أتيته ... وقد يمنع الحامي إذا ما تمنعا
فشمر عن ساقيه حتى تطامنت ... أنابيب نفسي واستقرت بها معا
به حطم الله القيود وأومنت ... مخافة نفس طومنت أن تفزعا
كمنع أبي ليلى عياض بن ديهث ... عشية خاف القوم أن يتمزعا
فما يحي لا أخشى العدو ولا أزل ... على الناس أعلو من ذرى المجد مفزعا
جزى الله جاري خير ما كان جازيا ... من الناس جاراً يوم بنت مودعا[4]

فتأمل هذه النماذج وما فيها من ضروب التجديد ومعاني الحداثة بالنسبة إلى زمان الجاهليين فاللغة قد رقت وتهذبت حواشيها والأسلوب تفتحت أزاهيره فطاب ريحانه وتأنق رونقه، وحتى نجلي المسألة بصورة واضحة علمية فسنتطرق إلى المعاني الجديدة وكيف عالجها الفرزدق في قصائد مدحه ومقطوعات مديحه بفحولته الشعرية المعهودة التي تنفي الفرية التي أطلقها البعض من أن العرب لم تستطع التجديد في شعر الجاهليين حتى جاءت الموالي في العصر العباسي فجددت لهم الشعر وسهلت لهم وعورته.

1() الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس. من ملوك الدولة المروانية بالشام، كان من فتيان بني أمية وظرفائهم وشجعانهم وأجوادهم، يعاب بالانهماك في اللهو وسماع الغناء. له شعر رقيق وعلم بالموسيقى. قال أبو الفرج: (له أصوات صنعها مشهورة وكان يضرب بالعود ويوقع بالطبل ويمشي بالدف على مذهب أهل الحجاز). وقال السيد المرتضى: (كان مشهوراً بالإلحاد متظاهراً بالعناد) وقال ابن خلدون: ساءت القالة فيه كثيراً، وكثير من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا إنها من شناعات الأعداء ألصقوها به.ولي الخلافة سنة 125هـ بعد وفاة عمه هشام بن عبد الملك. خلعه الناس وبايعوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك بينما كان غائباً في الأغداف (شرقي الأردن) فجاءه النبأ فانصرف إلى النجراء فقصده جمع من أصحاب يزيد فقتلوه في قصر النعمان بن بشير وحمل رأسه إلى دمشق فنصب في الجامع ولم يزل أثر دمه على الجدران إلى أن قدم المأمون دمشق سنة 215 وأمر بحكه. تراجم شعراء الموسوعة الشعرية (1|888)

2() ديوان الفرزدق ص 355

3() أسد بن عبد الله القسري البجلي: أمير، من الاجواد الشجعان. ولد ونشأ في دمشق. وولاه أخوه (خالد بن عبد الله) خراسان سنة 108 هـ فأقام فيها زمنا، وجدد بناء بلخ وأنزل بها جيشه، ثم اختارها لاقامته. وكان دهاقنة الفرس راضين عنه وعن حكمه، وأسلم على يديه سامان (جد السامانيين) وسمى ابنه أسدا، على اسمه. وفي أيام جاشت الترك بخراسان (سنة 117 هـ وأغاروا حتى أتوا مرو الروذ، فسار إليهم أسد، فكانت له معهم وقائع انتهت بهزيمتهم. توفي في بلخ. الأعلام للزركلي (1|298)

4() ديوان الفرزدق ص 366

ومن المعاني الجديدة التي تأثر بها الفرزدق في مديحه:

1. المعاني والمصطلحات الإسلامية:

قال الفرزدق وهو يمدح الوليد بن يزيد بن عبد الملك: الطويل

أَبيـــتُ أَمَنّـــي الـــنَفسَ أَن سَـــوفَ نَلتَقـــي ... وَهَـــل هُـــوَ مَقـــدورٌ لِـــنَفسٍ لِقاؤُهـــا
وَإِن أَلقَهـــا أَو يَجمَـــعِ اللَهُ بَينَنـــا ... فَفيهـــا شِـــفاءُ الـــنَفسِ مِنّـــي وَداؤُهـــا
أُرَجّـــي أَميـــرَ المُـــؤمِنينَ لِحاجَـــةٍ ... بِكَفَّيـــكَ بَعـــدَ اللَهِ يُرجـــى قَضـــاؤُها
وَأَنـــتَ سَـــماءُ اللَهِ فيهـــا الَّتـــي لَهُـــم ... مِـــنَ الأَرضِ يُحيِـــي مَيِّـــتَ الأَضِ ماؤُهـــا
كِـــلا أَبَوَيـــكَ اِســـتَلَّ سَـــيفَ جَماعَـــةٍ ... عَلـــى فِتيَـــةٍ تَلقـــى البَنـــينَ نِســـاؤُها
فَمـــا أُغمِـــدَ حَتّـــى أَنابَـــت قُلـــوبُهُم ... وَسَـــمَّحَ لِلضَـــربِ الشَـــآمي دِماؤُهـــا
لِـــنِعمَ مُنـــاخُ القَـــومِ حَلّـــوا رِحـــالَهُم ... إِلـــى قُبَّـــةٍ فَـــوقَ الوَليـــدِ سَـــماؤُها
بَناهـــا أَبـــو العاصـــي وَمَـــروانُ فَوقَـــهُ ... وَيوسُـــفُ قَـــد مَـــسَّ النُجـــومَ بِناؤُهـــا
فَـــإِن يَبعَـــثِ المَهـــدِيُّ لـــي نـــاقَتي الَّتـــي ... يَهـــيجُ لِأَصـــحابي الحَنـــينَ بُكاؤُهـــا
وَإِن يَبعَثوهـــا بِالنَجـــاحِ فَقَـــد مَشَـــت ... إِلَـــيكُم عَلـــى حَـــوبٍ وَطـــالَ ثَواؤُهـــا
وَإِنَّ عَلَيهـــا إِن رَأَت مِـــن غِمارِهـــا ... ثَنايـــا بِـــراقٍ أَن يَجِـــدَّ نَجاؤُهـــا

إن تسمية الملك بأمير المؤمنين مصطلح إسلامي محض لم يسبق إليه المسلمون ولم يلحقوا ،ثم الإكثار من لفظ الجلالة (يجمع الله بيننا ،بكفيك بعد الله، وأنت سماء الله) كل هذا من الأثر الإسلامي الجديد على الشاعر في ممادحه. وأيضاً استخدامه لمفردة (المهدي) تصب في ذات السياق.

وقال يمدح يزيد بن عبد الملك: الطويل

لَعَمري لَقَد نَبَّهتِ يا هِندُ مَيِّتاً ... قَتيلَ كَريً مِن حَيثُ أَصبَحتُ نائِيا
وَلَيلَةَ بِتنا بِالجُبوبِ تَخَيَّلَت ... لَنا أَو رَأَيناها لِماماً تَمارِيا
أَطافَت بِأَطلاحٍ وَطَلحٍ كَأَنَّما ... لَقوا في حِياضِ المَوتِ لِلقَومِ ساقِيا
فَلَمّا أَطافَت بِالرِحالِ وَنَبَّهَت ... بِريحِ الخُزامى هاجِعَ العَينِ وانِيا
تَخَطَّت إِلَينا سَيرَ شَهرٍ لِساعَةٍ ... مِنَ اللَيلِ خاضَتها إِلَينا الصَحارِيا
أَتَت بِالغَضا مِن عالِجٍ هاجِعاً هَوى ... إِلى رُكبَتَي هَوجاءَ تَخشى الفَيافِيا
فَباتَت بِنا ضَيفاً دَخيلاً وَلا أَرى ... سِوى حُلُمٍ جاءَت بِهِ الريحُ سارِيا
وَكانَت إِذا ما الريحُ جاءَت بِبَشرِها ... إِلَيَّ سَقَتني ثُمَّ عادَت بِدائِيا
وَإِنّي وَإِيّاها كَمَن لَيسَ واجِداً ... سِواها لِما قَد أَنطَفَتهُ مُداوِيا
وَأَصبَحَ رَأسي بَعدَ جَعدٍ كَأَنَّهُ ... عَناقيدُ كَرمٍ لا يُريدُ الغَوالِيا
كَأَنّي بِهِ إِستَبدَلتُ بَيضَةَ دارِعٍ ... تَرى بِحَفافَي جانِبَيهِ العَناصِيا
وَقَد كانَ أَحياناً إِذا ما رَأَيتَهُ ... يَروعُ كَما راعَ الغِناءُ العَذارِيا
أَتَيناكَ زُوّاراً وَسَمعاً وَطاعَةً ... فَلَبَّيكَ يا خَيرَ البَرِيَّةِ داعِيا
فَلَو أَنَّني بِالصينِ ثُمَّ دَعَوتَني ... وَلَو لَم أَجِد ظَهراً أَتَيتُكَ ساعِيا
وَما لِيَ لا أَسعى إِلَيكَ مُشَمِّراً ... وَأَمشي عَلى جَهدٍ وَأَنتَ رَجائِيا
وَكَفّاكَ بَعدَ اللهِ في راحَتَيهِما ... لِمَن تَحتَ هَذي فَوقَنا الرِزقُ وافِيا
وَأَنتَ غِياثُ الأَرضِ وَالناسِ كُلِّهِم ... بِكَ اللهُ قَد أَحيا الَّذي كانَ بالِيا
وَما وَجَدَ الإِسلامُ بَعدَ مُحَمَّدٍ ... وَأَصحابِهِ لِلدينِ مِثلَكَ راعِيا
يَقودُ أَبو العاصي وَحَربٌ لِحَوضِهِ ... فُراتَينِ قَد غَمّا البُحورَ الجَوارِيا
إِذا اِجتَمَعا في حَوضِهِ فاضَ مِنهُما ... عَلى الناسِ فَيضٌ يَعلُوانِ الرَوابِيا
فَلَم يُلقَ حَوضٌ مِثلُ حَوضٍ هُما لَهُ ... وَلا مِثلُ آذِيٍّ فُراتَيهِ ساقِيا
وَما ظَلَمَ المُلكَ اِبنُ عاتِكَةَ الَّتي ... لَها كُلُّ بَدرٍ قَد أَضارَ اللَيالِيا
أَرى اللَهَ بِالإِسلامِ وَالنَصرِ جاعِلاً ... عَلى كَعبِ مَن ناواكَ كَعبَكَ عالِيا
سَبَقتُ بِنَفسي بِالجَريضِ مُخاطِراً ... إِلَيكَ عَلى نِضوي الأُسودَ العَوادِيا
وَكُنتُ أَرى أَن قَد سَمِعتَ وَلَو نَأَت ... عَلى أَنَّني إِذ يُجمِرونَ بِدائِيا
بِمُدَّرِعينَ اللَيلَ مِمّا وَرائَها ... بِأَنفُسِ قَومٍ قَد بَلَغنَ التَراقِيا
إِلَيكَ أَكَلنا كُلَّ خُفٍّ وَغارِبٍ ... وَمُخٍّ وَجاءَت بِالجَريضِ مَناقِيا
تَرامَينَ مِن يَبرينَ أَو مِن وَرائَها ... إِلَيكَ عَلى الشَهرِ الحُسومِ تَرامِيا
وَمُنتَكِثٍ عَلَّلتُ مُلتاثَهُ بِهِ ... وَقَد كَفَّنَ اللَيلُ الخُروقَ الخَوالِيا
لَقَد عَلِمَ الفُسّاقُ يَومَ لَقيتَهُم ... يَزيدُ وَحَوّاكُ البُرودِ اليَمانِيا
وَجاؤوا بِمِثلِ الشاءِ غُلفاً قُلوبُهُم ... وَقَد مَنَّياهُم بِالضَلالِ الأَمانِيا
ضَرَبتَ بِسَيفٍ كانَ لاقى مُحَمَّدٍ ... بِهِ أَهلَ بَدرٍ عاقِدينَ النَواصِيا
بَكَوا بِسُيوفِ اللهِ لِلدينِ إِذ رَأَوا ... مَعَ السودِ وَالحُمرانِ بِالعَقرِ طاغِيا

في هذه القصيدة نجد هذه المعاني الإسلامية : (وكفاك بعد الله..) (بك الله قد أحيا) (وما وجد الإسلام بعد محمد) (أرى الله بالإسلام والنصر جاعلاً) (بخير أب واسم ينادى لروعة سوى الله..) (تريد أمير المؤمنين وليتها..) (لقد علم الفساق يوم لقيتهم..) (لاقى محمد به أهل بدر) (بكوا بسيوف الله للدين) (نكوباً عن الإسلام ممن ورائيا)

وقال في مدح ابن أحوز: البسيط

إنّ ابـــنَ أحْـــوَزَ قَـــدْ داوَتْ كَتَائِبُـــهُ ... داءَ العِـــرَاقِ وَجَلّـــتْ ظُلْمَـــةَ الفِـــتنِ
فـــي كُـــلّ شَـــرْقٍ وَغَـــرْبٍ مِـــنْ كَتائِبِـــهِ ... شَـــهباءُ كـــالرّكنِ مـــن ثَهـــلانَ أوْ حضَـــنِ
يَشْـــفي بِأرْماحِـــهِ مِـــنْ كُـــلّ مُبْتَـــدِعٍ ... دِينـــاً يَحيـــدُ عَـــنِ الفُرْقَـــانِ وَالسُّـــنَنِ
إنّ ابـــنَ أحْـــوَزَ مَحْمُـــودٌ شَـــمَائِلُهُ، ... وَالمُسْـــتَقَالُ بِـــهِ مِـــنْ عَثْـــرَةِ الـــزّمَنِ
لاتَتّقِـــي خَيْلُـــهُ وَطْءَ القَتِيـــلِ، وَلا ... خَـــوْضَ الـــدّمَاءِ إذا كانَـــتْ إلـــى الثُّـــنَنِ
مَـــنْ كَـــانَ مُـــرٌّ أبَـــاهُ كـــانَ ذا شَـــرَفٍ ... عَـــالٍ وَعُـــودَ نُضَـــارٍ غَيـــرَ ذي أُبَـــنِ

نجد هنا أيضاً هذه المعاني: (جلت ظلمة الفتن) (الفرقان والسنن) (كل مبتدع)

2. طريقته في مدح الخلفاء:

كان الفرزدق في أول أمره منزوياً عن مدح الخلفاء مكتفياً بمدح الولاة القريبين منه لكنه لم يلبث حتى اتصل بخلفاء بني أمية فمدحهم وهجا مخالفيهم والجديد في مدحه لهم هو ذكر حفظهم للدين وقيامهم به وصيانتهم للدولة ورعايتهم لها وما إلى ذلك مما لم يتطرق إليه المادحون في الجاهلية فكانت مظاهر الجدة في هذا اللون من المديح تكمن في الإسلام وما أحدثه من التحول في النفوس والنظم السياسية والاجتماعية.

قال الفرزدق يمدح سليمان بن عبد الملك[1]: الطويل

1() سليمان بن عبد الملك. كَانَ من خيار ملوك بني أميّة. ولي الخلافة فِي جمادى الآخرة سنة ستّ وتسعين بعد الوليد بالعهد من أبيه. وَكَانَتْ داره موضع سقاية جيرون. وَكَانَ فصيحاً مفوّهاً مؤثراً للعدل يحبّ الغزو. مولده سنة ستّين، وتوفيّ يوم الجمعة عاشر صفر سنة تسع وتسعين للهجرة بمرج دابق.الصفدي,صلاح الدين,تحقيق أحمدأرناؤوط, الوافي بالوفيات دارإحياءالتراث,بيروت,2000م, ج5, ص130

إلـــى المُـــؤمِنِ الفَكّـــاكِ كُـــلّ مُقَيَّـــدٍ ... يَـــدَاهُ وَمُلْقـــي الثِّقْـــلِ عَـــن كـــلّ غـــارِمِ
بِكَفّـــينِ بَيْضَـــاوَيْنِ فـــي رَاحَتَيْهِمَـــا ... حَيَـــا كُـــلّ شَـــيْءٍ بـــالغُيُوثِ السّـــوَاجِمِ
بِخَيْـــرِ يَـــدَيْ مَـــنْ كـــانَ بَعْـــدَ مُحَمّـــدٍ ... وَجَارَيْـــــهِ، وَالمَظْلُـــــومِ للهِ صَـــــائِمِ
فَلَمّـــا حَبَـــا وَادِي القُـــرَى مـــن وَرَائِنـــا، ... وَأشْـــرَفْنَ أقْتَـــارَ الفِجَـــاجِ القَـــوَاتِمِ
لَـــوَى كُـــلُّ مُشْـــتَاقٍ مِـــنَ القَـــوْمِ رَأسَـــهُ ... بِمُغْرَوْرِقَـــاتٍ كَالشّـــنَانِ الهَـــزَائِمِ
وَأيْقَـــنَ أنّـــا لا نَـــرُدُّ صُـــدُورَهَا، ... وَلَمّـــا تُوَاجِهْهَـــا جِبَـــالُ الجَـــرَاجِمِ
أكُنـــتُمْ ظَنَنـــتُمْ رِحلَتـــي تَنَثَّنـــي بكـــمْ ... وعلَـــمْ يَـــنْقُضِ الإدْلاجُ طَـــيَّ العمـــائِمِ
لَبِـــئْسَ إذاً حـــامي الحَقيقَـــةِ وَالّـــذِي ... يُـــلاذُ بِـــه فـــي المُعْضِـــلاتِ العَظـــائِمِ
وَمَـــاءٍ كَـــأنّ الـــدِّمْنَ فَـــوْقَ جَمامِـــهِ ... عبَـــاءٌ كَسَـــتْهُ مـــن فُـــرُوجِ المخَـــارِمِ
ليَـــبلُغن مِـــلءَ الأرْضِ نُـــوراً وَرَحمَـــةً ... وعَـــدْلاً، وَغَيَـــثَ المُغِبـــرَاتِ القَـــوَاتِمِ
جُعَلْـــتَ لأهْـــلِ الأرْضِ أمْنـــاً وَرَحمـــة ... وَبُـــرْءاً لآثَـــارِ القُـــرُوحِ الكَـــوَالِمِ
كمَـــا بَعَـــثَ اللهُ النّبـــيَّ مُحَمّـــداً، ... علـــى فَتْـــرَةٍ، وَالنّـــاسُ مِثْـــلُ البَهـــائِمِ
وَرِثْـــتُمْ قَنـــاةَ المُلْـــكِ، غَيـــرَ كَلالَـــةٍ، ... عَـــنِ ابـــنِ مَنـــافٍ عَبـــدِ شَـــمسٍ وَهاشِـــمِ
تَـــرَى التّـــاجَ مَعْقـــوداً عَلَيْـــهِ كـــأنّهُمْ ... نُجُـــومٌ حَـــوَاليْ بَـــدْرِ مُلْـــكٍ قُمـــاقِمِ
عَجِبْـــتُ إلـــى الجَحّـــادِ أيَّ إمَـــارَةٍ ... أرَادَ لأنْ يَزْدادَهَـــــا، أوْ درَاهِـــــمِ
وَكَـــانَ علـــى مـــا بَـــينَ عَمّـــانَ وَاقِفـــاً ... إلـــى الصّـــينِ قَـــدْ ألْقَـــوْا لَـــهُ بـــالخَزَائِمِ
فعلَمّـــا عَتَـــا الجحّـــادُ حِـــينَ طَغَـــى بِـــهِ ... غِنـــىً قـــال: إنـــي مُرْتَـــقٍ فـــي السّـــلالِمِ
فكَـــانَ كمَـــا قـــال ابـــنُ نُـــوحٍ سَـــأرْتقي ... إلـــى جَبَـــلٍ مِـــنْ خَشْـــيَةِ المَـــاءِ عاصِـــمِ
رَمَـــى اللهُ فـــي جُثْمَانِـــهِ مِثْـــلَ مـــا رَمَـــى ... عَـــنِ القِبْلَـــةِ البَيْضَـــاءِ ذاتِ المَحـــارِمِ
جُنُـــوداً تَسُـــوقُ الفِيـــلَ حَتـــى أعادَهـــا ... هَبـــاءً وَكـــانوا مُطْرَخِمّـــي الطَّـــرَاخِمِ
نُصِـــرْتَ كَنَصْـــرِ البيْـــتِ إذْ ســـاقَ فيلَـــه ... إلَيـــهِ عَظِـــيمُ المُشـــرِكِينَ الأعـــاجِمِ
وَلا رَجعُـــوا حتـــى رَأوْا فـــي شِـــمَالِهِ ... كِتابـــاً لمَغْـــرُورٍ لَـــدَى النّـــارِ نَـــادِمِ[1]

1() ديوان الفرزدق ص 610

وقال يمدح هشام بن عبد الملك: الطويل

رَأيْـــتُ سَـــمَاءَ الله وَالأرْضَ ألْقَتَـــا ... بِأيْـــدِيهِمَا لابْـــنِ المُلُـــوكِ القَمَـــاقِمِ
وَكُنْـتَ لَنَـا غَيْـثَ السّـمَاءِ الـذي بـهِ ... حَيينـا، وَأحْيـا النّـاسَ بَعـدَ البَهـائِمِ
وَمـا لَـكَ ألاّ تَمـلأ الأرْضَ رَحْمَـةً، ... وَأنْـتَ ابـنُ مَـرْوَانَ الهُمَـامِ وَهاشِـمِ
فَمـا قُمْـتَ حتـى هَـمّ مَـنْ كـانَ مُسـلماً ... لِيَلْـبسَ مُسْـوَدّاً ثِيـابَ الأعَـاجِمِ
لَقَـدْ ضَـاقَ ذَرْعـي بالحَيـاةِ وَقَطّعَـتْ ... حَوَامِلُـهُ عـضَّ الحَدِيـدِ الأوَازِمِ
رَأيْـتُ بَنـي مَـرَوانَ إذْ شَـمّرَتْ بِـمْ ... مـن الحَـرْبِ حَـدْبَاءُ القَـرَا غَيـرُ رائِـمِ
لهُـمْ حَجَـرٌ للـدِّينِ يَرْمُـونَ مَـن رَمُـوا ... بـهِ، دَمغَـتْ أيْـدِيهِمْ كُـلَّ ظَـالِمِ
هِشَـامٌ أمِـينُ الله فـي الأرْضِ والّـذِي ... بِـهِ تَمْنَـعُ الأيّـامُ ذاتَ المَحـارِمِ
بِـهِ عَمَـدُ الـدّينِ اسـتَقَلّتْ وَأثْبَتَـتْ ... علـى كـلّ ذي طَـوْدَينِ للـدّينِ قـائِمِ
وَسُـلّتْ سـيوفُ الحـرْبِ وانشـقَتِ العصَـا ... وَهَـزّ القَنَـا وُرْدُ الأسـودِ القَشَـاعِمِ
وَقَـدْ جَعَلَـتْ للـدّينِ فـي المَـرْجِ بالقَنـا ... لِمَـرْوَانَ أيّـامٌ عِظَـامُ المَلاحِـمِ
وَمـا النّـاسُ لَـوْلا آلُ مَـرْوَانَ مِـنهُمُ ... إمَـامُ الهُـدَى وَالضّـارِبَاتُ الجَمـاجِمِ
ولَـوْ أرْسِـلَ الـرّوحُ الأمـينُ إلـى امـرِىءٍ ... سَـوى الأنْبيـاءِ المُصْـطَفَينَ الأكـارِمِ
إذاً لأتَـتْ كَفَّـيْ هِشـامٍ رِسَـالَةٌ ... مِـنَ الله فيهـا مُنـزَلاتُ العَواصِـمِ
ولَـوْ كـانَ حَـيٌّ خالـداً، أوْ مُمَلَّـكٌ، ... لَكَـانَ هشـامَ ابـنَ المُلـوكِ الخَضَـارِمِ
إلَيْـكَ تَعَرّقْنَـا الـذّرَى بِرِحَالِنَـا، ... وَأفْنَـتْ مَنَاقِيهَـا بُطُـونُ المَنَاسِـمِ
فأصْـبَحنَ كالهِنـديّ شَـقّ جُفُونَـهُ ... دَوَالِـقُ أعْنَـاقِ السّـيُوفِ الصّـوَارِمِ
وَمـا تَـرَكَ الصّـوَّانُ والحَـبسُ وَالسُّـرَى ... لهَـا مـن نِعـالِ الجلـدِ غَيـرَ الشّـرَاذِمِ
وَلَـيْسَ إلَيْـهِ المُنْتَهَـى فـي نَجاحِهَـا ... وفـي طَرَفَيْهَـا للقِـلاصِ الرّوَاسِـمِ[1]

1() ديوان الفرزدق ص 606

وقال يمدح هشاماً أيضاً: الوافر

أَلَسْتُمْ عَائِجِينَ بِنَا لَعَنّا ... نَرَى العَرَصَاتِ أوْ أثَرَ الخِيَامِ
فَقَالُوا: إنْ فَعَلْتَ، فَأغْنِ عَنّا ... دُمُوعاً غَيْرَ رَاقِيَةِ السّجَامِ
فكَيْفَ إذا رَأيْتُ دِيَارَ قَوْمي ... وَجِيرَانٍ لَنَا، كَانُوا، كِرَامِ
أُكَفْكِفُ عَبْرَةَ العَيْنَيْنِ مِنّي، ... وَمَا بَعْدَ المَدَامِعِ مِنْ مَلامِ
رَمَتْني بِالتّمَانِينَ اللّيَالي، ... وَسَهْمُ الدّهْرِ أصْوَبُ سَهمِ رَامي
وَغَيّرَ لَوْنَ رَاحِلَتي ولَوْني ... تَرَدّيَّ الهَوَاجِرَ وَاعْتِمَامي
وَإقْبَالُ المَطِيّةِ كُلَّ يَوْمٍ، ... مِنَ الجَوْزاءِ، مُلْتَهِبِ الضّرَامِ
يَدَيْ خَيْرِ الّذِينَ بَقُوا وَمَاتُوا، ... إمَاماً وَابْنِ أمْلاكٍ عِظَامِ
بِهِ يُحْيِي البِلادَ وَمَنْ عَلَيْهَا ... مِنَ النَّعَمِ البَهَائِمِ وَالأنَامِ
مِنَ الوَسْمِيّ مُبْتَرِكٌ بُعَاقٌ، ... يَسُوقُ عِشَارَ مُرْتَجِزٍ، رُكَامِ
فَإنْ تُبْلِغْكِ أرْبَعُكِ اللّوَاتي ... بِهِنّ إلَيْكِ أرْجِعْ كُلّ عَامِ
تَكُوني مِثْلَ مَيْتَةٍ، فَحَيّتْ ... وَقَدْ بَلِيَتْ بِتَنْضَاحِ الرّهَامِ
وَيُلْقَى الرّحْلُ عَنْكِ وَتَسْتَغِيثي ... بِمِلْءِ الأرْضِ والمَلِكِ الهُمَامِ
كَأنّ أرَاقِماً عَلِقَتْ يَدَاهَا ... مُعَلَّقَةً إلَى عَمَدِ الرّخَامِ
مِنَ السّنَةِ الّتي لَمْ تُبْقِ شَيْئاً ... مِنَ الأنْعَامِ بَالِيَةَ الثُّمَامِ
وَحَبْلُ اللهِ حَبْلُكَ مَنْ يَنَلْهُ ... فَمَا لِعُرىً إلَيْهِ مِن انْفِصَامِ
يَداكَ يَدٌ، رَبِيعُ النّاسِ فِيهَا، ... وَفي الأخْرَى الشّهُورُ مِنَ الحَرَامِ
إذا مَا سَارَ في أرْضٍ تَرَاهَا ... مُظَلّلَةً عَلَيْهِ مِنَ الغَمَامِ
رَأيْتُكَ قَدْ مَلأتَ الأرْضَ عَدْلاً ... وَضَوْءاً، وَهْيَ مُلْبَسَةُ الظّلامِ
رَأيْتُ الظّلْمَ لَمّا قُمْتَ جُذّتْ ... عُرَاهُ بِشَفْرَتَيْ ذَكَرٍ هُذَامِ [1]

لا شك أن الشعراء قديماً كانوا يمدحون الملوك والأمراء بل ويهاجرون من أجل ذلك يطلبون منهم الجوائز والعطايا وقد رحل النابغة وغيره إلى النعمان بن المنذر في الحيرة ولكن شعراء صدر الإسلام والفرزدق منهم حين مدحوا الخلفاء كانت لغتهم متأثرة بما جد في حياة الناس بعد الإسلام من الأمور ولنأخذ بعض النماذج:

ومثال ذلك قوله مادحا:

بخَيْرِ يَدَيْ مَنْ كانَ بَعْدَ مُحَمّدٍ ... وَجَارَيْهِ، وَالمَظْلُومِ لله صَائِمِ

يقصد بالجارين أبا بكر وعمر والصائم المظلوم عثمان بن عفان رضوان الله عليهم أجمعين, وفي هذا تقديم لهؤلاء الثلاثة على علي بن أبي طالب رضي الله عنه وما كان بين أسلافه وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يحتم على الشاعر أن يظهر ما يقتضيه المقام ويخفي ما عداه .

1() ديوان الفرزدق ص 597

وقوله:

ولَــوْ أرْسِــلَ الــرّوحُ الأمــينُ إلــى امــرِىءٍ سَـــوى الأنْبيـــاءِ المُصْـــطَفَينَ الأكـــارِمِ
إذاً لأتَـــتْ كَفَّـــيْ هِشـــامٍ رِسَـــالَةٌ مِــنَ الله فيهِــا مُنــزَلاتُ العَـــــواصِمِ

فهو هنا يعتلي بممدوحه قمة مجد بعيد الذرى حيث يقارب به مقام الأنبياء دون المساس برتبتهم أو الغض من مكانتهم وهذه صورة جديدة لا يوجد مثلها في سالف الأماديح وقديم الشعر.

وقال أيضاً:

أمِيـــرُ المُـــؤمِنِينَ بِـــهِ نُعِشْـــنَا، وَجُـــذّ جِبَـــالُ آصَـــارِ الإثَـــامِ
فَجَـــاءَ بِسُـــنّةِ العُمَـــرَيْنِ، فِيهَـــا شِـــفَاءٌ للصّـــدُورِ مِـــنَ السّـــقَامِ
رَآكَ الله أوْلـــى النّـــاسِ طُـــرّاً، بـــأعْوَادِ الخِلافَـــةِ وَالسّـــلامِ

العمران أبو بكر وعمر وهنا أيضاً يخفي الشاعر ميله إلى علي رضي الله عن الجميع ثم إن الخلافة فيها معنى أكبر من معنى الملك وعنى بالسلام أن الناس إذا سلموا عليه سلموا بإمرة المؤمنين. وهكذا يمضي الفرزدق جامعا بين القديم والجديد في مديح الخلفاء.

3. مديح آل البيت

ربما يميل الفرزدق لآل البيت ولكن ذلك لم يمنعه من مدح الأمويين وتبرز هنا قصيدته الرائعة في علي بن

الحسين زين العابدين[1] والتي يقول فيها: البسيط

هَـــذا الّـــذي تَعـــرِفُ البَطْحـــاءُ وَطْأَتَـــهُ، وَالبَيْـــتُ يعْرِفُـــهُ وَالحِـــلُّ وَالحَـــرَمُ
هـــذا ابـــنُ خَيـــرِ عِبـــادِ الله كُلِّهِـــمُ، هـــذا التّقـــيّ النّقـــيّ الطّـــاهِرُ العَلَـــمُ
هـــذا ابـــنُ فاطمَـــةٍ، إنْ كُنْـــتَ جاهِلَـــهُ، بِجَـــدّهِ أنْبِيَـــاءُ الله قَـــدْ خُتِمُـــوا
وَلَـــيْسَ قَوْلُـــكَ: مَـــن هـــذا؟ بضَـــائرِه، العُـــرْبُ تَعـــرِفُ مـــن أنكَـــرْتَ وَالعَجـــمُ
كِلْتـــا يَدَيْـــهِ غِيَـــاثٌ عَـــمَّ نَفعُهُمَـــا، يُسْـــتَوْكَفانِ، وَلا يَعرُوهُمـــا عَـــدَمُ
سَـــهْلُ الخَلِيقَـــةِ، لا تُخشـــى بَـــوَادِرُهُ يَزِينُـــهُ اثنـــانِ: حُســـنُ الخَلـــقِ وَالشّـــيمُ
حَمّـــالُ أثقـــالِ أقـــوَامٍ، إذا افتُـــدِحُوا حُلـــوُ الشّـــمائلِ، تَحلُـــو عنـــدَهُ نَعَـــمُ
مـــا قـــال: لا قـــطُّ، إلاّ فـــي تَشَـــهُّدِهِ، لَـــوْلا التّشَـــهّدُ كانَـــتْ لاءَهُ نَعَـــمُ
عَـــمَّ البَرِيّـــةَ بالإحســـانِ، فانْقَشَـــعَتْ عَنْهـــا الغَياهِـــبُ والإمْـــلاقُ والعَـــدَمُ
إذ رَأتْـــهُ قُـــرَيْشٌ قـــال قائِلُهـــا: إلـــى مَكَـــارِمِ هـــذا يَنْتَهِـــي الكَـــرَمُ
يُغْضِـــي حَيـــاءً، وَيُغضَـــى مـــن مَهابَتِـــه، فَمَـــا يُكَلَّـــمُ إلاّ حِـــينَ يَبْتَسِـــمُ
بِكَفّـــهِ خَيْـــزُرَانٌ رِيحُـــهُ عَبِـــقٌ، مـــن كَـــفّ أرْوَعَ، فـــي عِرْنِينِـــهِ شـــمَمُ
يَكـــادُ يُمْسِـــكُهُ عِرْفـــانَ رَاحَتِـــهِ، رُكْـــنُ الحَطِـــيمِ إذا مـــا جَـــاءَ يَســـتَلِمُ
الله شَـــرّفَهُ قِـــدْماً، وَعَظّمَـــهُ، جَـــرَى بِـــذاكَ لَـــهُ فـــي لَوْحِـــهِ القَلَـــمُ
أيُّ الخَلائِـــقِ لَيْسَـــتْ فـــي رِقَـــابِهِمُ لأوّلِيّـــةِ هَـــذا، أوْ لَـــهُ نِعـــمُ
مَـــن يَشـــكُرِ الله يَشـــكُرْ أوّلِيّـــةَ ذا؛ فالـــدِّينُ مِـــن بَيـــتِ هـــذا نَالَـــهُ الأُمَـــمُ
مَـــنْ جَـــدُّهُ دان فَضْـــلُ الأنْبِيـــاءِ لَـــهُ؛ وَفَضْـــلُ أُمّتِـــهِ دانَـــتْ لَـــهُ الأُمَـــمُ
مُشْـــتَقّةٌ مِـــنْ رَسُـــولِ الله نَبْعَتُـــهُ، طَابَـــتْ مَغارِسُـــهُ والخِـــيمُ وَالشّـــيَمُ
يَنْشَـــقّ ثَـــوْبُ الـــدّجَى عـــن نـــورِ غرّتِـــهِ كالشـــمس تَنجـــابُ عـــن إشـــرَاقِها الظُّلَـــمُ
مـــن مَعشَـــرٍ حُـــبُّهُمْ دِيـــنٌ، وَبُغْضُـــهُمُ كُفْـــرٌ، وَقُـــرْبُهُمُ مَنجـــىً وَمُعتَصَـــمُ
مُقَـــدَّمٌ بعـــد ذِكْـــرِ الله ذِكْـــرُهُمُ، فـــي كـــلّ بَـــدْءٍ، وَمَختـــومٌ بـــه الكَلِـــمُ
إنْ عُـــدّ أهْـــلُ التّقَـــى كـــانوا أئِمّـــتَهمْ، أوْ قيـــل: «مـــن خيـــرُ أهـــل الأرْض؟» قيـــل: هـــم
لا يَســـتَطيعُ جَـــوَادٌ بَعـــدَ جُـــودِهِمُ، وَلا يُـــدانِيهِمُ قَـــوْمٌ، وَإنْ كَرُمُـــوا
هُـــمُ الغُيُـــوثُ، إذا مـــا أزْمَـــةٌ أزَمَـــتْ، وَالأُسْـــدُ أُسْـــدُ الشّـــرَى، وَالبـــأسُ محتـــدمُ
لا يُـــنقِصُ العُســـرُ بَســـطاً مـــن أكُفّهِـــمُ؛ سِـــيّانِ ذلـــك: إن أثْـــرَوْا وَإنْ عَـــدِمُوا
يُســـتدْفَعُ الشـــرُّ وَالبَلْـــوَى بحُـــبّهِمُ وَيُسْـــتَرَبّ بِـــهِ الإحْسَـــانُ وَالـــنِّعَمُ[2]

بلغت هذه القصيدة الذروة من الجمال وذلك لصدق العاطفة فيها فالشاعر هنا لا يرجو نوالاً ولا يرهب شيئاً بل تحركت عاطفته فجاشت بهذه الأبيات الرائعات من المديح.

1() علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الهاشمي القرشي، أبو الحسن، الملقب بزين العابدين: أحد من كان يضرب بهم المثل في الحلم والورع. مولده ووفاته بالمدينة. توفي سنة 94 الأعلام (4|277)

(2) ديوان الفرزدق ص 511

ثم انظر إلى هذا الجمال في قوله:

يَكـــــادُ يُمْسِـــــكُهُ عِرْفـــــانَ رَاحَتِـــــهِ، رُكْـــــنُ الحَطِـــــيمِ إذا مـــــا جَـــــاءَ يَســـــتَلِمُ
الله شَـــــــرّفَهُ قِـــــــدْماً، وَعَظّمَـــــــهُ، جَـــــرَى بِـــــذاكَ لَـــــهُ فـــــي لَوْحِـــــهِ القَلَـــــمُ

فالركن يتحفز ليلثم راحة الممدوح عرفاناً بها كيف لا وقد جرى القلم بشرفه في اللوح المحفوظ ففي هذا الشعر أثر الإسلام والحضارة, وبالرغم من أن الفرزدق ترسم خطى الأقدمين في الكثير من شعره خاصة في المديح بحيث لاتكاد تخلو قصيدة مدح له من ذكر ناقته وما تلاقيه من أهوال في سبيل الظفر برؤية الممدوح، كما أنه كثير اللهج بذكر النساء في قصائده على عادة الجاهليين ،وهو أيضاً معتد بنفسه وشجاعته يظهر ذلك في تضاعيف بعض قصائده التي يمدح بها غيره ،كما أنه لم يتخلص من القبلية التي لم تندثر تماماً بالرغم من أن الإسلام قد سعى بكل السبل في جعلها إيجابية تصب في اتجاه قيم الإسلام وأطروحاته؛ والنعرة القبلية حتمتها ظروف كثيرة تعود إلى الصراع القديم المتجدد بين القيسية واليمانية فألقت بظلالها على كامل النتاج الأدبي من الشعر وغيره., سعى الفرزدق في تشكيل معانيه المتعلقة بالمديح في الدمج بين الصورة القديمة للقصيدة والمعطيات الجديدة التي دهمت المجتمع العربي فأخرجته من جزيرته البعيدة عن الصراع الحضاري إلى عالم الحضارة الرحب حيث التلاقح بين الثقافات والرؤى الفكرية مما انعكس على المجتمع العربي الجديد في ظهور تلك الفرق التي نبتت في سهوله هنا وهناك تجد أن شعره يعد نتاجاً طبيعياً لتلك النفس المعتدة المفتخرة بحسبها ونسبها القلقة من تضارب المصالح وقد جاء الفرزدق في زمان كانت الغلبة فيه للأمويين, ولذلك كان الشاعر ممزقا بين عاطفته وحاجته فهو كثير التسفار, وقديمكث أياما في الحبس, ولقد ظهرت وطأة العاطفة المشبوبة في قصيدته التي مدح بها علياً زين العابدين وانظر إلى قوله:

وَلَـــيْسَ قَوْلُـــكَ: مَـــن هـــذا؟ بضَـــائرِه، العُـــرْبُ تَعـــرِفُ مـــن أنكَـــرْتَ وَالعَجـــمُ

فكأنه حانق على هذا الذي يسأل وقد نسي هنا خوفه وتريثه فرد بهذا العنف. وفي الجملة فإن المديح عند الفرزدق لوحة كبيرة تظهر في خلفيتها البعيدة النوق والصحراء والقمر الناعس وعلى جنباتها نساؤه يتهادين ,وفي وسطها الصراع النفسي بألوانه الصارخة وشخوصه الكثيرة من الخلفاء والقادة والأمراء وآخرين من دونهم.

الفصل الثاني

جماليات صورة الممدوح في شعر الفرزدق

جماليات صورة الممدوح في شعر الفرزدق

لا يصير الشعر شعراً بمجرد الأوزان والقوافي فهناك الأخيلة والصور والإيحاءات والألفاظ والتراكيب وبقدر الابتكار في هذه الفنون وحسن الاقتدار على الإتيان بها يتفاوت الشعراء فمنهم من يبرز في جانب دون آخر بحسب هذه الملكة ومنهم من يوازن بينها جميعاً.

الألفاظ والتراكيب:

حتى يكون العمل الأدبي مستوفياً لشروطه كاشفاً عن معناه مؤديا لرسالته لابد فيه من مراعاة لفظه أولاً ثم طريقة تركيب الألفاظ حتى ينتج العمل الأدبي المتكامل ومن شروط كون اللفظ فصيحاً "أن تكون اللفظة مما يتعارفه الناس في استعمالهم، ويتداولُونه في زمانهم، ولا يكون وَحْشِياً غريباً، أو عامّياً سخيفاً، سُخْفُهُ بإزالته عن موضوع اللغة، وإخراجه عما فرضتْه من الحكم والصفة، كقول العامة أشْغَلتَ وانفسد، وإنما شرطتُ هذا الشرط، فإنه ربما استُسخف اللفظ بأمر يرجعُ إلى المعنى دون مجرَّد اللفظ، كما يحكى من قول عبيد الله بن زياد لما دُهش: افتحوا لي سيفي، وذلك أن الفتح خلاف الإغلاق، فحقُّه أن يتناول شيئاً هو في حكم المُغلقَ والمسدود، وليس السَّيف بمسدود، وأقصى أحوالِهِ أن يكون كونُه في الغِمْد بمنزلة كَوْنِ الثوب في العِكْمِ، والدرهم في الكيس، والمتاعِ في الصندوق(1).

أما التركيب: فمن قولهم ركّب "ورَكّب الشيء: وضع بعضه على بعض، وقد تَركّب، وتراكب"[1]. والتركيب هو الذي يَعبُر بالألفاظ إلى المعاني ومن ثم تتفاوت التراكيب في جمالها وقوتها ورونقها وبهائها.

ألفاظ الفرزدق:

اعتنى الفرزدق في شعره بجمال اللفظ وقوة التركيب, وكيف تخطئ المتانةُ ألفاظ الفرزدق وهو الناشيء في مرحلة مفصلية من حياة الأمة الإسلامية؛ حياة العزة والاعتداد بالثقافة العربية ،والثقة بالنفس إلى حد الإسراف، انظر إليه كيف يتيه بشعره حيث يقول واصفاً قصائده:

قصـــائد لـــم يقـــدر زهيـــر ولا ابنـــه ... عليهـــا ولا مـــن حولـــوه المخـــبلا
ولـم يسـتطع نسـج امـريء القـيس مثلهـا ... وأعيـــت مراقيهـــا لبيـــدا وجـــرولا
ونـــابغتي قـــيس بـــن غـــيلان والـــذي ... أراه المنايـــا بعـــد مـــا كـــان قـــولا[2]

وكل هذا لم يأت من فراغ فبيئة البصرة التي عاش فيها الفرزدق كانت البوتقة التي انصهرت فيها مجموعة من ثقافات الشرق والغرب التي حولتها مجيء الإسلام إلى المعتد باللغة العربية التي أعزها نزول القرآن بألفاظها وتراكيبها، أضف إلى ذلك المعرفة العميقة بأيام العرب ومآثرهم التي توفرت للفرزدق في بيئته. كل هذه الأمور الآنفة ميزت شعر الفرزدق وألفاظه بسعة المعجم ومتانة المفردات القادمة من أشعار الجاهليين التي غطت عليها

1() المرسي, أبو الحسن ابن سيده, المحكم والمحيط الأعظم, تحقيق عبدالحميد هنداوي, دارالكتب العلمية,بيروت,ط1, 2000م ، (172|3)

2 - ديوان الفرزدق ص478-479

الألفاظ الإسلامية فأحياها من أقبيتها وكهوفها ,إن حب الفرزدق للفخامة والجزالة ناتج من رغبته في الظهور على الأقران من الشعراء الذين أحاطوا به من كل جهة يغضون من شعره وقبيلته ومن ناحية أخرى حاجته إلى أن يفوق الآخرين في مدح الخلفاء والولاة والقواد رجاء نوالهم فهم يرجون ما يرجو ويؤملون ما يستجدي, وفي الجملة "فأسلوبه جزل قوي شديد التلاحم غني الصور ثرّ الألفاظ وثيق الاتصال بنفسه المتعالية المزهوة وبالمعاني التي طرقها من المفاخر والمحامد."[1]

ومما يشار إليه أيضاً أن الفرزدق وهو من قبيلة تميم التي تتميز ببعض المفردات من حيث النطق والتعبير عن لغة قريش التي هي لغة التنزيل وقد التزم بها الشعراء ومنهم الفرزدق إلا أنه أحياناً يأتي ببعض الكلمات من لغته التميمية عرضاً في قصائده ومن ذلك قوله:

وَلَـــو أَنَّنـــي أَســـطيعُ سَـــعياً سَـــعَيتُهُ إِلَيـــكَ وَأَعنـــاقِ الهَـــدِيِّ المُقَلَّـــدِ[2]

فالقرشيون يخففون الهدي كالسعي وتميم تشددها كما في البيت، وقال أيضاً في مطلع قصيدة يمدح فيها هشام بن عبد الملك:

ألســـتم عـــائجين بنـــا لغنـــا نـــرى العرصـــات أو أثـــر الخيـــام[3]

استخدم كلمة لغن بدلاً من لعل على لغة تميم.[4]

ثم إن الفرزدق كذلك تأثر ببيئة البصرة التي ضمت الكثير من الفرس وقد بقي شيء من لسانهم في عربيتهم التي يتحدثون بها ثم تأثر كل من خالطهم بما بقي من لغتهم في العربية ولم يكن الفرزدق بالذي يهمل ذلك فقد قال ضمن قصيدة يمدح بها هشام بن عبد الملك:

عَلَـــيهِنَّ راحـــولاتُ كُـــلِّ قَطيفَـــةٍ مِـــنَ الخَـــزِّ أَو مِـــن قَيصَـــرانِ عِلامُهـــا[5]

و"قيصران ضرب من الثياب الموشية"[6] منسوبة إلى بلاد قيصر والبصريون ينسبون بالألف والنون بدل الياء وهو أثر فارسي ولوثة أعجمية انحدرت إليهم من بلاد فارس.

1() الفرزدق، شاكر الفحام ،ص 488

2 - ديوان الفرزدق ص129

3 - السابق ص597

4 - عبد الباقي, ضاحي, لغة تميم دراسة تاريخية وصفية, القاهرة, الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميرية, 1405هـ

5 - ديوان الفرزدق ص 554

6()الأزهري, تهذيب اللغة, (5|8)

تتميز ألفاظ الفرزدق في الجملة "بالغرابة وضخامة الجرس وكثرة الألفاظ المهموزة والمشددة والألفاظ التي يصعب النطق بها"[1] وهذا في كل شعره وسنحاول استخرج الألفاظ التي فيها هذه السمات من قصائد المدح ما أمكن ومنها:

1. **يشآك**

يشآك أي يسبقك.[2]

قال الفرزدق في مدح عباد بن علقمة:

أنـــتَ الفِـــداءُ لِخَيـــرٍ مِنـــكَ مَـــأثُرَةً ... عِنـــدَ التَنـــائي وَخَيـــرٍ مِنـــكَ فـــي النـــادي
المـــازِنِيُّ الَّـــذي يَشـــآكَ أَوَّلُـــهُ ... إِذا جَـــرَيتُم بِآبـــاءٍ وَأَجـــدادِ[3]

2. **قماقم**

"ويقال سيد قماقم بالضم، لكثرة خيره ,والقمقام بالفتح: البحر, ويقال: وقع في قمقام من الأمر. والقمقام: السيد. والقمقام: العدد الكثير."[4]

قال الفرزدق يمدح الجنيد بن عبد الله المري:

وَمَـــا غَضِـــبَتْ لله أيْـــدِي قَبِيلَـــةٍ ... عَلـــى مُشْـــرِكٍ إلاّ الجُنَيْـــدُ حُسَـــامُهَا
وَلا ذُكِـــرَتْ عَنْـــدَ المُلُـــوكِ قَمـــاقِمٌ ... بِفَضْـــلِ نَـــدىً إلاّ الجُنَيْـــدُ هُمامُهَـــا
قَبِيلَتُـــهُ مُرِّيّـــةٌ غَالِبِيّـــةٌ، ... لهـــا وَعَلَيْهَـــا حَلُّهَـــا وَحَرامُهَـــا[5]

3. **الخذارف**

" وخذرف السيف : حدده ، قال ابن مقبل يصف بقرة :

تـــذري الخزامـــى بـــأظلاف مخذرفـــة ... وقـــوعهن إذا وقعـــن تحليـــل

1() حلمي محمد عبد الهادي, اللغة في شعرالفرزدق، مكتبة الرائد ،عمان الأردن، الطبعة الأولى 2002 ص67
2 - ديوان الفرزدق ص 153
3 - السابق ص 153
4() الجوهري, تاج اللغة وصحاح العربية, دارالعلم للملايين,بيروت,ط4, 1990م (6|293)
5 - ديوان الفرزدق ص 581

وخذرف فلانا بالسيف :

إذا قطع أطرافه "[1] قال الفرزدق يمدح ابن أحوز:[2]

أَلَـــمْ يَـــأتِ بالشّـــأمِ الخَليفَـــةَ أنّنَـــا ضَـــربْنا لَـــهُ مَـــنْ كـــانَ عَنْـــهُ يُخـــالِفُ
صَـــناديدَ أهْـــدَيْنا إلَيْـــه رُؤوسَـــهُمْ، وَقـــد باشَـــرتْ منهـــا الســـيوفُ الخـــذارِفُ
وَعِنْـــدَ أبـــي بِشْـــرِ بـــن أحْـــوَزَ مِـــنْهُمُ عَلـــى جِيَـــفِ القَتْلـــى نُسُـــورٌ عَوَاكِـــفُ

4. غَبْيَة

" المطرة غير الكثيرة أو الدفعة الشديدة والصب الكثير من الماء والسياط و من التراب "[3]

قال في هلال بن أحوز:

جَعَلنـــا بِقِنـــدابيلَ بَـــينَ رُؤوسِـــهِم وَأجســـادِهِم شَـــهباءَ ذاتَ خُـــروقِ
بِكُـــلِّ مُضـــيءٍ كَـــالهِلالِ وَفَخمَـــةٍ لَهـــا غَبيَـــةٌ مِـــن عـــارِضٍ وَبُـــروقِ
وَشَـــهباءَ قادَتهـــا صَـــناديدُ فِتيَـــةٌ نَطَحنـــا فَأَمسَـــت غَيـــرَ ذاتِ فُتـــوقِ[4]

5. الحُتُّ

" وفَرَسٌ حَتٌّ : كَرِيمٌ عَتِيْقٌ . وهو السَّرِيْعُ أيضاً"[5]

وقال يمدح مسلمة بن عبدالملك:[6]

خَلّـــوا يَزيـــدَ فَتـــى الأَزدَيـــنِ مُنجَـــدِلاً بِـــالعَقرِ مِـــنهُم وَمِـــن ســـاداتِهِم عُصَـــبُ
حـــامى عَلَيـــهِ شِـــنانٌ فـــي كَتيبَتِـــهِ وَأَســـلَمَتهُ هُنـــاكَ الحُـــتُّ وَالنَـــدَبُ
فَمـــا الشَـــجاعَةُ إِلّا دونَ نَجدَتِـــهِ وَلا المَواهِـــبُ إِلّا دونَ مـــا يَهَـــبُ

6. عصبصب

" ويوم عَصِيبٌ وعَصَبْصَبٌ: شديد."[7]

قال يمدح مالك بن المنذر:

إذا مالـــك ألقـــى العمامـــة فاحـــذروا بـــوادر كفـــي مالـــك حـــين يغضـــب
فإنهمـــا إن يظلمـــاك ففيهمـــا نكـــال لعريـــان العـــذاب عصبصـــب[8]

1() تاج العروس من جواهر القاموس (23|183)
2- ديوان الفرزدق ص381
3()الفيروز آبادي, القاموس المحيط, مؤسسة الرسالة مكتب تحقيق التراث,ط8 1426ص 1697
4 - ديوان الفرزدق ص397
5()أبوالقاسم,إسماعيل بن عباد بن العباس, المحيط في اللغة,تحقيق محمد حسن آل ياسين, عالم الكتب,بيروت,ط1, 1994 (2|307)
6 - ديوان الفرزدق ص85
7() المحكم والمحيط الأعظم (1|161)
8 - ديوان الفرزدق ص31

7. الدمعى

" رجل دميع من قوم دمعاء ودمعى"[1] **انسكاب الدموع.**

قال الفرزدق يمدح مالك بن المنذربن الجارود: [2]

رَأيـــتُ أَبـــا غَسّـــانَ عَلّـــقَ سَـــيفَهُ عَلـــى كاهِـــلِ شَـــغبٍ عَلـــى مَـــن يُشـــاغِبُه
تَـــرى النـــاسَ كَالـــدَمعى لَـــهُ وَقُلـــوبُهُم تَنَـــدّى وَمـــا فـــيهِم عَريـــبٌ يُخاطِبُـــه

8. مزؤودة

" الزاء والهمزة والدال كلمة واحدة، تدلُّ على الفزع. يقال زُئِد الرّجُل، إذا فَزِع، زُؤداً "[3]

وقال أيضا في مدح مالك بن المنذر: [4]

وَقَـــد عَلِـــمَ المِصـــرُ الّـــذي كـــانَ ضـــائِعاً اباعِـــــــدُهُ مَـــــــزؤودَةٌ وَأَقارِبُـــــــه
بِأَنَّـــكَ سَـــيفُ اللهِ فـــي الأَرضِ سَـــلَّهُ إِذا المَـــوتُ راقَـــت بِالسُـــيوفِ كَتائِبُـــه

9. هجول

" الهَجول : الأراضي الواسعة "[5]

قال الفرزدق:

إِنّـــي حَلَفـــتُ بِصـــارِعٍ لِإِبـــنٍ لَـــهُ إِســـحاقَ فَـــوقَ جَبينِـــهِ المَتلـــولِ
وَلَقَـــد حَلَفـــتُ بِمُقبِلـــينَ إِلـــى مِنـــىً جـــاؤوا عَصـــائِبَ فَـــوقَ كُـــلِّ سَـــبيلِ
شُـــعثِ الـــرُؤوسِ مُلَبَّـــدينَ رَمَـــت بِهِـــم أَنقـــاءُ كُـــلِّ تَنوفَـــةٍ وَهُجـــولِ[6]

10.يضغم

" الضِّغْم العَضُّ"

قال الفرزدق:

أَمالِـــكُ إِن أَخـــرُج بِكَفَّيـــكَ صـــالِحاً تَكُـــن مِثـــلُ ذي نُعمـــى لِمَـــن كـــانَ يُـــنعِمُ
فَلَـــو أَنَّ ضَـــيفَ البـــارِقَينِ وَلَعلَـــع مَكانِـــكَ مِنّـــي نـــازِلٌ حـــينَ يَضـــغَمُ
كَـــأَنَّ شِـــهابَي قـــابِسٍ تَحـــتَ جَبهَـــةٍ لَـــهُ مِـــن صِـــلابِ الـــرَعنِ بَـــل هُـــوَ أَجهَـــمُ

11.ثمائل

" الثُّميلة: ما بقي في الكرش من الفرْث. وكل بقيّة ثميلة، والجمع ثَمائل"[7]

1() تاج العروس من جواهر القاموس (20|567)
2 - ديوان الفرزدق ص66
3() زكريا,أبوالحسين بن فارس,معجم مقاييس اللغة تحقيق عبدالسلام هارون,دارالفكر,1399م (3|43)
4 - ديوان الفرزدق ص66
5 - السابق ص 463
6 - السابق ص364
7() الأزدي,محمد بن الحسين بن دريد, جمهرة اللغة, تحقيق رمزي منيربعلبكي,دارالعلم للملايين,بيروت, ط1 ,1987,ج1ص208

قال الفرزدق يمدح أسد القسري:

كَـــم لِلمُـــلاءَةِ مِـــن طَيـــفٍ يُـــؤَرِّقُني ... وَقَـــد تَجَـــرثَمَ هـــادي اللَيـــلِ وَاِعتَكَـــرا
وَقَـــد أُكَلِّـــفُ هَمّـــي كُـــلَّ ناجِيَـــةٍ ... قَـــد غـــادَرَ الـــنَصُّ فـــي أَبصـــارِها سَـــدَرا
كَأَنَّهـــا بَعـــدَما اِنضَـــمَّت ثَمائِلُهـــا ... بِـــرَأسِ بَينَـــةَ فَـــردٌ أَخطَـــأَ البَقَـــرا[1]

12.الشراسيف

" قال ابن الأعرابي: الشُّرْسُوْفُ رأس الضلع مما يلي البطن.والشرسوف البعيرالمقيد,والبعيرالذي عُرقبت إحدى رجليه,وقال ابن فارس: الشراسيف أوائل الشدة(2)

قال الفرزدق:

شَـــفَيتَ مِـــنَ الـــداءِ العِـــراقَ فَلَـــم تَـــدَع ... بِـــهِ رَيبَـــةً بَعـــدَ اِصـــطِفاقِ الـــزَلازِلِ
وَكـــانو كَـــذي داءٍ أَصـــابَ شِـــفاءهُ ... طَبيـــبٌ بِـــهِ تَحـــتَ الشَراســـيفِ داخِـــلِ
كَـــوى الـــداءَ بِـــالمُكواةِ حَتّـــى جَـــلا بِهـــا ... عَـــنِ القَلـــبِ عَينَـــي كُـــلِّ جِـــنٍّ وَخابِـــلِ

13.ملقلق

"لَقْلَقَ الشيءَ حركه ورجل مُلَقْلَق حادّ لا يَقِرُّ في مكان واللَّقلاق واللَّقلَقة شدة الصوت في حركة واضطراب"[2]قال الفرزدق:

إِذا مـــا بَـــدا الحَجّـــاجُ لِلنـــاسِ أَطرَقـــوا ... وَأَســـكَتَ مِـــنهُم كُـــلَّ مَـــن كـــانَ يَنطِـــقُ
فَمـــا هُـــوَ إِلّا بائِـــلٌ مِـــن مَخافَـــةٍ ... وَآخَـــرَ مِـــنهُم ظَـــلَّ بِـــالريقِ يَشـــرَقُ
وَطـــارَت قُلـــوبُ النـــاسِ شَـــرقاً وَمَغرِبـــاً. ... فَمـــا النـــاسُ إِلّا مُهجِـــسٌ أَو مُلَقلِـــقُ[3]

14.بذاخ

"بَذَخ يَبْذَخ، ويَبْذُخ، بَذْخا، وبُذُوخا: تَطاول وفَخَر وعلا."[4]

قال الفرزدق:

فَـــدونَكَ هَـــذي يـــا زِيـــادُ فَإِنَّهـــا ... هِـــيَ المَـــدحُ وَالشِـــعرُ الَّـــذي هُـــوَ أَشـــعَرُ
أَنـــا اِبـــنُ تَمـــيمٍ وَالَّـــذي لِـــيَ عِزُّهـــا ... عَلـــى النـــاسِ بَـــذّاخٌ مِـــنَ العِـــزِّ مُدسَـــرُ
وَمَـــن يَلقَنـــا مِـــن شـــانِئٍ يَلقَـــهُ لَنـــا ... عَلـــى النـــاسِ مَعـــروفٌ كَثيـــرٌ وَمُنكَـــرُ[5]

---

1 - ديوان الفرزدق ص196

2()الصاغاني, العباب الزاخر واللباب الفاخر, تحقيق محمد حسن آل ياسين, دار الرشيد للنشر, منشورات وزارة الثقافة والإعلام ,الجمهورية العراقية, 1981م ص 308

3) الإفريقي,ابن منظور, لسان العرب,دارصادر,بيروت,ط3, 1414هـ ج10ص331

3 - ديوان الفرزدق ص410

4- ابن سيده, المحكم والمحيط الأعظم, ج2/ ص326

5 - ديوان الفرزدق ص264

15.مَجْر

" المجر بالتسكين: الجيش الكثير."[1]

قال الفرزدق: الوافر

وَتَلْقَـــى ابـــنَ الوَلِيـــدِ، وَإِنْ أَنِيخَـــتْ ... إِلـــى مُغْلَوْلِـــبٍ، بِنَـــداهُ غَمْـــرِ
تَكُـــنْ مِثْـــلَ التـــي مُطِـــرَتْ وَكانَـــتْ ... بِـــأَعْوَامٍ، قَـــوائِظُهُنّ، غُبْـــرِ
وُجِـــدْتُمْ يـــا بَنـــي زَيْـــدٍ نُجُومـــاً ... يَنُـــؤْنَ مِـــنَ السّـــمَاءِ بِكُـــلّ قَطْـــرِ
بِهِـــنّ المُـــدْلِجُونَ بَـــدَوْا وَسَـــارُوا ... وَإِيّـــاهُنّ يَتْبَـــعُ كُـــلُّ مَجْـــرِ[2]

16.القرا

"(القرا) الظهر ووسطه ومن الأكمة ظهرها"[3]

قال الفرزدق: الطويل

لَقَـــد ضـــاقَ ذَرعـــي بِالحَيـــاةِ وَقَطّعَـــت ... حَوامِلُـــــهُ عَـــــضَّ الحَديـــــدِ الأَوازِمِ
رَأَيـــتُ بَنـــي مَـــروانَ إِذ شَـــمَّرَت بِهِـــم ... مِـــنَ الحَـــربِ حَـــدباءُ القَـــرا غَيـــرُ رائِـــمِ
لَهُـــم حَجَـــرٌ لِلـــدينِ يَرمـــونَ مَـــن رَمَـــوا ... بـــهِ دَمَغَـــت أَيـــديهِمُ كُـــلَّ ظـــالِمِ[4]

17.القشاعم

القشعم: المسن من الرجال والنسور والضخم والأسد.[5]

قال الفرزدق:

بِـــهِ عَمَـــدُ الـــدينِ اِســـتَقَلّت وَأَثبَتَـــت ... عَلـــى كُـــلِّ ذي طَـــودَينِ لِلـــدينِ قـــائِمِ
وَسُـــلَّت سُـــيوفُ الحَـــربِ وَاِنشَـــقَّتِ العَصـــا ... وَهَـــزَّ القَنـــا وُردُ الأُســـودِ القَشـــاعِمِ
وَقَـــد جَعَلَـــت لِلـــدينِ فـــي المَـــرجِ بِالقَنـــا ... لِمَـــروانَ أَيّـــامٌ عِظـــامُ المَلاحِـــمِ[6]

تراكيب الفرزدق:

تلك النفس التي يحملها الفرزدق بين جنبيه النفس؛ التي تضطرب بين مجد تليد آفل ،وحاضر بئيس يتوزع بين الفرار والسجون، وثقافة عميقة، ومعرفة كبيرة بالعلوم الشرعية والقرآن، ووجه من قبحه لقب صاحبه بالفرزدق وهو الرغيف المنتفخ، كل هذا الاضطراب لابد وأن يظهر في شعر الفرزدق الذي هو مرآة نفسه الصقيلة التي

1() الصحاح للجوهري (3|375)
2 - ديوانت الفرزدق ص293
3() المعجم الوسيط, إبراهيم مصطفى ,أحمدالزيات ,....,دارالدعوة,تحقيق مجمع اللغة العربية (2|732)
4 - ديوان الفرزدق ص606
5() القاموس المحيط (1|1484)
6 - ديوان الفرزدق ص 606

ترى فيها أهواؤه وميوله ومخاوفه وآماله، ثم إن التراكيب التي تتراص في قصائده تحمل شيئا من ذلكم الركام ،فهناك التراكيب المتمردة على اللغة ،وهناك التراكيب التي تستهوي النحاة فيضعون قصائد الفرزدق على منضدة التشريح ويعملون فيها مباضعهم يشرحون لحمها ويجسون نبضها. ولسعة اطلاع الفرزدق وكثرة تصاريفه في اللغة كان يعتد بذلك ويفخر بمقدرته الفذة "وفي أبي عمرو بن العلاء يقول الفرزدق

مـــا زلـــت افـــتح أبوابـــا واغلقهـــا حتـــى أتيـــت أبـــا عمـــرو بـــن عمـــار

فاذا كان الفرزدق وهو راوية الناس وشاعرهم وصاحب أخبارهم يقول فيه مثل هذا القول فهو الذي لا يشك في خطابته وبلاغته، وقال يونس لولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس"[1]

"هيأت للفرزدق المعرفة بأدق أسرار العربية، وتمكنه من أساليبها وثراؤه اللفظي لا ينضب معينه ، أن يقوى على فنون من التعبير، وضروب من نظم الكلام وتأليفه، بهرت اللغويين والنحاة، وأصحاب المعاني، والبلاغيين، وجذبتهم إليه. فطارت له شهرة واسعة في مجالسهم وحظيت أشعاره بعنايتهم في حلقهم، وأفردوا لها الصحائف الطوال في كتبهم،يستمدون منها الشواهد والحجج، ويجدون فيها الدليل المسعف. حتى أصبح الفرزدق لا يذكر دون أن يستحضر الذهن صورته اللغوية النحوية التي أقامها له اللغويون والنحاة، وأفاضوا في إبرازها وتجليتها"[2].

لقد وردت الكثير من التراكيب الرائعة التي تملأ الفم في شعر الفرزدق كقوله: (مطرخمي الطراخم) و (الطرمساء تطخطخت) و (المستصعبات الشداقم) ولكن سنقتصر على ما ورد منها في قصائد المديح:

1. **الطويل العشنق:**

قال الفرزدق:

لا فَضـــــلَ إلّا فَضـــــلُ أَمٍّ عَلـــــى اِبنِهـــــا كَفَضـــلِ أَبـــي الأَشـــبالِ عِنـــدَ الفَـــرَزدَقِ
تَـــدارَكَني مِـــن هُـــوَّةٍ كـــانَ قَعرُهـــا ثَمـــانينَ باعـــاً لِلطَويـــلِ العَشَـــنَّقِ[3]
إذا مـــا تَرامَـــت بِـــاِمرِئٍ مُشـــرِفاتُها إِلـــى قَعرِهـــا لَـــم يَـــدرِ مِـــن أَيـــنَ يَرتَقـــي[4]

2. **المكسد المغبون:**

قال الفرزدق:

1()الجاحظ, أبو عمرو, البيان والتبيين ,تحقيق, عبدالسلام هارون ,مكتبة الخانجي ,القاهرة ط5, 1405 (1|170)

2() الفرزدق للفحام ص 436

(3) العشنق: المفرط في الطول.

4 - ديوان الفرزدق ص 409

وَبَيَّنـــتَ أَن لا حَـــقَّ فيهـــا لِخـــاذِلٍ تَـــرَبَّصَ فـــي شَـــكٍّ وَأَشـــفَقَ مِـــن مَثـــلِ
وَلا لِإمـــرِئٍ آتـــى المُضِـــلّينَ بَيعَـــةً رَأى الحَـــربَ أَبـــدَت عَـــن نَواجِـــذِها العُصـــلِ
وَمَـــدَّ يَـــداً مِنـــهُ لِبَيعَـــةِ خاسِـــرٍ وَمـــا المُكسِـــدُ المَغبـــونُ[1] كَـــالرابِحِ المُغلـــي[2]

3. نكال لعريان العذاب عصبصب:

قال الفرزدق:

إذا مالـــك ألقـــى العمامـــة فاحـــذروا بـــوادر كفـــي مالـــك حـــين يغضـــب
فإنهمـــا إن يظلمـــاك ففيهمـــا نكـــال لعريـــان العـــذاب عصبصـــب[3]

4. قرم يباري شماطيط الرياح:

قال الفرزدق:

حَتّـــى تُنـــاخَ إِلـــى جَـــزلٍ مَواهِبُـــهُ مـــا زالَ مِـــن راحَتَيـــهِ الخَيـــرُ مُبتَـــدَرا
قَـــرمٌ يُبـــاري شَـــماطيطُ الرِيـــاحِ بِـــهِ حَتّـــى تَقَطَّـــعَ أَنفاســـاً وَمـــا فَتَـــرا
وَمـــا بِجـــودِ أَبـــي الأَشـــبالِ مِـــن شَـــبَهٍ إِلّا السَـــحابُ وَإِلّا البَحـــرُ إِذ زَخَـــرا[4]

5. حتى نميل بعارض مثعنجر:

وَالنـــاسُ يَعلَـــمُ أَنَّنـــا أَربـــابُهُم يَـــومَ اِلتَقـــى حُجّـــاجُهُم بَالمَشـــعَرِ
وَتَـــرى لَهُـــم بِمِنـــىً بُيـــوتَ أَعِـــزَّةٍ رَفَعَـــت جَوانِبَهـــا صُـــقوبَ العَرعَـــرِ
يَقِفـــونَ يَنتَظِـــرونَ خَلـــفَ ظُهورِنـــا حَتّـــى نَميـــلَ بِعـــارِضٍ مُثعَنجِـــرِ[5]

وغير هذه التراكيب البارعة كثير في أثناء ديوان الفرزدق تدل على قوة عارضته وجوسه خلال اللغة حتى ينتقي تراكيبها الغريبة التي يعتقد أنها تفي بمعانيه التي تمور في نفسه حتى يخرجها كالجنادل يرمي بها في وجوه ممدوحيه الذين يؤثرون هذا الضرب من القول لقربهم من جاهلية عميقة الجذور, وألفاظ وحشية ما زال صداها يتردد في الأودية والقفار يلامس الأذان لكثرة القادم من الدهناء مستمنحاً وصائداً لجوائز الخلفاء والولاة والقادة.

وهناك أمر آخر يواجه الشعراء وهو صعوبة استدعاء التراكيب المناسبة عند الحاجة إليها فيلجأ الشعراء إلى التعقيد "ولكن الغريب في أمر الفرزدق أنه أكثر من التقديم والفصل بين الكلم إكثاراً لا نجده لشاعر آخر ، حتى

---

(1) المكسد: الذي لم تنفق تجارته. والمغبون: من خسر في بيعه وضعهما في مقابل الرابح المغلي.

2 - ديوان الفرزدق ص 483

3 - السابق ص31

4 - السابق ص196

(5) المثعنجر: السيل الكثير. / ديوان الفرزدق ص292

غدا ظاهرة لفتت إليه الأنظار ، وتعقبتها أقلام النحاة والنقاد, كان يهجم على المعنى فإذا استقام له لم يبال بصيغة ألفاظه ، اقتداراً منه على الشعر ، واعتداداً بنفسه"[1]

قال الفرزدق في قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك:

رَأونـــــي فَنـــــادَوني أســـــوقُ مَطِيَّتـــــي بِأصـــــواتِ هُـــــلّاكٍ سِـــــغابٍ حَرائِـــــرُه

انظر إلى روعة التقديم والتأخير وكيف سكبت رونقاً على البيت وبهاء على السياق فالترتيب كان كالآتي: رأوني أسوق مطيتي فنادوني.

وقال يمدح هشام بن عبد الملك:

وَســـــارٍ قَتَلـــــتَ الجـــــوعَ عَنـــــهُ بِضَـــــربَةٍ أتانـــــا طُروقـــــاً بِالحُســـــامِ المُهَنَّـــــدِ

أصل الكلام: (وسار أتانا طروقاً) ففصلها بقوله: قتلت الجوع عنه بضربة. فهل يريد الشاعر الإشارة إلى سرعة القرى أم اقتداره على التصرف في القول أم أن كلا الأمرين وارد وحقيق؟

وقال يمدح هشاماً أيضاً:

دَعَـــوتُ أمـــينَ اللهِ فـــي الأرضِ دَعـــوَةً لِيَفـــرِجَ عَـــن ســـاقَيَّ خَيـــرَ الخَلائِـــفِ

أصل ترتيب الكلام: دعوت أمين الله في الأرض خير الخلائف. ففصل بقوله: دعوة ليفرج عن ساقي. فالشاعر يريد بيان حزنه من الأسر والضيق الذي أصابه حتى قدم وأخر في الكلام.

وقال يمدح الوليد بن يزيد:

لا تَطلُبـــي بـــي غَيـــرَهُ مِمَّـــن مَشـــى إن أنـــتِ نـــاقُ لَقيتِـــهِ بِـــالقَرقَرِ

والأصل: ممن مشى بالقرقر.

وقال في مدح معاوية بن هشام:

أخلِـــص دُعـــاءَكَ تَـــنجُ مِمّـــا تَتَّقـــي لِلَّهِ يَـــومَ لِقائِـــهِ بِسَـــلامِ

والأصل: أخلص دعاءك لله.

وقال يمدح هشاماً:

وَيَمنَـــعُ جـــاراً إن أنـــاخَ فِنـــاءَهُ لَـــهُ مُســـتَقىً عِنـــدَ اِبـــنِ مَـــروانَ غـــارِفِ

1() الفرزدق ، الفحام ، ص 445

والأصل: له مستقى غارف.

يلاحظ في الأمثلة السابقة جودة الفصل وجماله, لكن الشاعرأحيانا يسلمه الفصل إلى نوع من التعقيد والغموض ومثال ذلك قوله يمدح أبان بن الوليد البجلي:

وَكُنتُم لِهَذا النَاسِ حينَ أَتاهُمُ رَسولُ هُدى الآياتِ ذَلَّت رِقابُها
لَكُم أَنَّها في الجاهِلِيَّةِ دَوَّخَت لَكُم مِن ذُراها كُلَّ قَرمٍ صِعابُها

و البيت الثاني يضج بالتعقيد والغموض والسبب التقديم والتأخير المخل.

قال صاحب الأغاني في تعقيد الفرزدق : "وكان يداخل الكلام وكان ذلك يعجب أصحاب النحو من ذلك قوله يمدح هشام بن إسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك:

وأصبَح ما في الناس إلا مُمَلّكاً أبو أمه حَيٌّ أَبوه يُقاربه"[1]

ومن ذلك قوله في الوليد بن عبد الملك يمدحه:

إلى مَلِكٍ ما أُمُّهُ مِن مُحارِبٍ أبوها وَلا كانَت كُلَيبٌ تُصاهِرُه

ومن ذلك قوله في قصيدة يمدح بها الحجاج:

هُوَ السَيفُ الّذي نَصَرَ اِبنَ أَروى بِهِ مَروانُ عُثمانَ المُصابا

ومما أثر عن الفرزدق عدم تقيده بالقواعد النجوية مع كونه عربيا سليقة فقد حير النحاة في الكثير من المواضع ولما كنا مقتصرين على الاستشهاد بقصائد المديح فسنكتفي بمثال واحد وإلا فالأمثلة كثيرة وغالبها في غير قصائد المديح، قال الفرزدق:

فَأَصبَحوا قَد أَعادَ اللهُ نِعمَتَهُم إِذ هُم قُرَيشٌ وَإِذ ما مِثلَهُم بَشَرُ

"فقد حار النحويون في تعليل نصب مثلهم ، وذهبوا مذاهب شتى تمثل ما كانوا يلقون من عنت في تفسير شذوذ الشاعر، وخروجه على القاعدة."[2]. ومن التراكيب أيضا: الاستفهام بغرض النفي كقول الفرزدق:

ألم تذكروا يا آل مروانَ نعمة لمروانَ عندي مثلها يحقن الدما وكذلك النهي كقوله :

وما بات جارٌ عند مروانَ خائفا ولو كان ممن يتقي كان أظلما[3]

1() الأصفهاني, أبو الفرج, الأغاني, (10|310)

2() الفرزدق، الفحام، ص 457

3 - ديوان الفرزدق ص520

المجاز والتمثيل والاستعارة والكناية

أولاً: المجاز

"المجاز لغة : مشتق من جاز الشيء يجوزه ، إذا تعداه - سموا به اللفظ الذي نقل من معناه الأصلي ، واستعمل ليدل على معنى غيره. واصطلاحاً: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقةٍ, مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي،والعلاقة : هي المناسبة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، وقد تكون (المشابهة) بين المعنيين وقد تكون غيرها. فاذا كانت العلاقة (المشابهة) فالمجاز (استعارة)، وإلافهو (مجاز مرسل) والقرينة : هي المانعة من إرادة المعنى الحقيقي ، قد تكون لفظية ، وقد تكون حالية."[1]

والمجاز من الأساليب العربية التي استعملها العرب من أجل التوسع البلاغي في المعاني وتأدية المطلوب بطرق مختلفة تعطي المعاني رونقاً وبهاء, وسنحاول في الصفحات القادمة تجلية كيف استفاد الفرزدق من تقنية المجاز في إيصال ما يريد من معاني المديح ؛خاصة وهو الرجل الضليع المتفنن في اللغة. قال في مدح عبد الله ابن عبد الأعلى:

جـــــزى الله عبـــــد الله لمـــــا تلبســـــت أمـــوري وجاشـــت أنفـــس مـــن ثوائهـــا[2]

قوله تلبست أموري أي التبس علي أمرها واضطرب فنسب التلبس إليها على جهة المجاز إذ أن التباس الأمور بتقدير الله ولكن نسبته إليها فيه تنزيه المولى عن نسبة الشر إليه وهذا معنى عميق جميل

وقال أيضاً:

ففـــك مـــن الأغـــلال بكـــر بـــن وائـــل وأعطـــى يـــداً عـــنهم لهـــم مـــن غلائهـــا[3]

وقال:

ولـــولا يـــدا بشـــر بـــن مـــروان لـــم أبـــل تكثـــــر غـــــيظ فـــــي فـــــؤاد المهلـــــب[4]

1() الهاشمي,أحمد, جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ،ضبط وتوثيق يوسف الصميلي, المكتبة العصرية،بيروت ,1999, ص 249- 251

2() ديوان الفرزدق ص 12

3() السابق ص 13

4 - السابق ص18

واليد هنا النعمة والإحسان والنصرة على جهة المجاز الذي علاقته الآلية لأن اليد آلة العطاء وقد أكثرت العرب من إطلاق اليد على الإحسان والعطاء.

وقال:

عَفَــتْ بَعــدَ أسْــرَابِ الخَلــيطِ وَقــد تــرَى بِهـــا بَقَـــراً حُـــوراً حِســـانَ المَـــدامِعِ) [1]

المدامع مجاز من العيون لأنها محل الدمع علاقته المحلية.

قوله: (وَيَطْرُقْنَ بالأهْوَالِ عندَ المَضَاجعِ) في كلمة المضاجع مجاز من النوم علاقته المحلية.

وقال الفرزدق أيضاً:

أهـــاجَ لَـــكَ الشّـــوْقَ القَـــدِيمَ خَيالُـــهُ مَنَـــازِلُ بَـــيْنَ المُنْتَضَـــى وَمُنِـــيمِ
علـــى أنّنـــي مِـــنْ ذِكْرِهَـــا كُـــلَّ لَيلَـــةٍ كَـــذِي حُمَـــةٍ يَعْتَـــادُ داءَ سَـــلِيمِ
إذا قِيـــلَ قَـــدْ ذَلّـــتْ لَـــهُ عَـــنْ حَيَاتِـــهِ تُراجِـــعُ مِنْـــهُ خَـــابِلاتِ شَـــكِيمِ
وَمـــا أحَـــدٌ مِـــنْ غَيـــرِهِمْ بطَـــرِيقِهِمْ مِـــنَ النّـــاسِ، إلاّ مِـــنْهُمُ بمُقِـــيمِ

في قوله:

أهـــاجَ لَـــكَ الشّـــوْقَ القَـــدِيمَ خَبالُـــهُ مَنَـــازِلُ بَـــيْنَ المُنْتَضَـــى وَمُنِـــيمِ

لم تهيجه المنازل وإنما هيجته رؤيتها وفي ذلك مجاز يدل على حسن التأني.

ثانياً: التمثيل (التشبيه)

يقول أبو هلال العسكري: "التشبيه الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه, ناب منابه أم لم ينب, وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه, والتشبيه يزيد المعنى وضوحا, ويكسبه تأكيدا"[2]

وأركان التشبيه أربعة.

(1) المُشبه : هو الأمر الذي يُراد الحاقه بغيره

(2) المُشبه به : هو الأمر الذي يلحق به المشبه

(3) وجه الشبه : هو الوصف المشترك بين الطرفين ، ويكون في المشبه به أقوى منه في المشبه - وقد يُذكر وجه الشبه في الكلام وقد لا يذكر.

(4) أداة التشبيه : هي اللفظ الذي يدلُ على التشبيه ، ويربط المشبّه بالمشبّه به ، وقد تَذكر الأداة في التشبيه وقد تحذف.

قال الفرزدق في مدح سفيان بن عمرو العقيلي:

لـــــذادوا عـــــن حـــــريمهم بضـــــرب كـــــــــــأفواهِ الأوارِكِ أيَّ هبـــــــــــر[1]

---

1 - ديوان الفرزدق ص 340

2 - العسكري, أبوهلال, كتاب الصناعتين الكتابة والشعر,تحقيق علي محمدالبجاوي ومحمد أبوالفضل إبراهيم, المكتبة العصرية,بيروت, 2013م, ص213-216

ولقد بلغت العرب شأواً بعيداً في التشبيه والتصرف فيه, وهنا الفرزدق يشبه ضرب السيوف على الأعداء بضرب النوق بأفواهه على شجر الأراك وهنا تشبيهان مركبان أما الأول فتشبيه أثر الضربة بفم الناقة, وأما الثاني فتشبيه صورة ضرب النوق على الشجر بضرب السيوف على الأعداء فكأن السيوف رؤوس النوق وكأن شجر الأراك الأعداء على وجه تشبيه التمثيل وهي صورة بديعة للمتأمل.

وقال أيضاً:

أهـــاجَ لَـــكَ الشّـــوْقَ القَـــدِيمَ خَبالُـــهُ، مَنَـــازِلُ بَـــيْنَ المُنْتَضَـــى فالمَصَـــانِعِ
عَفَـتْ بَعـدَ أسْـرَابِ الخَلـيطِ وَقـد تـرَى بِهـا بَقَـراً حُـوراً حِسـانَ المَـدامِعِ
يُـرِينَ الصّـبَا أصْـحابَهُ فـي خِلابَـةٍ، وَيَـأبَيْنَ أنْ يَسْـقينَهمْ بالشّـرَائِعِ
إذا مَـا أتَـاهُنّ الحَبِيـبُ رَشَـفْنَهُ، كرَشْـفِ الهِجـانِ الأدمِ مـاءَ الوَقـائعِ
يَكُـنّ أحَادِيـثَ الفُـؤادِ نَهَـارَهُ وَيَطْـرُقْنَ بـالأهْوَالِ عنـدَ المَضَـاجعِ
إلَيْـكَ ابـنَ عَبـدِ الله حَملّـتُ حـاجَتي علـى ضُـمرِ الأحقـابِ خُـوصِ المَـدامعِ
نَـوَاعِجَ، كُلّفْـنَ الـذّمِيلَ، فلـم تـزَلْ مُقَلَّصَـةً أنْضَـاؤها كالشّـرَاجِعِ
تَـرَى الحـاديَ العَجـلانَ يُـرْقِصُ خَلفهـا وَهُـنّ كحَفّـانِ النّعـامِ الخَوَاضِـعِ
إذا نَكّبَـتْ خُرْقـاً مـن الأرْضِ قابلَـتْ وَقَـد زَالَ عَنْهـا، رَأسَ آخـرَ، تـابعِ
بَـدَأنَ بـهِ خُـدْلَ العِظـامِ، فُأُدْخِلَـتْ عَلَـيْهِنّ أيّـامُ العِتَـاقِ النّزَائِـعِ
جَهِـيضَ فَـلاةٍ أعْجَلَتْـهُ تَمامَـهُ هبُـوعُ الضّـحى خَطّـارَةٌ أُمُّ رَابِـعِ
تَظَـلّ عِتـاقُ الطّيـرِ تَنْفـي هَجِينَهـا جُنُوحـاً علـى جُثمـان آخَـرَ نَاصِـعِ
وَمـا سـاقَها مـن حاجَـةٍ أجْحَفَـتْ بهَـا إلَيْـكَ، وَلا مِـنْ قِلّـةٍ فـي مُجاشِـعِ
وَلَكِنّهـا اخْتَـارَتْ بِـلادَكَ رَغْبَـةً عَلـى مـا سِـوَاها مِـنْ ثَنايـا المَطـالِعِ
أتَيْنَـاكَ زُوّاراً، وَوَفْـداً، وَشَـامَةً لخالـك خـالِ الصّـدقِ مُجـدٍ وَنـافِعِ
إلـى خَيْـرِ مَسْـؤولَينِ يُرْجَـى نَـداهُما إذا اخْتيـرَ الأفْـوَاهِ قَبـلَ الأصَـابِعِ[1]

قوله:

إذا مَـــا أتَـــاهُنّ الحَبِيـــبُ رَشَـــفْنَهُ كرَشْـــفِ الهِجـــانِ الأدمِ مـــاءَ الوَقـــائعِ

في البيت تشبيه تمثيل حيث شبه رشف الحبيب برشف الهجان.

وقوله: (وَهُنّ كحَفّانِ النّعامِ الخَوَاضِعِ) فيه تشبيه تمثيل

وفي قوله:

وُجِـــدْتُمْ يـــا بَنـــي زَيْـــدٍ نُجُومـــاً، يَنُـــؤْنَ مِـــنَ السّـــمَاءِ بِكُـــلّ قَطْـــرِ)[3]

في البيت تشبيه بليغ إذ شبههم بالنجوم.

---

1 - ديوان الفرزدق ص302

2() السابق ص 340

3 - السابق ص292

وفي قوله:

إذا رُحْـــنَ فـــي الـــدّيباجِ، والخَـــزُّ فَوْقَـــه مَعـــاً، مثـــل أبكـــارِ الهِجـــانِ العَلائِـــفِ)[1]

فيه تشبيه تمثيل يجمع بين النواعم تحت الحرير على النوق يتمايلن في البياض والسمن مثل النوق الهجان المعلوفة فهي سمينة بيضاء تسر الناظر إليها.

قوله:

إذا عَرَضَـــتْ مَـــرّتْ علـــى الّلـــجّ جَارِيـــاً، تَخـــالُ بهـــا مَـــرَّ السّـــفِينِ النّوَاصِـــفِ
يَجُـــورُ بهَـــا المَـــلاّحُ ثُـــمّ يُقيمُهـــا، وَتَحْفِزُهـــا أيْـــدي الرّجـــالِ الجَـــوَاذِفِ

فيه تشبيه الظعائن بالسفن الجارية في البحر على جهة تشبيه التمثيل

ثالثاً: الاستعارة

الاستعارة لغة : من قولهم ، استعار المال : إذا طلبه عارية,واصطلاحاً : هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة (المشابهة) بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه ، مع (قرينة) صارفة عن إرادة المعنى الأصلي (والاستعارة) ليست إلا (تشبيهاً) مختصراً ، لكنها أبلغ منه.[2]

قال الفرزدق:

وَسَـــارٍ قَتَلْـــتُ الجُـــوعَ عَنْـــهُ بضَـــرْبَةٍ، أتَانَـــا طَرُوقـــاً، بِالحُسَـــامِ المُهَنّـــدِ
علـــى سَـــاقِ مِقْحَـــادٍ[3] جَعَلْنَـــا عَشَـــاءَه شَـــطائبَ مـــن خُـــرّ السّـــنامِ المُسَـــرْهَدِ
وَطـــارِقِ لَيْـــلٍ قَـــدْ أتَـــاني، وَسَـــاقَهُ إلـــيّ سَـــنَا نَـــارِي وَكَلْـــبٍ مُعَـــوَّدِ
وَمُسْـــتَنْبِحٍ أوْقَـــدْتُ نَـــارِي لصَـــوْتِهِ بِـــلا قَمَـــرٍ يَسْـــرِي وَلا ضَـــوْءِ فَرْقَـــدِ
وَنَـــارٍ رَفَعْنَاهَـــا لمَـــنْ يَبتَغـــي القِـــرَى عَلـــى مُشْـــرِفٍ فَـــوْقَ الجَـــراثِيمِ موقَـــدِ[4]

قوله: (قتلت الجوع عنه) شبه الجوع بالعدو على جهة الاستعارة المكنية, ولهذا أثر بالغ في الدلالة على الكرم والاقتدار. وقال:

تَـــزَوّدَ مِنْهَـــا نَظْـــرَةً لـــمْ تَـــدَعْ لَـــهُ فُـــؤاداً وَلـــمْ تَشْـــعُرْ بِمَـــا قَـــدْ تَـــزَوّدَا
كَـــأنّ السّـــيُوفَ المَشْـــرَفِيّةَ فـــي البُـــرَى إذا اللّيْـــلُ عَـــنْ أعْنَـــاقِهِنّ تَقَـــدَّدَا
حَـــرَاجِيجُ بَـــينَ العَـــوْهَجيّ وَدَاعِـــرٍ تَجُـــرُّ حَوَافِيهَـــا السّـــرِيحَ المُقَـــدَّدَا
طَوَالِـــبَ حَاجَـــاتٍ بِرُكْبَـــانِ شُـــقّةٍ يَخُضْـــنَ خُـــدارِيّاً مـــن اللّيـــلِ أســـوَدَا
وَمَـــا تَـــرَكَ الأيّـــامُ والسَّـــنَةُ الّتـــي تَعَـــرّقَ نَابَاهَـــا السّـــنَامَ المُصَـــعَّدَا
لَنَـــا وَالمَوَاشِـــي باليَتَـــامَى يَقُـــدْنَهُمْ إلـــى ظِـــلّ قِـــدرٍ حَشَّـــها حِـــينَ أوْقَـــدَا
أخُـــو شَـــتَواتٍ يَرْفَـــعُ النّـــارَ للقِـــرَى، إذا كَعَـــمَ الكَلْـــبَ اللّئـــيمُ وَأخْمَـــدَا
وَإنْ عُـــدّتِ الآبـــاءُ كنـــتَ ابـــنَ خَيـــرِهم، وَأمْلاكِهـــا الأوْرَيـــنَ فـــي المَجْـــدِ أزْنُـــدَا[5]

---

1 - السابق ص374

2 - الهاشمي, أحمد, جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع, ص258

(3) المقحاد: الناقة العظيمة السنام.

4() ديوان الفرزدق ص 130

5() السابق ص 131

قوله:

تَـــزَوّدَ مِنْهَـــا نَظْـــرَةً لـــمْ تَـــدَعْ لَـــهُ فُـــؤاداً وَلـــمْ تَشْـــعُرْ بِمَـــا قَـــدْ تَـــزَوّدَا

شبه النظرة بالطعام ثم حذف الطعام ورمز له بلازمه (تزود) على جهة الاستعارة المكنية, للدلالة على تمكن الحب وقوة العاطفة وأثر ذلك في نفس العاشق.

قوله: (يَخُضْنَ خُدارِيّاً من اللّيلِ أسوَدَا) فيه تشبيه الليل بالبحر على سبيل الاستعارة المكنية.

قوله:

وَمَـــا تَـــرَكَ الأيّـــامُ والسَّـــنَةُ الّتـــي تَعَـــرّقَ نَابَاهَـــا السّـــنَامَ المُصَـــعَّدَا

شبه السنة بالحيوان المفترس على جهة الاستعارة المكنية.

وفي قوله:

رَوَاعِـــفُ بِالجـــادِيّ كُـــلَّ عَشِـــيّةٍ، إذا سُـــفْنَهُ سَـــوْفَ الهِجـــانِ الرّوَاشِـــفِ)[1]

فيه استعارة مكنية تنضح بالجمال وتعبق بالسنا حيث شبههن بأنف جميل فحذف الأنف ودلل عليه بالرعاف ولكن لم يكن رعافهن الدم بل المسك وهو الجادي فهل تلمست الروعة وأحسستها في شاعرية الفرزدق في هذا البيت؟

وفي قوله:

إليـكَ ابـن خيـرِ النـاسِ حمّلـتُ حـاجَتي عَلـى ضُـمّرٍ كُلّفـن عَـرْضَ السّـنائِفِ

شبه الحاجات المعنوية بالأحمال الحسية على سبيل الاستعارة المكنية في صورة جميلة تسر الناظر والسامع وتجعله يتأمل الحاجات وهي تسبح على ظهور الضمر.

قوله:

فَزَعْنـا إلـى العَبّـاسِ مِـنْ خَـوْفِ فِتَنَـةٍ وَأنْيَابِهـا المُسْـتَقْدِماتِ الصّـوَارِفِ

شبه الفتنة بالحيوان المفترس على سبيل الاستعارة المكنية.

وقوله :

وَتَلْقَـى ابـنَ الوَلِيـدِ، وَإنْ أَنِيخَـتْ إلـى مُغْلَوْلِـبٍ، بِنَـداهُ غَمْـرِ
تَكُـنْ مِثْـلَ التـي مُطِـرَتْ وَكانَـتْ بِـأعْوَامٍ، قَـوائِظُهُنّ، غُبْـرِ)[2]

شبه جوده بالبحر ثم حذف البحر ورمز له بغمر على جهة الاستعارة المكنية.

1 - ديوان الفرزدق ص374

2 - السابق ص292

رابعاً: الكناية

"لغة : ما يتكلم به الإنسان ويريد به غيره وهي مصدر كنيت أو كنوت بكذا عن كذاإذا تركت التصريح به,واصطلاحاً : لفظ أريد به غيرُ معناهُ الذي وضع له مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته".[1] وقيل: " الكناية لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه حينيئذ كقولك: فلان طويل النجاد أي: طويل القامة, وفلانة نؤوم الضحى أي: مرفهة مخدومة. [2]

قال الفرزدق:

إنّ ابـــنَ بَطّحـــاوَيْ قُـــرَيْشٍ نمَـــى بِـــهِ ... إلـــى المَجْـــدِ أعْـــرَاقٌ كِـــرَامٌ وَمَغْـــرِسُ
فـــداكَ مِـــنَ الأقْـــوَامِ مَـــنْ كـــانَ هَمُّـــهُ ... مِـــنَ الـــدّهْرِ مـــا يُزْهَـــى بـــذاكَ وَيُلْـــبَسُ
وَأنْـــتَ ابـــنُ بَـــدْرٍ للبُـــدُورِ، وَضَـــوْؤهُ ... بكَفّيْـــكَ لا مِثْـــلُ الـــذي ظَـــلّ يَخْـــنِس
وَفِيـــكَ مَســـاعٍ مِـــنْ ثَقِيـــف سَـــمَتْ بهـــا ... عَقِيلَـــةُ أقْـــوامٍ، وَمَجْـــدٌ مُـــرأْسُ[3]

أعراق كرام: كناية عن الآباء النجباء

مغرس: كناية عن الأمهات الفضليات

وهي كناية مستملحة فإن العرق يغور في المغرس.

وقوله: (ضُمرِ الأحقابِ خُوصِ المَدامعِ) كناية عن النوق.

وفي قوله:

علـــى أنّنـــي مِـــنْ ذِكْرِهَـــا كُـــلَّ لَيلَـــةٍ ... كَـــذِي حُمَـــةٍ يَعْتَـــادُ داءَ سَـــلِيمِ

وذو حمة كناية عن الملدوغ وسليم تسمية الملدوغ بعكسه تفاؤلاً.

وقال:

وَكَـــمْ مِـــنْ نَـــاذِرِينَ دَمِـــي رَمَـــتْهُمْ ... إلَيْـــكَ عَلـــى مَخَـــافَتِهِمْ وَفَقْـــرِ
لِتَلْقَـــى ابـــنَ الوَلِيـــدِ ولا تُبـــالي، ... إذا لَقِيَـــتْ نَـــدَاهُ، بَنَـــاتِ دَهْـــرِ
أتَيْتُـــكَ بِـــالجَرِيضِ، وَقَـــدْ تَلاقَـــتْ ... عُـــرى الأنْســـاعِ مِـــنْ حَقَـــبٍ وَضَـــفْرِ
وَكَـــمْ خَبَطَـــتْ بِأرْســـاغٍ، وَجَـــرّتْ ... نَعـــالَ الجِلْـــدِ، وَهْـــيَ إلَيـــكَ تَسْـــرِي
وَتَلْقَـــى ابـــنَ الوَلِيـــدِ، وَإنْ أُنِيخَـــتْ ... إلـــى مُغْلَوْلِـــبٍ، بِنَـــداهُ غَمْـــرِ
وَقَـــدْ عَلِمَـــتْ بَجِيلَـــةُ أنّ مِـــنْكُمْ ... فَوَارِسَـــهَا وَصَـــاحِبَ كُـــلِّ ثَغْـــرِ
حِبَـــالٌ أُكّـــدَتْ بِيَـــدَيْ أبِيهَـــا، ... بِأيْمَـــانٍ لَـــهُ وَأشَـــدِّ نَـــذْرِ[4]

1 - الهاشمي,أحمد,جواهرالبلاغة في المعاني والبيان والبديع,ص286

2 - الخطيب القزويني,محمد بن عبدالرحمن, الإيضاح في علوم البلاغة, مراجعة عماد بسيوني زغلول, مؤسسة الكتب الثقافية,بيروت, ط1, 1415, ص182

3() ديوان الفرزدق ص 335

4() السابق ص 292

وفي قوله:

لِتَلْقَـــــى ابـــــنَ الوَلِيـــــدِ ولا تُبـــــالي، إذا لَقِيَـــــتْ نَـــــدَاهُ، بَنَـــــاتِ دَهْـــــرِ

بنات دهر كناية عن المصائب.

أخُـــو شَـــتَواتٍ يَرْفَـــعُ النّـــارَ للقِـــرَى إذا كَعَـــمَ الكَلْـــبَ اللّئـــيمُ وَأخْمَـــدَا

(أخو شتوات) كناية عن الكرم.

وقوله:

بَنـــاتُ نَعِـــيمٍ زانَهـــا العـــيشُ والغِنـــى يَمِلـــنَ إذا مـــا قُمـــنَ مثـــلَ الأحـــاقِفِ)[1]

فيه كناية عادية مستهلكة في قوله بنات نعيم كناية عن الغنى.

1 - ديوان الفرزدق ص374

الإيقاع والموسيقى

في هذا المبحث نجول في مضمار شائك كثير التلافيف يرتكز على قاعدتين الأولى الإيقاع والثانية الموسيقى سواء كانت داخلية أو خارجية, والعلاقة وطيدة بين الإيقاع والموسيقى في القصيدة العربية وهما معاً يشكلان "إيقاع الجملة وعلائق الأصوات والمعاني والصور، وطاقة الكلام الإيحائية والذيول التي تجرها الإيحاءات وراءها من الأصداء المتلونة والمتعددة, هذه كلها موسيقى وهي مستقلة عن موسيقى الشكل المنظوم, قد توجد فيه, وقد توجد دونه "[1]

نحاول أن نلتمس هذه الموسيقى(الخارجية والداخلية) في شعرالمديح عند الفرزدق وهي مهمة شاقة وذلك لأن الشعر العربي القديم خاصة ما كان منه في الجاهلية وصدر الإسلام لا يميل إلى توليد الصور المعنوية, وتغلب عليه المعاني الحسية وسبب ذلك البيئة والأحداث والدوافع حيث يكثر الهجاء والفخر والتنافر وهي دوافع تميل إلى الحس بخلاف وصف الطبيعة والغزل والحكمة والفلسفة.

قال الفرزدق يمدح خالد القسري:

إنـــي رَأيـــتُ أبـــا الأشْـــبالِ قَـــدْ ذَهَبَـــتْ ... يَـــداهُ حَتـــى تُلاقـــي الشّـــمسَ وَالقَمَـــرَا
التّـــارِكُ القِـــرْنِ تحـــتَ النَّقْـــعِ مُنجَـــدِلاً ... إذا تَلاحَـــقَ وِرْدُ المَـــوْتِ فـــاعتَكَرَا
لا مُكْبِـــرٌ فَرَحـــاً فِيمَـــا يُسَـــرّ بِـــهِ، ... فَـــإنْ أَلَمّـــتْ عَلَيْـــهِ أزْمَـــةٌ صَـــبَرَا
وَقَـــد شَـــكَرْتُ أبـــا الأشْـــبالِ مـــا صَـــنَعَتْ ... يَـــداهُ عِنـــدي، وَخَيـــرُ النـــاسِ مَـــن شَـــكَرَا
لَقَـــدْ تَـــدارَكَني مِنْـــهُ بِعَارِفَـــةٍ، ... حتـــى تَلاقَـــى بهـــا مـــا كـــانَ قَـــدْ دَثَـــرَا
فَمـــا لجُـــودِ أبـــي الأشْـــبَالِ مِـــنْ شَـــبَهٍ ... إلاّ السّـــحابُ وَإلاّ البَحْـــرُ إذْ زَخَـــرَا
كُـــلٌّ يُوائِـــلُ مـــا امْتَـــدّتْ غَوَارِبُـــهُ، ... إذا تكَفْكَـــفَ منـــهُ المَـــوْجُ وَانحَـــدَرَا
لَيْســـا بِـــأجْوَدَ مِنْـــهُ عِنْـــدَ نَائِلِـــهِ، ... إذا تَـــرَوّحَ للمَعْـــرُوفِ أوْ بَكَـــرَا[2]

هذه القصيدة من البحرالبسيط والذي تفعيلته هي: مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن ....

والإيقاع في المقطوعة أعلاه فواضح في تكرار التفعيلةمستفعلن فعلن يحسها المنشد في طريقة إلقائه واضحة لا تخطؤها الأذن.أما الموسيقى الداخلية في المقطوعة فتجدها في الصور الطبيعية وحركتها الهامسة تارة والصاخبة أخرى فبينما ترى الممدوح يمد يديه إلى القمر وقد زايله السحاب في حركة هامسة حتى تدهمك أصوات الأمواج الهادرة تصف جود الممدوح وهذا التدرج من الهمس حتى الصخب وبصورة منتظمة كأنها سيمفونية تستخدم آلات ناعمة من آلات النفخ في بدايتها ثم تسير بك حتى دقات طبول صاخبة في إشارة إلى جمع الممدوح بين السهولة واليسر والقوة العنفوان.

قال الفرزدق:

1()أدونيس, مقدمة للشعر العربي، دار العودة ، بيروت, ط3 , 1979م, ص 116

2() ديوان الفرزدق ص 228

يَرْضَـــى الجَـــوَادُ، إذا كَفّـــاهُ وَازَنَتَـــا إحْـــدى يمينَـــيْ يَـــدَيْ نَصْـــرِ بـــنِ سَـــيّارِ
يَـــداهُ خَيْـــرُ يَـــدَيْ، شَـــيْءٌ سَـــمِعتُ بـــه مِـــنَ الرّجَـــالِ لِمَعْـــرُوفٍ وَإنْكـــارِ
العـــابِطُ الكُـــومَ، إذْ هَبّـــتْ شَـــآمِيَةً وَقاتَـــلَ الكَلـــبُ مَـــنْ يَـــدنو إلـــى النّـــارِ
وَالقائِـــلُ الفاعِـــلُ المَيْمُـــونُ طَـــائرُهُ، وَقاتَـــلَ الكَلـــبُ مَـــنْ يَـــدنو إلـــى النّـــارِ
كَـــم فيـــك إنْ عُـــدّد المعـــرُوفُ مـــن كَـــرَمٍ وَنائِـــلٍ، كَخَلـــيجِ المُزْبِـــدِ الجَـــارِي
أنْـــتَ الجَـــوَادُ الّـــذِي تُرْجَـــى نَوَافِلُـــهُ وَأبْعَـــدُ النّـــاسِ كـــلِّ النـــاسِ مِـــنْ عـــارِ
وَأقـــرَبُ النـــاسِ كـــلِّ النـــاسِ مِـــنْ كَـــرَمٍ، يُعطـــي الرّغائِـــبَ لـــمْ يَهْمُـــمْ بإقْتَـــارِ[1]

الإيقاع يظهر في قوله:

وأبعـــد النـــاس كـــل النـــاس مـــن عـــار وأقـــرب النـــاس كـــل النـــاس مـــن كـــرم

في التكرار المنتظم لكلمة الناس, والتضاد بين أبعد وأقرب. هذا من الموسيقى الداخلية

أما البحر الذي نظمت عليه المقطوعة فهو بحر البسيط وهو من البحور التي تنظم بها الأغاني لسهولته وموسيقاه وتفعيلته هي:

مُسْـــتَفْعِلُنْ فَـــاْعِلُنْ مُسْـــتَفْعِلُنْ فَـــاْعِلُنْ مُسْـــتَفْعِلُنْ فَـــاْعِلُنْ مُسْـــتَفْعِلُنْ فَـــاْعِلُنْ

والموسيقى الخارجية والإيقاع فيه ظاهران.

1() ديوان الفرزدق ص 286

وقال الفرزدق:

لَقَــدْ كُنــتُ أحْيانــاً صَــبُوراً فَهــاجَني ... مَشــاعِفُ بالــدّيرَينِ رُجْــحُ الــرّوادِفِ
نَــواعِمُ لــمْ يَــدْرِينَ مــا أهْــلُ صِــرْمَةٍ ... عِجــاف وَلــمْ يَتــبَعنَ أحمــالَ قــائِفِ
وَلَــمْ يَــدّلِجْ لَــيْلاً بِهــنّ مُعَــزّبٌ ... شَــقِيٌّ وَلــمْ يَسـمَعن صَــوتَ العَــوَازِفِ
إذا رُحْــنَ فــي الــدّيباجِ، والخَــزُّ فَوْقَــهُ، ... مَعــاً، مثــل أبكــارِ الهِجــانِ العَلائِــفِ
إلــى مَلْعَــبٍ خَــالٍ لَهُــنّ بَلَغْنَــهُ ... بــدَلّ الغَــوَاني المُكرَمــاتِ العَفــائِفِ
يُنــازِعْنَ مَكنُــونَ الحَــديثِ كأنّمــا ... يُنــازِعْنَ مِســكاً بــالأكُفّ الــدّوَائِفِ
وَقُلْــنَ لَلَيْلــى: حَــدّثِينا، فَلَــمْ تكــدْ ... تَقُــولُ بِــأدْنَى صَــوْتِها المُتَهــانِفِ
رَوَاعِــفُ بِالجــادِيّ كُــلَّ عَشِــيّةٍ، ... إذا سُــفْنَهُ سَــوْفَ الهِجــانِ الرّوَاشِــفِ
بَنــاتُ نَعِــيمٍ زانَهــا العــيشُ والغِنــى ... يَمِلــنَ إذا مــا قُمــنَ مثــلَ الأحــاقِفِ
وأَمَنْتَــهُ مِمّــا يَخــافُ، إذا أوَى ... إلَيْــكَ، فَأمْسَــى آمِنــاً غَيــرَ خــائِفِ
وأنْــتَ غِيــاثُ المُمحِلِــينَ إذا شَــتَوْا، ... وَنُــورُ هِــدىً يــا ابــنَ المُلُــوكِ الغطــارِفِ
ثَنــائي علــى العَبّــاسِ أكْــرَمِ مــن مشَــى ... إذا رَكِبُــوا ثــمّ التَقَــوْا بِــالمَوَاقِفِ
فَقَــدْ أوْقَــعَ العبّــاسُ إذْ صَــارَ وَقْعــةً ... نهَــتْ كُــلّ ذي ضِــغْنٍ وَداءٍ مُقــارِفِ
أبَــرْتَ زُحُــوفَ المُلْحِــدِينَ وَكِــدتَهم ... بمُسْتَنصِــرٍ يَتْلُــو كِتــابَ المَصَــاحِفِ
تَــأخّرَ أقْــوَامٌ، وَأسْــرَعْتَ للّتــي ... تُغَلّــلُ نُشّــابَ الكَمــيّ المُزَاحِــفِ
وَأنْــتَ إلــى الأعْــدَاءِ أوّلُ فَــارِسٍ ... هُنــاكَ، وَوَقّــافٌ كَــرِيمُ المَوَاقِــفِ
بِضَــرْبٍ يُزيــلُ الهَــامَ عَــنْ مُســتَقَرّهِ، ... وَطَعْــنٍ بِــأطْرَافِ الرّمــاحِ الجَوَائِــفِ
سَــبَقتَ بأهْــلِ الكوفــةِ المَــوْتَ بَعــدَما ... أُرِيــدَ بإحــدى المُهلِكــاتِ الجَوَالِــفِ
وَقَــدْ أبْطَــأ الأشْــيَاعُ حَتــى كَأنّمــا ... يُســاقُونَ سَــوْقَ المُــثْقَلاتِ الزّوَاحِــفِ
لَعَمــرِي! لقــد أســرَيتَ لا لَيــل عــاجزٍ ... وَمــا نمــتَ فــيمَنْ نــامَ تحــتَ القَطــائِفِ
فَجــاءوا وَقَــدْ أطفَــأتَ نِيــرَانَ فِتْنَــةٍ، ... وَســكّنتَ رَوْعــاتِ القُلُــوبِ الرّوَاجِــفِ[1]

هذه القصيدة الفريدة في المدح الغنية بالصور أما موسيقاها فمن بحر الطويل الذي يناسب النسيب في أولها والمدح في آخرها, ولقد استهل الفرزدق هذه القصيدة بالكلام عن نساء نواعم لم يعرفن شظف العيش ولا فظاظة البادية وخشونتها يظهر ذلك في نعومتهن وضخامة أردافهن الدالة على عيش رقيق الحاشية.

قوله:

وَلَــمْ يَــدّلِجْ لَــيْلاً بِهــنّ مُعَــزّبٌ ... شَــقِيٌّ وَلــمْ يَسـمَعن صَــوتَ العَــوَازِفِ

العوازف هي الجن التي تصادف أهل البوادي في سيرهم ليلاً في الوديان والوهاد والفرزدق ينفي عنهن هذه الحالة وما فيها من الرهبة حيث تهمهم الجن وتصطرخ ويستولي على القلوب الخوف، انظر إلى هذه الموسيقى المرعبة التي تتلوى خلف هذا المنظر في قوله:

إذا رُحْــنَ فــي الــدّيباجِ، والخَــزُّ فَوْقَــهُ، ... مَعــاً، مثــل أبكــارِ الهِجــانِ العَلائِــفِ

ومن خلال استعراضنا لقصائد المديح عند الفرزدق نلاحظ أن أكثر البحور استعمالا : الطويل ثم البسيط ثم الوافر والكامل, وهذه البحور من أشهر بحور الشعر العربي وأجملها.

1() ديوان الفرزدق ص 374

الخاتمة

الحمد لله وحده ،والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد..

فبعد هذه السياحة مع الفرزدق الشاعر الأموي الفذ الذي طبق الآفاق ذكرُه وبلغ قاموس البحر شعرُه مقتصرين على جزئية صغيرة من شعره وفكره وفنه وهي صورة الممدوح لابد لنا أن نلخص ماتوصلنا إليه من نتائج لتكون نبراساً لمن يحاول دراسة هذه الشخصية من زاوية أخرى أو التوسع فيما اقتضبنا فيه القول.

أولا: أن الفرزدق في تصويره لممدوحيه ينطلق من اعتداد كبير بنفسه واعتزاز بقومه فهو ليس من الشعراء المتملقين الذين تذوب شخصياتهم وتتماهى في شخصيات ممدوحيهم بل كان الفرزدق يفخر بنفسه في معرض مديحه لخليفة أو وال أو قائد.

ثانيا : نلحظ أن الفرزدق رجل يحمل هم مجتمعه فإذا مدح الخلفاء كان في الغالب يطلب الخير لقومه وأهله ومجتمعه وفي هذا جانب مهم من جوانب نفسية العربي الذي يحب الخير للناس بعيداً عن الأنانية وحب الذات وكأن المعري يتحدث عن نفس الفرزدق حين قال:

ولـــــو أنـــــي حُبيـــــتُ الخلـــــدَ فـــــرداً لمـــــا أحببـــــتُ بالخلـــــدِ انفـــــرادا
فـــــلاَ هَطلـــــتْ علـــــيَّ ولا بأَرضـــــي ســـــحائبُ لـــــيس تنـــــتظمُ الـــــبلادا

ثالثا : كثرة الممدوحين في ديوان الفرزدق من الخلفاء والأمراء والولاة والقادة والأشراف وذلك لسعة علاقات الفرزدق الاجتماعية مع علو مكانة وشرف مما جعله قريبا من هذا العدد الكبير من الأشراف وذوي المنصب مما يعكس لنا جانباً من شخصيته المقبولة اجتماعياً وفنياً.

رابعا : امتلاك الفرزدق لناصية اللغة من حيث المفردات وجزالتها والأساليب وقوتها وجمالها مع قوة في الشخصية مكنته من معارضة علماء اللغة ومخالفته لهم في كثير من القضايا وإصراره على رأيه وفي هذا إشارة إلى تمكن الشاعر من فنه وامتلاكه لأدواته وسيلان فكره وقوة عاطفته.

خامسا : توظيف الفرزدق للرموز الإسلامية للتوصل إلى مطلب يريده من الممدوح.

سادسا : لقد استعان الفرزدق بكثير من الصور والأخيلة لكي يلبس ممدوحه أجمل حلة.

إن شعور الفرزدق بأمته الإسلامية والعربية لا يقارن بشعوره تجاه قبيلته بني تميم وأمجادها ويُعتذر له بأن الأمة الإسلامية في ذلك العهد كانت تتشكل على الأرض وتتكون داخل النفوس، والانصهار بين العرب وغيرهم لم يصل ذروته فمازالت العصبية الشعوبية ماثلة على مسرح الحياة في المدن الإسلامية خاصة الكوفة القريبة من بلاد فارس.

لقد استعان الفرزدق في رسم صورة ممدوحه على التشبيهات والصور والأخيلة والمجاز مما يدل على عنايته الفائقة بلغته وبلاغته وهضمه لها بل وتسخيرها في رسم الصورة الموحية والواضحة للممدوح كما سبق بيانه في الصور الجمالية.

وختاما إن الفرزدق وفنه وشخصيته والعلاقة بين المكونات الفنية والأدبية لعصره بحاجة إلى المزيد من الدراسات حتى نتمكن من الفهم الكامل والعميق للحياة الشعرية في العصر الأموي, والتركيز على الدراسات النفسية والاجتماعية واللغوية في ضوء النظريات الحديثة في علوم النفس واللغة والاجتماع وكل علم من شأنه تجلية الصورة وإيضاحها.

فهرس المصادر والمراجع

- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط, دار الدعوة, تحقيق مجمع اللغة العربية.
- ابن جني, الخصائص, تحقيق محمد علي النجار,المكتبة العلمية,مصر, ط2 ,1371م

- ابن حزم الأندلسي، أسماء الخلفاء والولاة وذكر مددهم, تحقيق إحسان عباس, المؤسسة العربية للدراسات والنشر,بيروت, ط2, 1987م
- ابن خلكان، أبي بكر البرمكي، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس, دارصادر,بيروت,ط1, 1971م
ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم ، ابن سيده ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية, بيروت, ط1, 2000م
- ابن عساكر,مختصر تاريخ دمشق ,تحقيق روميه النحاس ورياض عبدالحميد,دارالفكر,دمشق ,1415هـ
- ابن قتيبة, الشعر والشعراء, تحقيق أحمد محمد شاكر, دار الحديث, القاهرة.ط2, 1423هـ

- أبو مصلح، كمال، الفرزدق حياته وشعره ، المكتبة الحديثة ناشرون.
- أبوالقاسم، إسماعيل بن عباد, المحيط في اللغة, تحقيق محمد حسن آل ياسين عالم الكتب,بيروت,ط1, 1994م.
-أبي عبيدة, شرح النقائض, وضع حواشيه خليل عمران, منشورات محمد علي بيضون, دار الكتب العلمية,بيروت,لبنان,ط1 ,1998م.
- أحمد، محمد كريم، شعر الفرزدق بين أصداء الجاهلية وصوت الإسلام ، مطبعة الأمانة – مصر ، الطبعة الأولى 1408
-أدونيس، مقدمة للشعر العربي، دار العودة ، ط1، 1971، بيروت
-الأزدي, أبوبكر, جمهرة اللغة, تحقيق رمزي منير بعلبكي, دار العلم للملايين,بيروت,1987م.
- الأزهري, أبو منصور, تهذيب اللغة,دارإحياءالتراث,بيروت,2001م.
- الأسد، ناصر الدين، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية ، دار المعارف, مصر, 1988م.

- الأصفهاني, أبو الفرج, الأغاني, تحقيق إحسان عباس وإبراهيم السعافين, وبكرعباس, دارصادر, بيروت, ط2, 2002م
- الإفريقي, ابن منظور, لسان العرب,دارصادر,بيروت,ط3, 1414هـ.

- بدوي، أحمد، أسس النقد الأدبي عند العرب، مطبعة دار النّهضة، القاهرة, 1996م
- بعلي, حفناوي, حفريات ثقافية أسطورية,دروب للنشر والتوزيع, ط1, 2011م
- تراجم شعراء الموسوعة الشعرية,مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم, ط1, 2009م
- الجاحظ, أبو عمرو, البيان والتبيين ,تحقيق, عبدالسلام هارون ,مكتبة الخانجي ,القاهرة ط5, 1405هـ.
- الجرجاني، عبد القاهر, التعريفات, تحقيق إبراهيم الإبياري, دار الريان للتراث,ط3, 1403
- الجرجاني، عبد القاهر، أسرار البلاغة ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار المدني, جدة, ط1, 1412هـ
- الجمحي, ابن سلام, طبقات فحول الشعراء, مطبعة المدني,القاهرة,1974
- الجوهري, تاج اللغة وصحاح العربية, دار العلم للملايين,بيروت,ط4, 1990م
- الحر، عبد المجيد، الفرزدق ينحت من صخر..، دار الفكر العربي بيروت، الطبعة الأولى 1999م.
-حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، تحقيق عبدالله سنده، دار المعرفة,بيروت, ط1, 1427هـ.
- حقي، ممدوح، نوابغ الفكر العربي (الفرزدق) ،دار المعارف – القاهرة ، الطبعة السادسة
- حمدي، محمد بركات، البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل ، عمان دار البشير, ط1 1991 م
- حمود، محمود، الفرزدق ، دار الفكر اللبناني – بيروت ، الطبعة الأولى 1991م
- خالص، وليد محمود، الشعراء النقاد (الفرزدق) مكتبة الفلاح الكويت الطبعة الأولى 1406- 1986.
- الخطيب القزويني, محمد عبدالرحمن, الإيضاح في علوم البلاغة, مراجعة عماد بسيونيزغلول, مؤسسة الكتب الثقافية, بيروت, ط3, 1415هـ
- الذهبي, شمس الدين, سير أعلام النبلاء, تحقيق بإشراف أرناؤوط, دار الرسالة, 1405
- الرازي, زين الدين, مختار الصحاح ,تحقيق يوسف الشيخ محمد, المكتبة العصرية,

بيروت ط5
- رومية, وهب, بنية القصيدة العربية حتى نهاية العصر الأموي (قصيدة المدح أنموذجاً), دار سعدالدين, ط 1418ه-1997م .
- الزبيدي, محمد, تاج العروس من جواهر القاموس, دار الفكر,بيروت ,ط1, 1414هـ
- الزركلي، خير الدين، الأعلام للزركلي, دار العلم للملايين.ط15 ,2002
- زكريا, أبوا لحسين, معجم مقاييس اللغة تحقيق عبدالسلام هارون,دارالفكر,1399م
- السيوطي, شرح شواهد المغني, تصحيح محمد محمود بن التلاميذ الشنقيطي ,دار مكتبة الحياة, لبنان.
- السيوطي، جلال الدين، تاريخ الخلفاء ، دار ابن حزم, بيروت ، الطبعة الأولى1, 2003م
- شرف، خليل، الفرزدق ، دار ومكتبة الهلال بيروت، ط 1 ,1996م.
- الصاغاني, العباب الزاخر واللباب الفاخر, تحقيق محمد حسن آل ياسين دار الرشيد للنشر, منشورات وزارة الثقافة والإعلام ,الجمهورية العراقية, 1981م
44- الصفدي, صلاح الدين, تحقيق أحمدأرناؤوط,دارإحياءالتراث,بيروت,2000م
- صلاح , عبدالصبور, ديوان, دار العودة, بيروت, ط2, 1977م
- ضاحي, عبدالباقي, لغة تميم دراسة تاريخية وصفية,القاهرة,الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميرية, 1405هـ
- ضيف، شوقي، التطور والتجديد في الشعر الأموي ، دار المعارف، ط 8, 1987م
- طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد, تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال,المؤسسةالعربية,ط2, 2000م.
- عبدالهادي، حلمي، اللغة في شعر الفرزدق، مكتبة الرائد ،عمان الأردن، الطبعة الأولى 2002م.
- العسكري, أبو هلال, كتاب الصناعتين الكتابة والشعر, تحقيق محمد علي البجاوي ومحمد أبو الفضل, المكتبة العصرية,بيروت, 2013م
- فاعور, علي, ديوان الفرزدق, دار الكتب العلمية,بيروت,ط1 ، 1407هـ
- الفحام، شاكر، الفرزدق، دمشق: دار الفكر، 1977م.
.
- الفيروز آبادي, القاموس المحيط, مؤسسة الرسالة مكتب تحقيق التراث,ط8 , 1426هـ

- الفيومي، أحمد بن محمد، المصباح المنير، بيروت: المكتبة العلمية.

- القرشي, جمهرة أشعار العرب,دارالمسيرة,بيروت,1978 مصورة عن طبعة بولاق
- القيرواني, ابن رشيق العمدة في محاسن الشعر وآدابه, تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد,دارالجيل,بيروت,ط4, 1972م.

-المرزباني,الموشح,في,مآخذالعلماءعلى,الشعراء,تحقيق,علي,محمدالبجاوي,دارنهضة,

- المعري. رسالة الصاهل والشاحج, تحقيق عائشةعبدالرحمن,دارالمعارف,مصر,1975 م.
-ميمون بن قيس، ديوان الأعشى، تحقيق محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميزت
- المؤدب, محمد الأمين,الاتباع ولابتداع في الشعر الأموي القصيدة المادحة أنموذجا, منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان, ط1, 2002م
- النابغة الذبياني، ديوان النابغة، تحقيق وشرح حنا نصر الحتى، دار الكتاب العربي, بيروت, ط1, 1411هـ
- الهاشمي، أحمد، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ضبط وتحقيق يوسف الصميلي, المكتبة العصرية, بيروت, 1999م

الرسائل العلمية والدوريات

- البري، نادية سيد، المديح في شعر الفرزدق، رسالة ماجستير جامعة الأزهر فرع البنات ، 1990
- الكريطي، محمد حاكم، النوار في شعر الفرزدق - مجلة الكلية الإسلامية الجامعة – العراق. العدد41, المجلد الأول

المحتويات

المقدمـة 1
التمهيد 3

شاعرية الفرزدق 3
مؤهلاته الشعرية 4
ثقافته الشعرية 5
موهبته الشعرية 5
عناية النقاد به 6
الفرزدق ناقداً 7
الخلاصة: ..... **Error! Bookmark not defined.**
التقديم 11
العدل: 13
الكرم والجود: 15
الشجاعة: 17
كرم الأصل: 18
رعاية الإسلام: 19
النجدة: 20
الخلفاء الذي مدحهم الفرزدق 23
صورة الأمير 64
صورة الولاة 74
خلاصة صورة الوالي الممدوح في شعر الفرزدق: 117
صورة القائد في شعرالفرزدق 118
خلاصة صورة القائد الممدوح في شعر الفرزدق 126
البحث الثاني 127
معاني المديح 127
تشكيل المعاني 128

الفصل الثاني 149
جماليات صورة الممدوح في شعر الفرزدق 149

الألفاظ والتراكيب: 150
ألفاظ الفرزدق: 150
تراكيب الفرزدق: 156
المجاز والتمثيل والاستعارة والكناية..... 162-166
الإيقاع والموسيقى الداخلية والخارجية 167
الخاتمة 171
فهرس المصادر والمراجع 173